

الموجز

في

سيرة خاتم المرسلين

محمد بن عبد الله
صلى الله
عليه وعلى
آله وسيداه

تأليف

أ/ صاوق سيف علي

طبع هذا الكتاب
على نفقة الراجي غفران الله ورحمته
محمد عبد القادر سعيد عبد الله

مكتبة العجا والسلفية



الطبعة الأولى

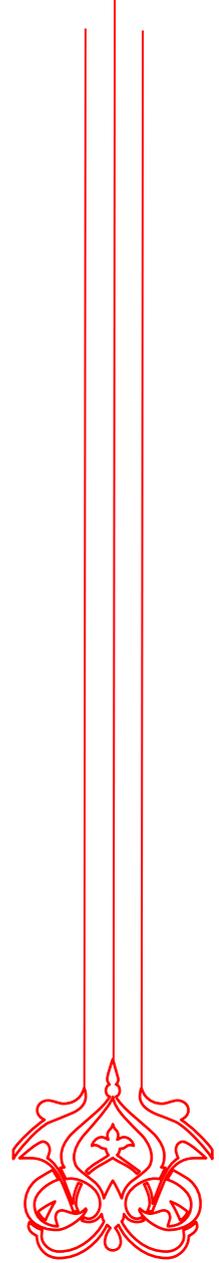
١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

مكتبة العلوم السلفية

للطبوع والنشر والتوزيع

اليمن - إب

ت / ٨٤٦٠٥٥ - ٧٧٢٦٤٩٢٤٧ - ٧٧٧٤٢٧٢٥٨



الإهداء

أولاً: أسأل العلي العظيم أن يجعل صلاتي ونسكي

ومحياتي ومماتي خالصة لوجهه العظيم.

ثانياً: أهدي جهدي هذا المتواضع لمعلمي معلم

البشرية محمد بن عبد الله رسول رب العالمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

راجياً من وراء جهدي هذا أن يغمرني ربي برحمته

وعطفه وأن أنال حب رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رسول الرحمة

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

ماهية رسالته

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ

وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا وحبينا محمد ابن عبد الله، الذي خصه ربه بأن جعله رحمة للعالمين.

وبعد على مستوى معارفي سألت الكثير عن امتلاكهم لكتاب سيرة رسول رب العالمين محمد ابن عبد الله ﷺ فكان الكثير منهم يقول بالرغم من مكانة رسول الله ﷺ العظيمة في قلوبنا لكننا لا نمتلك الكتاب، ومنهم من يقول أنه يمتلك أمهات الكتب في سيرة الرسول ﷺ لكنه يعاني من عدم سلاسة تلك الكتب في تناول سيرة سيد المرسلين، ومن كثرة العلوم المتشعبة فيها، وعدم الإيجاز، ومن ثم يكون هذا السبب عائق أمام قراءتهم للسيرة العطرة، وباطلاعي لبعض الكتب الخاصة بتدوين سيرة رسول الله ﷺ ولعطاء مؤرخي الإسلام كالطبري، وابن كثير، وابن هشام وبالرغم من شمول كتبهم لسيرة رسول الله ﷺ ومع أن جهدي لا يعد شيئاً أمام جهد أولئك الجهابذة إلا أنني عندما حاولت أن أتبع سيرة رسول الله ﷺ، عبر آيات القرآن الكريم، تبدى لي أن ما كتبه أولئك العظماء عن رسول الله ﷺ ما زال ينقصه الكثير من المعلومات، وفي شتى مجالات الحياة، وعلى سبيل المثال لا الحصر- يكاد أن يتمحور تأليف عظماء الأمة الإسلامية لسيرة رسول الله ﷺ بعد هجرته الشريفة إلى المدينة المنورة في جانب الجهاد، ويحصري للآيات القرآنية المدنية والخاصة برسول الله ﷺ رأيت أن تلك الآيات تتحدث عن مختلف جوانب الحياة، ومن هنا تولد في قلبي أن أحاول الإسهام في خدمة الإسلام، وذلك بجمع المعلومات الخاصة بسيرة رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ، وعلى أساس أن تكون المعلومات مفيدة، سلسلة، شاملة لمختلف مراحل حياته، ودعوته، وبحيث أن يفهمها كل من يطلع عليها من معتنقي هذا الدين العظيم، هذا من جانب ومن جانب آخر

أحاول أن تكون معلومات الكتاب ترد على الكثير من الأسئلة، والتي تتمحور حول متطلبات البشر الجسدية، والروحية، على خلفية قوله تعالى (وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلَّنَاهُ تَفْصِيلًا)، وبحيث إذا ما قرأ هذا الكتاب قارئ يرى التوجيهات الربانية لمتطلباته النفسية، والجسدية ومن ثم يرى ديمومة صلاحيته لكل زمان ومكان، وبشروعي برصد الآيات القرآنية التي تتمحور حول رسول الله ﷺ، والتي تعالج جوانب إشباع الروح من معتقدات، وإشباع رغبات الجسد، من توجيهها ربانية، وبالرغم أني رجعت إلى كتب التفسير، وعلوم القرآن، وبتباين معظم المفسرين في تحديد وقت نزولها على رسول الله ﷺ وجدت صعوبة كبيرة في ترتيب أحداثها، أثناء التدوين، وكأن عدم اتفاق المفسرين والعلماء في شأن تحديد نزول معظم تلك الآيات القرآنية ليظل جمع تلك المعلومات، وتنسيقها، وترتيبها في كتاب واحد، موضع لتحدي العقول الإسلامية، وعبر مختلف الزمان، والمكان ومع عجزني في صياغة وترتيب ما جمعت، إلا أني اجتهدت في رصد أبرز ما تمحور حول سيرة الرسول ﷺ، وبسلوكي لجانب اختصار سيرته إلا أني جسدت مدى معاناته في تبليغ رسالة ربه، ابتداءً من أيامه الأولى وإلى أواخر أيامه، وما ذلك إلا ليدرك القارئ مدى المعاناة التي تحملها رسوله ﷺ، وبحيث تكون تلك المعاناة بمثابة دافع له في السير على نهجه، كما أني في أكثر من موقع من الكتاب أظهرت الكثير من فضائله، ولعل أبرزها صبره، وعفوه، عن أخطاء أصحابه، إضافة إلى عفوه عن كبار الشخصيات القرشية، المكذبة برسالته، وذلك بعد أن قويت شوكته عليهم، وبقدر المستطاع دونت معظم أحداث سيرته ﷺ العطرة، وخلال سردني لها حرصت على أن تكون سلسلة، مستساغة للقارئ وأخيرا بذلت جهدًا كبيرًا في التمهيص العلمي، للكثير من الأحداث التاريخية، ولعل أبرزها أحداث بعض الغزوات والبعثات.

العرب منبع الإسلام:

ولدت الديانة الإسلامية في إحدى مواطن العرب، المعروفة بمكة المكرمة، فمن هم العرب؟ وما موطنهم الرئيس؟ إن أصل كلمة عرب غير معروفة بالتحديد، وفي تعريفها أورد علماء اللغة أكثر من معنى، لكنهم لم يستطيعوا الجزم بأصل كلمة عرب، فمنهم من رأى بأن كلمة عرب لها صلة بكلمة عرابا العبرية، وهذه تعني الأرض المظلمة، والبعض يرى أن كلمة العرب مشتقة من أصل سامي، بمعنى الغرب، وهنا اعتبروا أن سكان بلاد ما بين النهرين أول من أطلق كلمة العرب على الأقوام التي كانت تسكن غرب منطقة وادي الفرات وآخرون رأوا بأن كلمة عرب تعني حياة البداوة، ومع اختلاف الآراء في كلمة عرب إلا أن سواد المؤرخين متفقين على أن أصل منبع العرب يكمن في سكان شبه الجزيرة العربية، وعلى الأخص في سكان جنوب الجزيرة العربية، واعتبروها أرض العرب، ومهد العروبة، وتقع شبه الجزيرة العربية في الجزء الجنوبي الغربي من قارة آسيا، وتسمى بشبه جزيرة نتيجة لإحاطة المياه بها من جميع الجهات عدى جهة الشمال، فمن الغرب يحدها مياه البحر الأحمر، ومن الجنوب البحر العربي، والمحيط الهندي، ومن الشرق الخليج العربي، هذه المعمورة هي المشهورة بأرض العرب حسب سواد المؤرخين. ولم تقتصر تلك الأراضي بانتفاء العرب إليها إنما تعدتها لتشمل بلاد الرافدين، ولاحقاً بقية أقطار الوطن العربي، فمن هم العرب؟ وما المراحل التاريخية التي مروا بها؟

العرب ينقسموا إلى:

أ-العرب البائدة

ب-العرب العاربة

ج-العرب المستعربة

أ- العرب البائدة:

هم العرب الذين استوطنوا مختلف أراضي شبه الجزيرة العربية، أبرز قبائلهم طسم، وجديس، وعاد، وشمود، وحصور، وعملاق، وأميم، وعييل، وغيرهم.

وهؤلاء قد هلكوا، وأبيدوا عن بكرة أبيهم، إما لإصابة أراضيهم بالجفاف، أو لمخالفاتهم لأوامر خالقهم، ومن ثم ظلمهم لرسولهم وأنبيائهم مما أدى إلى نزول عذاب الله فيهم، ومن ثم فنائهم، وهؤلاء كثيرًا ما جاءت الآيات القرآنية توضح كيفية نزول عقاب الله فيهم وهلاكهم.

ب- العرب العاربة:

وهؤلاء يرجع نسبهم إلى يعرب بن يشجب بن قحطان، ومن مسمى قحطان سموا بالقحطانيين، وهؤلاء موطنهم اليمن.

ومن أشهر قبائل القحطانيين حمير بن سبأ، وكهلان بن سبأ، وأبرز القبائل المتفرخة من حمير بن سبأ، يرى بعض المؤرخين أنهم يتعدون الأربعة عشر بطناً، جميعهم يعرف بالسبئيين، وأما القبائل المتفرخة من كهلان بن سبأ فمنها قضاة: وهذه تفرخت منها بهراء، وكلب، وبلل، والقين، ووبرة، وعذرة، ثم السكاسك.

ومن القبائل المتفرخة من كهلان بن سبأ^(١) همدان، وأهّان، وطيع والأشعريين^(٢)، ومذحج

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٢ ص ١٩٥

(٢) الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٤١

ومن هذه الأخيرة تفرخ منها: عَنَسُ والنَّخَع، ومن القبائل أنهار وهذه تفرخت إلى: خَثَعَمَ
وَبَجِيلَةَ، ومن بجيلة: أَحْمَسُ ومن تلك القبائل لَحْمُ

وهذه تفرخت إلى: كندة، ومن كندة: بنو معاوية، والسَّكُون، والسكاسك، أيضًا من أبرز
القبائل الأزد، وهؤلاء تفرخوا إلى: الأوس، والحزرج، وخُزَاعَة

ونتيجة لإصابة اليمن لتغيرات مناخية أفضت لحلول الجفاف، وبالإضافة إلى انهيار سد
مأرب كان للكثير من القبائل التي تفرخت من هؤلاء أي العرب العاربة المهجرة من اليمن
وإلى مختلف أراضي شبه الجزيرة العربية، وسواءً في شرقها، أو وسطها، أو شمالها بل تعدت
هذه المناطق لتصل إلى أراضي العراق، والشام، وبلدان شمال القارة الأفريقية ابتداءً من مصر-
وإلى أقصى المغرب العربي، وموريتانيا

ومن أشهر القبائل المهاجرة من اليمن إلى إقليم الهلال الخصيب الأراميين، الكنعانيين،
الكلدانيين، الأشوريين، الفينيقيين، البابليين، الغساسنة، المناذرة، العمالقة ومن قصص تلك
الأقوام ما بينه رب العالمين لمعتني الإسلام بالقرآن الكريم قوم سبأ {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي
مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ
فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ
مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى
الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَيَأْمَأْمِنِينَ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ
بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرَّفْنَا هُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ
صَبَّارٍ شَكُورٍ} (١)

ج-العرب المستعربة

يتفرعون من إسماعيل بن نبي الله إبراهيم عليهما السلام، وكل من كان في عهدهما من سكان الجزيرة العربية يتكلم بالعربية، والعرب المستعربة سموا بهذا الاسم نتيجة لعدم انتماء نبي الله إبراهيم للعرب وانتمائه لعابر بن شالخ بن أرفشخذ بن سام بن نبي الله نوح عليه السلام، وكان نبي الله إبراهيم عليه السلام لا يتكلم بالعربية، لكون لغته السريانية، لغة الكلدانيين من سكان بابل العراق. وهاجرت إلى مكة المكرمة وإبقائه فيها لابنه إسماعيل وتربي إسماعيل بين أهالي قبيلة جرهم اليمنية والتي استوطنت مع إسماعيل مكة المكرمة كان لإسماعيل تعلم اللغة العربية، ومنه ومن متحدثي اللغة العربية ابتداءً من عصره سموا بالعرب المستعربة. جديرٌ ذكره أن من المؤرخين من يرى أن القبائل العدنانية تفرخت من أحد أبناء إسماعيل بن نبي الله إبراهيم وأنهم يعدون من العرب المستعربة.

أوضاع العرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في العصر الجاهلي

الحالة السياسية لبلاد العرب

لم تنشأ الدول المركزية وتطور أنظمتها السياسية في العالم العربي دفعة واحدة، فقد كان للمجتمعات العربية مراحلها في الانتقال من اتخاذ القرارات من رب الأسرة إلى زعيم القبيلة، ومن زعماء القبائل إلى ملوك الدول، وبما أن بداية نواة أي مجتمع هي الأسرة، فمن الطبيعي أن يكون ولاء مكونات الأسرة، لكبير الأسرة فهو الحاكم النهائي. وتتجمع عدة أسر في منطقة واحدة أصبحت زمام القيادة في زعيم القبيلة، ثم باتساع دائرة القبيلة إلى عدة قبائل أصبحت القيادة بيد شخص، أو مجموعة أشخاص، وذلك باتفاق قادة القبائل مع وجهاء قومهم على تعيينهم، وباستقرار الكثير من القبائل في الأراضي التي تتوفر فيها التربة الخصبة والمياه هذا الاستقرار كثيرا كان ما يفضي إلى تحول المجتمع إلى مجتمع مدني، وهنا نشأة مفهوم الدولة، أو المملكة وأصبح أمر السيادة للدولة أو المملكة بيد شخص، وهذا كثيرا ما كان يحاط برجال كبار مجتمعه، وذلك بغية اعانتة على إدارة مملكته، أو دولته، وعلى أراضي العرب الممتدة من

البحر العربي جنوباً إلى بلاد ما بين النهرين شمالاً عبر آلاف السنين كثيراً ما شهدت بعض تلك الأراضي استقرار الإنسان فيها، ومما ورد عن أولئك الأقوام ما أوردته النقوش الأثرية والآيات القرآنية فمما أكدته النقوش الأثرية أن أصل العرب يرجع لسكان جنوب شبه الجزيرة العربية، وأن من هؤلاء قوم عاد، وهؤلاء أناس عرفوا بالقوة، والبطش وملكوا البلاد والعباد. ويرى المؤرخون أن موطن هؤلاء الأراضي الواقعة حالياً في عمان وحضر موت، وكانت تسمى بالأحقاف، هؤلاء البشر عرفوا بالاستقرار {واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح، وزادكم في الخلق بسطة} ^(١) وقوم سبأ وهؤلاء بنص الآيات القرآنية عرفوا الاستقرار، وأضحوا قوة كبيرة لا يستهان بها، فمع علم نبي الله سليمان بشأنهم ووصول رسالته إلى ملكتهم أبدى كبار رجال سبأ لملكتهم بأنهم أولي قوة، وبأس شديد، ومن ثم إن رأت ملكتهم بأن يحاربوا نبي الله سليمان فإنهم أهلاً للحرب. وكان للملكة أن اعتنقت دين خالقها، وأسلمت قومها من المواجهات الدامية. ومن مملكة سبأ إلى قوم تبع وهؤلاء وصفهم خالقهم بقوله ﴿أَهْمَ حَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ ^(٢) الشاهد أن القرآن أورد أولئك البشر وبين بأن مكانتهم كانت أكبر من مكانة قريش، وبكونهم لم يعتنقوا عبادة خالقهم أصحابهم العذاب هذه المشاهد التي وردت في القرآن الكريم لم تتناقض بما أوردته النقوش الأثرية اليمنية بالرغم من عدم استيفاء دراسة الآثار اليمنية للمواقع الأثرية.

وبحسب قلة تلك الدراسات إلا أنها أكدت قيام الكثير من الدويلات اليمنية كمعين، وقتبان، وأوسان، وحضر موت، وسبأ كما أكدت تلك الدراسات على قيام الكثير من

(١) الأعراف آية ٦٩.

(٢) الدخان آية ٣٧.

الدويلات اليمينية وبلوغ نفوذها إلى كامل أراضي الجزيرة، ولأسباب عديدة ليست مجال بحثنا كان للكثير من قبائل اليمن مغادرة وطنهم الأم أي جنوب الجزيرة العربية وليحلوا في وسط شبه الجزيرة العربية، كقبيلة جرهم، والتي حطت رحالها بمكة المكرمة، والأوس والخزرج واللذين حلا في يثرب، ولم تقتصر تلك الهجرات في وسط شبه الجزيرة العربية كما ذكرناها آنفا إنما تعدتها ووصلت إلى أراضي بلاد الرافدين وأبرز تلك القبائل هم البابليين، والأشوريين، والفينيقيين، والكنعانيين، والأراميين، والغساسنة، والمناذرة وعبر تلك الأراضي كان لهم الاستقرار فيها، وعليها برز الكثير من الملوك لعل آخرهم ملوك الغساسنة والمناذرة.

وأما ما يخص سكان وسط شبه الجزيرة العربية باستقرار قبيلة جرهم في مكة المكرمة وتوافد الكثير من القبائل اليمينية إلى مختلف أراضي وسط شبه الجزيرة العربية واستقرارهم فيها عرفت تلك القبائل في وقت لاحق بأنهم أولاد عدنان، بينما عرف اخوانهم من سكان جنوب الجزيرة العربية بأنهم أولاد قحطان الشاهد ان الحكم ظل في مكة بيد إسماعيل بن ابراهيم عليه السلام، ومن بعده أبنائه، وانتقل في ما بعد إلى افراد من قبيلة جرهم، ثم انتقل من هؤلاء إلى بني بكر من كنانة، ثم انتقل إلى غبشان خزاعة.

الحالة الاقتصادية لبلاد العرب

شهد العرب قبل وبعد مولد نبي الله عيسى عليه السلام نهضة اقتصادية، فجنوب الجزيرة العربية نتيجة لتوفر التربة الخصبة، ومياه الأمطار، كان لليمنيين استقرارهم في الكثير من أراضيها، ومن ثم تشييدهم لحضارات عريقة، وذلك عبر استثمار بيئاتهم، ومن ثم وضعوا لهم بصمات، دامت بعدهم ولمئات السنين كاستصلاح الأراضي الزراعية على بطون الجبال المتناثرة في مختلف مناطق اليمن، وبناء السدود، وتشبيد القصور، اضافة إلى عملهم في مجال الصناعة ولعل أبرز مصنوعاتهم السيوف، وهذه كان لها شهرتها في العصر الجاهلي، كما كان لصناعة الثياب صدى واسع حين ذاك، وصناعة الحلي. ومن مجال الصناعة إلى مجال التجارة

وهنا كان للبخور اليمني شهرته العالمية، ولعل السبب الرئيس في شهرته استخدامه في الطقوس الدينية، ويتقدم اليمنيين على من سواهم من الكثير من الشعوب حين ذاك لم يغفلهم القرآن الكريم فقد بين أن أرض سبأ كانت أراضي خصبة، وثراها من أجود المنتجات، كما بين أن ملكة سبأ أتت من كل عوامل القوة والبقاء {وَتَقَدَّ الطَّيْرُ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي رَسُولًا مِّنْ رَبِّكَ فَلَمَّكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ} (١) النمل كما أن القرآن الكريم أبدى مدى سعة الخير الذي أمتاز به قوم ملك اليمن تبع {أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّعُ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ} (٢) ومن جنوب الجزيرة العربية إلى وسط وشمال الجزيرة العربية فسكان تلك الأراضي نتيجة لعدم توفر التربة الخصبة والمياه كان غالبيتهم يعيشون في الصحاري؛ بحثًا عن الكلاء، والعشب لمواشيهم ومن ثم اعتمادهم عليها في مأكلمهم، وملبسهم يشذ عن هذا الحال سكان مكة المكرمة، المعروفين بقريش فهؤلاء كان اعتمادهم في توفير مأكلمهم ومشرهم من خلال العمل بمجال التجارة، فقد كانت لهم في السنة رحلتان أساسيتان الأولى شتاء إلى بلاد الشام، والثانية صيفًا إلى بلاد اليمن.

ومن وسط الجزيرة العربية وشمالها إلى العرب الذين حلوا في بلاد الهلال الخصيب وهناك نتيجة لتوفر التربة الخصبة والمياه وأمطار ومياه الأنهار الدائمة الجريان كان لهم الاستقرار في تلك الأراضي، ومن ثم تشييدهم لحضارات عظيمة، ولأهمية وخيرات أراضي

(١) النمل من آية ٢٠-٢٣

(٢) الدخان آية ٣٧.

الهلال الخصيب كان للدولتين العظيمتين الفرس والروم آنذاك استعمارهما لأفضل تلك الأراضي.

ومع اقتراب بعثة الرسول ﷺ كان للفرس استعمارهم لشرق أراضي الهلال، بينما كان للروم استعمارهم لغرب أراضي الإقليم.

الحالة الاجتماعية لبلاد العرب

عرفت مجتمعات العالم العربي إبان العصر الجاهلي بانقسامهم إلى ثلاث طبقات

الأولى طبقة القبيلة

الثانية طبقة الموالي

الثالثة طبقة العبيد

الطبقة الأولى وفي مختلف توأجدها في الأراضي العربية كثيرا ما تفاخرت في نسبها الرفيع وعلو شأنها على سائر أبناء جلدتها، ومع ذلك اشتهرت القبائل العربية بالكثير من الصفات الحميدة كالشجاعة، والكرم، وقرى الضيف، ونصرة المساكين المغلوبين على أمرهم، وكان من شيم القبائل العربية التمسك بعاداتها والمحافظة عليها ومحاسبة من يخل بعاداتها وتقاليدها، وأحيانا كانت القبيلة إذا ما تجاوز أحد أفرادها تلك العادات تعاقبه، وأحيانا تطرده فيلجأ إلى مغادرة وطنه، واللجوء إلى إحدى القبائل، ليعيش بين أكنافها، وهنا يعد جارا أو مولى من مواليتها.

الطبقة الثانية طبقة الموالي

وهؤلاء اندمجوا في القبيلة إما من خلال الحلف، أو من خلال التجاور في الأرض، ونتيجة للحالات المتقلبة لبعض القبائل من حيث العيش على مهاجمة القبائل ومن ثم السلب

والنهب كان الوضع يستدعي لتحالف القبائل في ما بينها، وهنا يضمن التحالف للقبائل الوحدة، والقوة تجاه أي قوة قد تهدد مصالحها.

الطبقة الثالثة هي طبقة العبيد

وهذه كان لها حضور واسع في المجتمعات العربية، ونتيجة لسوء الأوضاع الاقتصادية كان كثير من البشر عندما يعجزون عن توفير ما يقتاتون به يلجئون إلى زعماء القبائل ليعيشوا بين أظهرهم وتحت رعايتهم، ولأن مجتمعات البلدان العربية بل وغيرها من المجتمعات في تلك الأونة تعيش في تناحر وحروب دامية ومن تلك المآسي كان للقوات المنتصرة أخذ نساء ورجال وأطفال القبيلة المهزومة، وليعيش هؤلاء كعبيد مستضعفين لدى أسيادهم، وهنا ساد في تلك الفترة العمل بتجارة البشر، ببيعهم وشرائهم، وكان العدد الأكبر من العبيد في تلك الفترة من أصحاب البشرة السوداء.

جدير ذكره أن طبقة العبيد أضحووا لا حول لهم، ولا قوة، وأصبحوا محرومين من كل الامتيازات التي يتمتع بها أبناء جلدتهم من أبناء القبائل، وعليهم يتم إنجاز كل الأعمال الصعبة.

ونتيجةً لطول الفترة الزمنية بين رسولنا محمد بن عبد الله ﷺ والرسول الذي سبقه كان للناس انحرافهم عن تعاليم خالقهم، لذلك ساد مجتمع العرب العديد من الصفات السيئة كقتل أطفالهم خشية الفقر، ووصل الحال ببعض الآباء إلى دفن بناتهم، وهن أحياء وذلك خشية العار، أو الجوع كما تفشى في الكثير من العرب اللعب بالقمار، المعروف بالميسر إضافة إلى رواج جلب الأموال من خلال التمتع بالإماء، ومن أبرز العادات السيئة التي تفشت في المجتمع العربي في العصر الجاهلي الحروب بين القبائل، إما بدافع الانتقام، أو من أجل نهب ممتلكات القبائل الضعيفة ومن أبرز تلك المعارك الطاحنة حرب داحس والغبراء، وحرب

البسوس، ومع تلك العادات السيئة إلا أن الكثير من العادات الحسنة اشتهر بها المجتمع العربي كالتالي ذكرناها آنفاً.

الحالة الدينية للمجتمع العربي في العصر الجاهلي

مدخل للمعتقدات الدينية

ديانات البشر إبان عصر ما قبل التاريخ

على ضوء الديانة الإسلامية أول من خلقه رب العالمين من البشر هو آدم عليه السلام، وزوجته حواء، ومن نسل آدم وحواء تكاثر البشر كما هو متعارف عليه وإلى يومنا هذا، وبخلق آدم وزوجته كانا أول من عبدا رب العالمين من البشر، وبالرغم أنه في حينها كانا عالمي الملائكة والجان وكل مخلوق في الكون يعبد الخالق ولا وجود لمعتقدات لتعدد الآلهة إلا أن إرادة رب العالمين اقتضت أن يخلق للبشرية عدواً؛ يكن همه وشغله الشاغل صرفهم عن عبادة خالقهم، وهنا عندما أعلى رب العالمين من شأن أبي البشر آدم عليه السلام وذلك بأمره للملائكة بالسجود لآدم عليه السلام سجد جميع الملائكة، إلا إبليس تعالى وتعاضم في نفسه لكونه خلق من نار، لا كما خلق آدم من طين، وإزاء تكبر إبليس عن السجود لآدم ورفضه لأمر خالقه طالب خالقه أن يطيل بحياته، إلى أن تنتهي حياة البشر من على سطح الأرض، وذلك بقيام القيامة، على أن يسخر كل إمكاناته في إغواء البشر، ومن ثم حرفهم عن عبادة خالقهم، وباستجابة رب العالمين لطلبه بين له ولكل البشر أنه وكل من يستمع له ويحذي حذوه سيكون مصيرهم العذاب في الحياة الأخرى، الباقية أبد الأبدين، إلا أن يندم على خطئه ويتوب أثناء الحياة الدنيا.

وبالمقابل كل من يحذره، ويلتزم بتعاليم خالقه، سيكون مصيره السعادة والهناء بالجنة، بعد مغادرته للحياة الدنيا وذلك في الحياة الأبدية.

هذا وكان أول من تسبب في إغوائه ومن ثم عصيان خالقه هو أبو البشر آدم عليه السلام، وذلك عندما حذره خالقه عن أكل إحدى أشجار الجنة، وبإبداء إبليس لآدم وزوجته أن

حقيقة منع خالقها للأكل من تلك الشجرة بغية أن لا يكونا ملكين، أو من الخالدين، وباستجابة آدم وزوجته له وشروعها من أكل تلك الشجرة سرعان ما نزل عليهما عقاب خالقها، وذلك بأن أخرجنا من الجنة إلى الأرض، ومن ثم حرمانها لنعيم فواكه الجنة، هذا وباستشعار آدم وحواء للذنب الذي اقترافه سرعان ما أعلننا التوبة، وطلبنا من خالقها أن يغفر لهما، فغفر لهما، وباستقرار آدم عليه السلام وزوجته في الأرض وإنجابها للأولاد وبمرور السنين وتكاثر نسلها على سطح الكرة الأرضية ومشية رب العالمين أن ينحرف أناس من أولئك الذراري عن أفراد خالقهم بالعبودية، والعبادة، كان تعهده بهم أن بعث لهم من أبناء جلدتهم الأنبياء والرسل، حتى يبينوا لهم حقيقة الهدف من وجودهم على الأرض "عبادة خالقهم وتعمير الأرض".

وهنا كما يرى مؤرخي هذا العصر أن أبرز التجمعات البشرية أو الشعوب في عصر ما قبل التاريخ إضافة إلى العرب هم شعوب كل من الصين، والهند، واليونان، والرومان، وهؤلاء كان لهم تأسيس حضارات عظيمة تلك الحضارات منها ما تأسست قبل سبعة آلاف سنة من مولد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

وهنا جدير ذكره أن هؤلاء البشر مثلهم مثل غيرهم من شعوب الأرض خلال تلك العصور قد تحبطوا في معرفة خالقهم، والهدف من وجودهم على سطح الأرض، وقد عبدوا مخلوقات خالقهم كالسما، والشمس، والقمر، والرياح، والأمطار، والتماثيل.

ولرحمة خالقهم بهم منهم من أرسل لهم الأنبياء والرسل بغية تنوير دروبهم، ومن ثم إعادتهم إلى عبادة خالقهم، وهؤلاء مع غيرهم من سكان الكرة الأرضية آنذاك منهم من اتبع الرسل فاستحقوا رحمة خالقهم، ومنهم من كذب. فكان لهم بالمرصاد عقاب خالقهم، في دنياهم، وفي آخرتهم، ومع بعثة نبي الله إبراهيم عليه السلام أضححت عبادة التماثيل "الأصنام" معششة على شعوب لا يستهان بها ومرورًا بنبي الله وخليله إبراهيم وإلى نبيي الله

موسى وعيسى عليهما السلام وهنا نستطيع نجزم بأن عقائد البشر- تكاد أن تتمحور حول أربع توجهات

الأولى وثنية

الثانية يهودية

الثالثة نصرانية

الرابعة حنيفية

هذه العقائد تمحورت بشكل أساس لدى الشعب العربي وتفاوت اعتناقها في بعض الشعوب.

الوثنية

بالنسبة لمعتنقي الوثنية من العرب مع تكليف رب العالمين لرسوله محمد بن عبد الله ﷺ بنشر الإسلام كانت الديانة الوثنية قد عشعشت على معظم رؤوس العرب، وهنا جدير ذكره أن أقدس الأصنام لدى قاطني شبه الجزيرة العربية صنم.

هبل: وهذا كان مصنوع من العقيق الأحمر، وعلى صورة إنسان.

إساف ونائلة: وهذان صنمان كانا يتواجدا بالكعبة المشرفة، ثم وُضع على الصفا والمروة، وعُبدَا مع غيرهما من تماثيل من قبل قريش

اللات: وهذا كان بالطائف، وعُبد من قبيلة ثقيف.

العزى: وهذا كان بنخلة شمال مكة المكرمة، وعُبد من قبل بني شيبان من سُليم.

مناة: وهذا كان على ساحل البحر من ناحية.

سواع: برهاط بساحل ينبع، وهذا كان يعبد من قبل هذيل المضرية.

ود: بشمال يثرب في دومة الجندل، عبدته قبيلة كلب القضاعية.

فلس: بشمال الحجاز من أرض طيء، عبدته طيء.

يعوق: بأرض اليمن، وعبدته قبيلة خيوان.

ذو الخليفة: بتبالة من أرض اليمن، وعبدته كل من دوس، وبجيلة، وخنعم

نسرا: عبده آل ذي الكلاع من قبائل حمير.

أشكال تعظيم العرب لهذه الأصنام كان العرب يعتقدون بأن لها قدرات على تحقيق مصالحهم، ودفع الضرر عنهم، ومن هنا كانت تحضى بالتقديس، واتخذوا لها بيوتًا وأناسًا قائمين بخدمتها.

زبدة القول مع تكليف محمد بن عبد الله ﷺ بنشر الإسلام كان يوجد في قريش ثلاثمائة وستون صنمًا، موزعة داخل الكعبة المشرفة، وخارجها، وكانت قريش تعظم تلك الأصنام وتمجدها.

اليهودية

بتكليف رب العالمين لنبيه إبراهيم عليه السلام بنشر تعاليم خالقه للبشر عُرف أنه أتى بالحنيفية، وبمولود نبي الله إسحاق عليه السلام كان لهذا النبي أن رزقه رب العالمين بمولوده يعقوب، وهذا النبي أُسمي كذلك بإسرائيل، وعرف أولاده ونسلهم ببني إسرائيل، وهؤلاء الأوائل كانوا على منهج أبيهم إبراهيم عليه السلام، دين الحنيفية، أي: دين الفطرة التي فطر رب العالمين البشر عليها، وبمرور السنين ومع بعثة نبي الله موسى عليه السلام كلفه رب العالمين بما كلف به الأنبياء والرسل الذين سبقوه بدعوة الناس إلى أفراد خالقهم بالعبودية، وأتى نبي الله موسى بكتاب التوراة، والذي فيه ومن خلاله نُحل فيه كل مشاكل بني إسرائيل الدينية، والدينية، وخلال مسيرة نبي الله موسى عليه السلام الدعوية وذات يوم وموسى عليه السلام يخاطب خالقه بقوله: "إنا هدنا إليك" ومن هنا كان لأنصاره الأخذ بهذا اللفظ

ومما سبق وبمرور السنين كان تسمية ما جاء به نبي الله موسى من تعاليم ربانية بالديانة اليهودية، كما أصبح كل من يؤمن بها جاء به موسى عليه السلام من تعاليم ربانية يُطلق عليه يهوديا، ومروراً بنبي الله عيسى عليه السلام ومع بعثة محمد بن عبد الله ﷺ كانت الديانة اليهودية منتشرة في الكثير من أصقاع الأرض، ومنها بلاد الشام، والعراق، والجزيرة العربية، وهذه ففي جنوبها عُرف اليهود بيهود اليمن، وفي شمال الجزيرة تواجد اليهود في يثرب، وفدك، وتيما، وخيبر. هذا وكان بوفاة نبي الله موسى عليه السلام سرعان ما انحرف الناس عن الدين، وتعاليمه وما أن جاء عصر نبي الله عيسى عليه السلام إلا وكانوا قد ازدادوا بعداً عن نهج دين موسى عليه السلام، لذلك كانت رحمة الله بهم أن بعث لهم نبي الله عيسى عليه السلام، وبوفاة هذا النبي وبالرغم من إتيانه بكتاب الله المقدس الإنجيل ظل فريق من معتنقي منهج نبي الله موسى عليه السلام محافظين عليه، وذلك عبر كتاب الله التوراة، لكن هذا الكتاب بمرور السنين حرف الكثير من محتوياته، ومع ذلك ظلت فيه الكثير من التعاليم الربانية لم يشملها التحريف، وإلى بعثة نبي الله محمد بن عبد الله ﷺ، وبعثته الشريفة كان اليهود قد مزقهم الله كل ممزق وقطعهم الله في الأرض أَمَا.

النصرانية

مع بعثة نبي الله موسى عليه السلام خص باحتضان الدعوة إلى دين رب العالمين بني إسرائيل ومع مرور الزمن أطلق عليهم بمعتنقي الديانة اليهودية، كما أبدينا، ثم باعتراف الكثير من الناس للدين الذي أتى به نبي الله موسى عليه السلام، أطلق على هؤلاء مع بني إسرائيل باليهود، وعندما أدخل علماء بني إسرائيل بعض التغيرات على كتاب الله التوراة المنزل على نبي الله موسى عليه السلام من ثم انحرف معتنقي اليهودية عن النهج الرباني، كانت عناية خالقهم بهم بتكليف نبي الله عيسى عليه السلام بالنبوة، وهذا سارع بتصحيح الانحرافات التي انجرف وراءها معتنقي اليهودية، وذلك على خلفية تكليفه بنشر دين رب العالمين، كما أنزل عليه خالقه كتاب الإنجيل، وهذا الكتاب الرباني أضحى مكملًا لما أنزل

على موسى عليه السلام، كتاب الله التوراة، ومن منبع موطن نبي الله عيسى عليه السلام أرض الشام وعلى الأخص من بيت المقدس بفلسطين كان لنبي الله عيسى عليه السلام الشروع في دعوة معتنقي اليهودية وغيرهم إلى عبادة خالقهم، وخلال دعوته وفي إحدى السنين خاطب نبي الله عيسى عليه السلام أنصاره بقوله {فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}. وبمرور الزمن من هنا أطلق على ما كلف به نبي الله عيسى عليه السلام بالديانة النصرانية، وكذلك أطلق على كل من يعتنق الدين الذي جاء به نصرانياً، هذا وبالرغم من المعجزات الفريدة التي حُص بها نبي الله عيسى كإحياء الموتى إلا أن بني إسرائيل قادهم التعنت إلى التآمر على قتل نبي الله عيسى عليه السلام، وبوشك إقدامهم على قتله رفعه إليه خالقه من بين أيديهم، بينما شبه للقوم بأنهم قتلوه، وبرفعه عليه السلام من بين أيديهم وبمرور الزمن وما أن كلف محمد بن عبد الله بنشر الإسلام إلا وكانت النصرانية قد انتشرت ابتداءً من الشام وإلى مختلف أراضي القارات الثلاث، آسيا، وإفريقيا، وأوروبا وبها فيها الجزيرة العربية، وتحديدًا في نجران من أراضي اليمن، وبهذا الانتشار وبمرور السنين أدخل علماء النصراني الكثير من التحريفات على كتاب الله المقدس الإنجيل، مما أدى إلى انحراف الناس عن منهج رب العالمين، الذي ارتضاه لهم، وما أن جاء عصر- محمد بن عبد الله ﷺ إلا ووصل معتنقي النصرانية إلى الاعتقاد بأن رب العالمين مكون من ثلاثة: رب العالمين، وعيسى، وأمه مريم، وحين ذلك شاء رب العالمين لعالم البشر والجان أن تكون هدايتهم على يد نبي الله المرسل محمد بن عبد الله ﷺ.

الحنيفية:

وتعني دين الفطرة، أي عبادة رب العالمين.

والحنيفية اختصت بالتعاليم الربانية التي أتى بها نبي الله إبراهيم عليه السلام، وبطول الفترة الزمنية من عهده وإلى عهد نبي الله محمد بن عبد الله ﷺ هذا من جانب ومن جانب

آخر اعتناق سواد العرب للوثنية وجزء منهم لليهودية والنصرانية لم يعلم عن أناس على دين الحنيفية عدى زيد بن عمرو بن نفيل، هذا الرجل عُرف لدى أناس زمانه بأنه على دين نبي الله إبراهيم عليه السلام، وبانفراده في معتقده إلا أنه حينها كان يوجد من العرب من ينكر عبادة التماثيل، والأصنام، والأنصاب ويرى أنها مخلوقات لا تضر ولا تنفع.

الموطن الأول للإسلام

مكة المكرمة

أولا موقع مكة المكرمة باستطلاع التاريخ لموقع مكة وأول من استوطنها يتضح أن مكة المكرمة تقع في وسط شبه الجزيرة العربية، الواقعة في جنوب غرب قارة آسيا، تلك الأرض المقدسة تحوي جبال فاران، بالوادي الأمين حيث الأرض المباركة، والتي اختصها الله لتحوي بيت الله الحرام، وموطن رسول العالمين محمد بن عبد الله ﷺ.

ثانياً أول من سكن مكة المكرمة.

بتكليف رب العالمين لخليله إبراهيم عليه السلام بنشر دينه كان لنبي الله إبراهيم اجتهاده بتوعية مجتمعه بموطنه من أرض العراق في خلل معبوداتهم، وبين لهم أن آلهتهم مصنوعة بأيديهم، وهي عاجزة عن جلب المصالح لهم، أو دفع الأضرار عنهم، كونها عبارة عن أحجار صماء لا تسمع، ولا تنطق، ولا تعقل ومع كل ما بذله لقومه إلا أنهم ازدادوا كفرًا بإبراهيم وخالفه، فهاجر من موطنه إلى الأرض التي باركها رب العالمين للأنام أرض الشام إحدى أهم مواطن الديانة السماوية وذلك بغية مواصلة دعوة الناس إلى اعادتهم إلى عبادة خالقهم، ورازقهم رب العالمين.

كما كان لنبي الله إبراهيم دخول مصر، وهناك أهديت له هاجر، وهذه كرمها الله بإنجابها لإبراهيم ولده إسماعيل، وقد كان نبي الله متزوج من سارة عليها السلام، وبمغادرة نبي الله إبراهيم لمصر وحلوله بالواد الأمين المحاط بجبال فاران أي في مكة المكرمة وهناك تلقى نبي

الله إبراهيم الأوامر الربانية بأن يترك زوجته هاجر وطفله إسماعيل فيها، ويواصل سفره بدونها، ولأن خليل الله إبراهيم يعلم بأن خالقه، رب العالمين هو الحافظ والرازق لكل مخلوق بالكون امتثل لأوامر خالقه وطلب من زوجته أن تبقى في تلك الأرض، والتي كانت خالية لا فيها أناس ولا زرع، وبسماح هاجر لطلب زوجها أخذتها الدهشة والاستغراب؛ كيف له بأن يتركها وطفلها في تلك الأرض وبالرغم من استغرابها لحديث زوجها سرعان ما استفسرته عن سبب طلبه لبقائها وطفلها في تلك الأرض المففرة، وهنا كان لنبي الله وخليئه إبراهيم أن يبين لزوجته بأن خالقها هو من أراد لها أن تبقى وطفلها في تلك الأرض، وهنا استجابت هاجر لأوامر خالقها، وذلك لكونها تدرك أنه لن يضيعها وطفلها.

فتركها إبراهيم وطفلها الرضيع ليسافر عائداً إلى أرض الشام، وخلال الطريق خاطب خالقه بقوله { رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُرِّيِّ بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ } (١)

وكان قد ترك لديها جراباً فيه طعام وسقاءً فيه ماء، وباستهلاك هاجر للماء والطعام وحلول الجوع والعطش فيها وفي طفلها صعدت إلى جبل الصفا ونظرت يميناً وشمالاً لعلها تجد ما يروي ظمأها، لكنها لم ترى شيئاً، وبنظرها للأمام وجدت جبل المروة فنزلت من جبل الصفا وصعدت على جبل المروة، لكنها لم تر شيئاً، ثم هبطت من جبل المروة عائدة إلى جبل الصفا، ولشدة ضماها وقلة حيلتها سعت ما بين الصفا والمروة سبع مرات، ومع ذلك الضيق والهم الذي لا يطاق كان الفرج من قبل خالقها إذ أخرج الله الماء من بين قدمي طفلها، وهنا شكرت خالقها على تفضله عليها وعلى طفلها، ومن شدة فرحها أخذت تحيط الماء بالتراب والحجار وتقول زم زم، أي تجمع لا تتدفق، فأصبح البئر المعروف وإلى يومنا هذا يعرف ببئر

زمزم، ثم كان أيضًا من تفضل الله على هاجر وطفلها أن بعث إليها برجال من قبيلة جرهم اليمنية أولئك الرجال خلال سفرهم واقترابهم من مكان هاجر وطفلها رأوا طيرًا يحوم بذاك المكان، وكان أولئك قد برح بهم العطش، ومع معايتهم لذاك الطير أدركوا بأنه يحوم حول الماء، وهنا كان لهم سرعة التوجه صوب الماء بوصولهم رأوا هاجر وطفلها إسماعيل فاستبشروا بهما الخير وظلوا في ذاك المكان متخذين منه موطن لهم.

وتدور الأيام والسنين ويشاء الله أن يكون نبي آخر الزمان من نسل نبي الله إسماعيل ويولد في تلك الديار المقدسة.

استيطان مكة وبناء البيت العتيق

كما ذكرنا إلى عصر نبي الله إبراهيم عليه السلام كانت مكة المكرمة أرض خالية من السكان، وغير ذي زرع، وبتلقي خليل الله إبراهيم عليه السلام أمر خالقه بأن يترك زوجته هاجر وطفلها إسماعيل في مكة

كانا أول من استوطنها، ثم بوصول رجال من قبيلة جرهم اليمنية إليهما واستقرارهم في مكة كان الجميع مؤسسي تلك الديار، وبعد سنوات من مغادرة نبي الله إبراهيم لزوجته وطفله متجهًا إلى بلاد الشام عاد إلى مكة، وحينها أمر الله خليله إبراهيم أن يبني بيت الله الحرام، وباستجابته لأمر خالقه قام ببناء الكعبة المشرفة، وساعده على بنائها ولده إسماعيل عليه السلام (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ

أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (١) ثم بإكمال بنائهما للكعبة المشرفة أمر الله خليله إبراهيم أن يؤذن في الناس بالحج (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ

عميق^(١) وهنا كان لإبراهيم عليه السلام أن صعد إلى جبل قيس وأذن في الناس وابتداء من ذلك الأذان أصبح بيت الحرام مطلبًا للحجاج يأتوه من كل فج عميق.

ابن الذبيحين

يرجع نسب رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ إلى إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام وهنا يعد الذبيح الأول إسماعيل عليه السلام، وفي عهده شاءت إرادة رب العالمين أن يتلي خليله إبراهيم عليه السلام، فذات يوم رأى خليل الله في المنام أنه يذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام، وكما هو معروف بأن الأطفال فلذات أكباد آبائهم، وهنا كيف يمكن لأب أن يذبح ولده الشاهد بما أن رؤية إبراهيم في ذبح ولده يعد أمر من رب العالمين لخليله، لذلك ما كان أمام الأب الحنون الرحيم على طفله من خيار إلا أن يمثّل لأمر خالقه {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبِحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} ^(٢) وهنا أدرك كل من خليل الله إبراهيم عليه السلام وزوجته هاجر وولدهما إسماعيل أن ما عليهم إلا الامتثال لأوامر خالقهم، فكان لإبراهيم عليه السلام أن أخذ مديّة بيده وبوضعها على رقبة ولده بغية ذبحه، وكانت إرادة الرحمن الرحيم مطلعة على قلب الأب والأم المملوءة حبًا وحنانًا وعطفًا على ولدهما ومع ذلك لا أمامهما إلا الاستجابة لأمر خالقهما وذلك بالإقدام على عمل بشع لا يقبله بشر أي ذبح ولدهما، مما سبق وقبل أن تقطع المديّة رقبة إسماعيل كان لرحمة الله بالثلاثة الأب، والأم، والابن، قد تجلّت وذلك بأن فدى الله إسماعيل عليه السلام الله بكبش أملح كبير قال تعالى {فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا

(١) الحج آية ٢٧

(٢) الصافات ١٠٢

إِبْرَاهِيمَ قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ (١)

الذبيح الثاني والد الرسول عبد الله بن عبد المطلب.

يذكر أن شبيبة الحمد المعروف بعبد المطلب نذر لله إذا ما رزقه بعشرة أولاد سيذبح أحدهم، له ولأن عبد المطلب يعيش في مجتمع منحرف عن التعاليم الربانية، ولا يدرك أن شريعة رب العالمين لا تبيح ذبح البشر، واجتهاداً منه نذر نذرته، الشاهد بمرور السنين رزق الله جد رسول الله عبد المطلب بعشرة رجال وهنا كان لعبد المطلب توجهه بالوفاء بنذره، أي بذبح أحد أولاده، فاقترع على أيهم يكون الذبح فجاءت القرعة على والد الرسول عبد الله، وهذا كان أحب الأولاد إلى قلب أبيه، وبإقدام عبد المطلب على ذبح ولده عبد الله بجوار الكعبة منعه رجال من قريش؛ واقترحوا عليه أن يستفتي عرافة كانت بالمدينة في إمكانية العدول عن ذبح ولده وباستجابته لمقترحهم أخذ ولده، عبد الله وذهب به إليها، وشكى لها قصته، فأبدت له أنه يمكن أن يعدل عن ذبح ولده وذلك بأن يضع عشرًا من الإبل مقابل عدم ذبحه، وأن يضرب بالقداح على الإبل وعلى عبد الله فإن جاءت النتيجة على الإبل تذبح، ومن ثم يسلم عبد الله، وإن جاءت على عبد الله يزيد العشر عشر إبل ثم يضرب القداح وإن جاءت النتيجة على عبد الله يظل يضاعف الإبل، عشرًا عشرًا وإلى أن تأتي القداح في الإبل هنا يذبح الإبل ويستبقي عبد الله، وكان لعبد المطلب أن ظل يضاعف عدد الإبل إلى أن وصلت مائة، فجاء القداح عليها فذبح المائة واستبقي ولده عبد الله، والذي من خلاله أنجب رسول رب العالمين.

نسبه وولادته

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وقصي- يتصل نسبه بعدنان، وعدنان يرجع نسبه إلى نبي الله إبراهيم عليه السلام، ونبي الله إبراهيم وكل البشر في كل زمان ومكان يرجع نسبهم إلى أبي البشرية آدم عليه السلام، وآدم خلقه الله من تراب.

وكما أبدينا آنفاً أن جد رسول الله ﷺ عبد المطلب قد رزقه خالقه بعشرة رجال كان أصغرهم عبد الله والد الرسول ﷺ، وهذا كان من أحب الأبناء إلى والده عبد المطلب. وبتزوج عبد الله من أمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، وبعد فتره قصيرة من زواجه ذهب والد الرسول ﷺ للعمل وذلك بمجال التجارة في عير لقريش، وبرحلة القافلة إلى الشام وأثناء عودتها كان المرض قد أصاب والد الرسول ﷺ، وهنا ما إن وصلت القافلة يثرب إلا وأجبر المرض عبد الله بن عبد المطلب أن يمكث عند أخواله من بني عدي بن النجار، بينما رفاقه عادوا إلى مكة وأخبروا والده عبد المطلب بمرضه فأرسل إليه أخيه الحارث ^(١) ولكن هذا ما إن وصل يثرب إلا بعد فوات الأوان، حيث كان عبد الله قد أتمه الوفاة، وكانت وفاته لشهرين خلتما من حمل زوجته، ومع وصول خبر وفاة عبد الله إلى أبيه وزوجته حزنوا عليه كثيراً، ثم ما لبثوا أن استسلموا لإرادة خالقهم، وبمرور الشهور وضعت أمنة بنت وهب طفلها في مكة المكرمة، وذلك فجر يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ٥٧١م الموافقة لعام الفيل ^(٢) حسب تقدير فئات من المؤرخين ولد طفل عبد الله بن عبد المطلب مسروراً، أي مقطوع الحبل السري الذي يصله بأمه، كما ولد مختوناً أي مقطوع غلفة ذكره، وذلك خلافاً للمواليد

(١) الرسل والملوك الطبري ج ١ ص ٣٢٩

(٢) عام الفيل هو العام الذي أراد أبرهة الأشرم هدم الكعبة المشرفة بواسطة الفيل.

وبمولده طار خبر ولادته إلى جده عبد المطلب ففرح به كثيرًا.

وسماه بمحمد وكان أثناء ولادته قد حضنته بركة الحبشية، أمة أبيه عبد الله، كما أرضعته ثوبية أمة عمه أبي لهب.

طفولته المبكرة

مع الأيام الأولى من حياة طفل عبد الله بن عبد المطلب كان لجده عبد المطلب بصمات جليلة في رعاية ابن ابنه، وذلك أن تعهده بعطفه، وفضله، وأولى صور اهتمامه به وبحسب المتعارف عليه آنذاك أن آلفه للطفل أن يُرضع ويترعع في البادية بعيداً عن أبيه، وأمه، وبلده ومن هنا كان سادة قريش ما أن يُرزقوا بالأطفال سرعان ما يرسلوهم للبادية. وبوصول نسوة من بني سعد بن بكر إلى مكة يطلبن أطفالاً لإرضاعهم مقابل أجره متفق عليها، وهنا مما ورد عن مرضعة الرسول حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية: "قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم، وذلك أننا نرجو المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول يتيم ما عسى أن تصنع أمه وجده، فكنا نكرهه لذلك فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعاً، غيري. فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي: إني لأكره أن أرجع من بين صواحباتي ولم آخذ رضيعاً.

والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلاأخذنه (١) وحينها أقدم عبد المطلب بتسليم حفيده حليلة بنت ذؤيب السعدية، وهذه كانت زوجة لأبي كبشة فأخذته وعادت به إلى بلادها، وكانت بلدتها تعاني من شح الأمطار مما انعكس على جفاف المراعي، وبذلك الظرف العصيب وبمقدم طفل عبد الله إليهم كانت إرادة الخالق أن تعهدهم بفضله، وأنزل عليهم السماء

(١) تاريخ الرسل والملوك الطبري ج ١ ص ٣٢٩

مدرارا، فاحضرت الأرض، ونمت الأعشاب، ودرّت الضروع، وهنا استبشرت حليلة وزوجها خيرا بمقدم هذا الطفل، وظلت حليلة ترضعه، وتتعهده بعنايتها، إلى أن قارب الخمس سنوات أعادته إلى والدته وجده ^(١) وخلال الأيام الأولى من حياة الرسول عوضه جده عن حنان أبيه، مع أن حنان الأب لا يضاهي، وذلك أنه أحبه حبًا عظيمًا إلى درجة أن قدّمه على سائر ولده. وأما أمه فبعد عودته من دار مرضعته فقد وجدت فيه ما يسليها عن فقد والده، وتمر الأيام وترى أمّنة أن تزور قبر زوجها، وكان قد قبر عند أخواله من بني النجار، أي أخوال جده عبد المطلب ^(٢) يثرب، فاصطحبت طفلها وأم أيمن بركة الحبشية وانطلقت بهما إلى يثرب، وهناك ظلت بضيافتهم إلى شهر وبعدها قفلت عائده إلى مكة، وبينما هي في الطريق أصابها المرض الذي أدى إلى وفاتها، حينها كانت الفاجعة لأم أيمن فبموت أمّنة بين يديها واستشعارها بحال الطفل الذي فقد أباه وهو في بطن أمه وبحرمانه من عاطفة ومواساة الأب تراه يفقد أمه، فمن ذا الذي يمكن أن يصل إلى مرتبة أمه أو أبيه! حتى ينمو ويتعرع في كنفه؛ لكنها إرادة رب العالمين، وتألّم المسكينة لحال الطفل سارعت في مواراة أمه في التراب، وذلك بالأبواء وهذه منطقة بين مكة والمدينة، وعادت به أم أيمن بركة إلى مكة المكرمة، لتسلمه إلى جده عبد المطلب، وبهذا الحال أصبح محمد ﷺ في مقتبل عمره يتيم الأب والأم، لكن جده كان قد أولاه فائق حبه، وعطفه، ومن صور مواساته لحفيده اصطحابه إلى جلساته مع سادات قريش وظل في كنفه يتعرع إلى السنة الثامنة من عمره وحينها أتت الوفاة جده عبد المطلب، عن عمر ناهز المائة والعشرين سنة، وكان قبل وفاته قد أوصى ولده أبا طالب بكفالة حفيده.

(١) الثقات لابن حبان ج ١ ص ٤٠

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٤٠

الرسول برعاية عمه أبي طالب

بوفاة جد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وديمومة افتقار الرسول لحنان الأم والأب ثم أخيراً جده ولعله ذات يوم وأحد أقرانه يناديه أبوه برفق وود فينظر اليتيم إلى نفسه مفتقراً إلى نظرة أبي رحيمٍ أو إلى كلمة أم حنونٍ لكنها إرادة رب العالمين، ومع ذلك فقد أحاطت العناية الإلهية برسوله عبر تحنين قلب عمه أبي طالب وهذا رغم كثرة أولاده وقله أرزاقه إلا أنه آلى على نفسه إلا كفالة ابن أخيه، وشمله بعنايته، وفضله، وبمرور الأيام والشهور أصبح محمد بن عبد الله ﷺ متربّعاً على قلب عمه أبي طالب، مما أدى به إلى اصطحابه في رحلته إلى بلاد الشام عبر عير قريش ^(١) وكان قد بلغ من العمر اثنتي عشر-سنة، وبوصول قافلة قريش بصرى من أرض الشام تعرف على محمد بن عبد الله ﷺ بحيرى الراهب ^(٢) وهذا كان يدين بالنصرانية، وعلى علم بالإنجيل، فنظر في محمد بن عبد الله ﷺ علامات نبي آخر الزمان فسأل أبا طالب: ما هذا الغلام منك؟

قال: ابني. قال بحيرا ما هو بابنك، ما ينبغي أن يكون أبوه حياً.

قال: فإنه ابن أخي.

قال: فما فعل أبوه؟

قال أبو طالب: توفي وأمه حبلت به.

قال: فما فعلت أمه؟

قال: توفيت قريباً.

(١) الثقات لابن حبان ج ١ ص ٤٢

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ٢٤

قال: صدقت، ارجع بابن أخيك إلى بلدك، واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه الذي أعرفه ليبغنه عنتا، فإنه كائن لابن أخيك شأن عظيم، نجده في كتبنا، وقد أخذ علينا موثيق.

هذا وكان علماء اليهود والنصارى على علم بصفات نبي آخر الزمان، تلقوا هذه الصفات من واقع كتبهم المقدسة، أي التوراة، والإنجيل، وبتلقي أبي طالب ذاك الخبر علت منزلة ابن أخيه في نفسه، رغم جهله بما سيؤول الحال بابن أخيه، وما الشأن الذي سيحظى به.

شهود الرسول حرب الفجار وحلف الفضول

حرب الفجار دخلتها قريش بغية الدفاع عن قداسة الأشهر الحرم، والتي ورثوا قداستها وحرمتها عن آباءهم، وأجدادهم وهذه الحرب دار رحاها بين كنانة برفقة قريش وبين قيس، ومحتواها أن ملك الحيرة النعمان بن المنذر كانت له تجارة يرسلها للبيع في سوق عكاظ، عبر أحد الرجال وفي أحد الأيام وبينما النعمان في مجلسه وإلى جواره عروة بن عتبة والبراء بن قيس الكناني فتحدث النعمان متسائلاً من يميز لي تجارتي هذه حتى يبلغها عكاظ؟ فأبدى البراء استعداداً في إجازتها على بني كنانة، فقال النعمان على الناس كلهم، فدخل في الحوار عروة وقلل من قدر البراء ^(١) وأبدى استعداده عرضها على جميع الناس، فوافق النعمان على إعطائه تجارته إلا أن البراء كان قد حقد على عروة وبيت له الشر، وبتربصه بعروة سرعان ما أرداه قتيلاً ^(٢) وبوصول خبر مقتله إلى قبيلته ثارت حميتهم لأخذ الثأر، وسرعان ما نشبت الحرب بين قبيلة عروة قيس وقبيلة كنانة بصحبة قريش، وأثناء تلك الحرب كان عمر رسول الله ما بين الخامسة عشر والعشرين عاماً، وشارك قومه فيها، وقيل إن المشاركة

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ج ١ ص ٦١

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٢ ص ٢٨٩

كانت بالقتال وقيل كانت بعون المقاتلين ^(١) الشاهد ومع اشتداد الحرب احتمت قريش بحرمها، إلا أن نفوس القيسيين لم تطب بتلك النتيجة، وتواعدوا أن تستأنف الحرب العام المقبل في عكاظ، ومع استئناف الحرب واشتعال لهيبها أزهقت الأرواح، واستبيحت حرمان مكة المكرمة، والتي كانت مقدسة لدى العرب مما أدى بتسميتها بيوم الفجار ^(٢) وخلال اليوم الأول من الحرب واستبسال الفريقين في القتال كان النصر- في أول اليوم لقيس على كنانة، ولكن مع الظهيرة سرعان ما تفوقت كنانة على قيس ^(٣) وأثناء ذلك الظرف العصيب تدخل المصلحين وأوقفوا نزيف الدماء، عبر صلح ما مضمونه حصر قتلى الفريقين ومن كان له قتلى أكثر يستلم ديات قتلاه، وبعد الحصر- كانت زيادة القتلى في صفوف القيسيين، وباستلام ديات قتلاهم أفضل ملف الحرب، وعقب هذه الحرب رأى سادة قريش أن يؤسسوا حلفاً بينهم مفاده التناصر والتناصح على فعل الخير، ونصرة المظلوم وعندما رسخت الفكرة في أذهانهم اتفقوا على الاجتماع في منزل عبد الله بن جدعان، وأبرز المجتمعين بني المطلب ابني عبد مناف، وبني هاشم، وبني تميم، وبني تميم، بن مرة، وبني أسد بن عبد العزى، وبني زهرة بن كلاب، وبحضور أولئك ومحمد ﷺ مع أعمامه فيهم تحالفوا وتعاهدوا على مناصرة أي مظلوم، ودفع الظلم عنه، وإعادة الحق له، وسواء كان المظلوم من مكة أو من عداها. وبعد تكليف محمد بن عبد الله ﷺ بنشر الإسلام مما أثر عنه في هذا الصدد قوله: "شهدت مع عمومتي حلف المطيبين فما أحب أن لي حمر النعم وإني أنكته" ^(٤)

(١) سيرة بن كثير ج ١ ص ٢٥٥

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٢٥٥

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ج ٢ ص ٢٨٩

(٤) صحيح ابن حبان ج ١٠ ص ٢١٦



ممارسته للعمل

استهل محمد بن عبد الله ﷺ باكورة شبابه بممارسة العمل المتاح له آنذاك في بيئته القرشية، وذلك في رعيه للأغنام مقابل قراريط (١) من أصحابها، وكما هو متعارف عليه يخرج صباحًا ويعود مساءً، وخلال هذا الوقت يظل يرعاها متنقلًا من وادي إلى آخر بغية إشباعها، بينما يظل جائعًا ومع أن محمدًا ﷺ مكانته عظيمة عند رب العالمين لكن هذا هو حاله يعمل ويكدح لتوفير عيشه بالحلال، هذه المعاناة هي حقيقة الحياة على الأرض، هذا من جانب ومن جانب آخر كانت إرادة رب العالمين تعده لتحمل مسؤولية ومشاق الدعوة لدين رب العالمين وبلوغ عمره الخامسة والعشرين عامًا انتقل من رعي الأغنام إلى العمل بميدان التجارة، ولصالح تاجرة قريش خديجة بنت خويلد، وهذه استدعته نتيجة للصفات التي عُرف بها من صدق، وأمانة، وبمقابلته إياها عرضت عليه أن يخرج بها متاجرًا إلى بلاد الشام (٢) على أن تعطيه أفضل ما تعطي غيره من التجار (٣) فلبى طلبها وخرج بتجارتها إلى بلاد الشام، برفقة غلامها ميسرة، وبوصوله بلاد الشام وبيع تجارته تضاعف ربحها مما زاد من سرور خديجة بنت خويلد وإعجابها بأمانة محمد بن عبد الله ﷺ.

تزوجه بخديجة

تعد خديجة بنت خويلد من النساء المرموقات في قومها وذلك لنسبها، وجمالها، ودماثة أخلاقها وقبل تزوجها بمحمد بن عبد الله ﷺ كان قد سبق أن تزوجت برجلين الأول عتيق

(١) القراريط هي جزء بسيط من الدرهم أو الدينار

(٢) الأمم والملوك الطبري ج ١ ص ٧٣

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٢٦٢

ابن عابد، والثاني أبو هالة هند بن زرارة التميمي، وقبل أن ترغب بالزواج من محمد بن عبد الله ﷺ كان قد رغب فيها عليه قومها، لكنها كانت ترفض تلك الزيجات وذلك لأن إرادة الله قد اختصت خديجة بالزواج من رسول الله، وبمرور الشهور والسنين عليها شاء خالقها أن تنساب الأحداث التي تفضي إلى رغبتها بالزواج من محمد بن عبد الله ﷺ، وذلك بعد عمله بتجارها، ومعانتها لصدقه، وعلو أخلاقه ومن هنا رأت فيه ضالتها المنشودة، بأن يكون لها زوجا، ولتحقيق رغبتها عرضت عليه الزواج عبر صديقتها نفيسة بنت منية، وهذه خاطبته بقولها: " ما يمنعك أن تتزوج فقال ما بيدي شيء، فقلت فإن كفيت، ودعيت إلى المال، والجمال، والكفاءة قال ومن؟ قالت: خديجة فأجاب (١) وقيل إن خديجة قالت له "إني قد رغبت فيك لقربتك، ووسطك في قومك، وأمانتك، وحسن خلقك، وصدق حديثك" (٢) وبتلقيه ذاك العرض وجد فيها الزوجة الصالحة، لذلك أعرب لأعمامه عن رغبته في الزواج من خديجة بنت خويلد، وهؤلاء سرعان ما لبوا طلبه، فقد ذهب أبو طالب وحمزة إلى عم خديجة عمرو بن أسد وخطبوا إليه ابنة أخيه (٣) وأعطوا عشرين بكرة صداقاً لها، وأبدى أبو طالب أن ابن أخيه لا يوزن به فتى من قريش، وذلك لنبله، وعقله وإن كان في المال قلة فإن المال ظل زائل، وعارية مسترجعة ويقبول الخاطبين مما أبداه عم خديجة قوله: " هو الفحل الذي لا يجده أنفه" وتم الزواج وكان عمره حينها خمسة وعشرون عاماً بينما كان عمر خديجة أربعين سنة.

(١) ابن حجر الإصابة في تمييز الصحابة ج ٧ ص ٦٠٢

(٢) الطبري الأمم والملوك ج ١ ص ٥٢١

(٣) القرطبي الإعلام بما في دين النصارى ص ٢٨٨

مشاركته في إعادة بناء الكعبة

الكعبة المشرفة بيت الله الحرام، بناها نبي الله إبراهيم عليه السلام بأمر من خالقه {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (١) وابتداءً من بنائها وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها أضحى لها مكانة عظيمة في قلوب العرب خاصة، ومعتققي الإسلام عامة، فما سر هذه المكانة؟ هذا ما سيتضح لاحقاً فنبلوغ محمد بن عبد الله خمسة وثلاثون عاماً كان سادة قريش قد قرروا إعادة بناء الكعبة المشرفة وذلك بعد تشقق جدارها نتيجة لتعرضها للتعرية المائية، والهوائية، وبتأثير كبار رجال قريش في ضرورة إعادة بنائها، ولمكانتها العظيمة في أنفسهم رصدوا لها أطيب أموالهم، ثم شرعوا في بنائها، وعند وصولهم إلى وضع الحجر الأسود ولمكانته اختلفوا في من يأخذه ويضعه في مكانه، ومع تأزمهم ونقاشهم المطول والذي طال لأربعة أيام في من يستحق أخذ الحجر الأسود بيده ووضع في المكان المناسب له توصلوا إلى اقتراح مفاده تحكيم أول داخل عليهم من باب المسجد، فكان محمد بن عبد الله ﷺ، بوصوله ما كان منهم إلا أن قالوا هذا لأمين رضىنا به، هذا محمد ﷺ وبفضل الله على رسوله ألهمه بأن يطلب منهم ثوبا فأحضره فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه أخذ الحجر ووضع بيده.

تعبده في غار حراء

ما هي معتقدات محمد بن عبد الله ﷺ قبل تكليفه بنشر الإسلام إن معتقده الديني قبل نزول الوحي عليه ما هو في حقيقة الحال إلا انعكاساً لواقع بيئته القرشية، وبيئته وصفها الخالق بقوله {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ { (١) فسواد قريش كانوا أثناء بعثته أميين لا يقرؤون ولا يكتبون ومحمد بن عبد الله ﷺ ولد يتيماً ولم يورث له والده أموالاً ولذلك ظل محتاجاً لمن يتكفل بنفقاته فكان لذلك جده ثم عمه وبناءً على واقعهم الاقتصادي المتدني ولحكمة ابتغاها رب العالمين لم يحصل رسول رب العالمين على شيء من التعليم {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } (٢)

وأما معتقده الديني وانطلاقاً من واقع بيئته قريش فقد أشركوا في عبادة خالقهم من خلال عبادتهم للتماثيل والأنصاب وعلى سبيل المثال لا الحصر- كان يوجد في جوف الكعبة وحوها ثلاثمائة وستون صنماً (٣) واعتقدوا بجلبها للمصالح ودرئها للمظالم وفي هذه البيئته محمد بن عبد الله ﷺ يجهل الإسلام {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نُّوراً تَهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } (٤)

ومع أن سواد قريش كانوا يؤمنون بتلك المعتقدات في تلك البيئته ومع ذلك كان من قريش من تنكر لعبادة الأصنام والتماثيل معتبراً أن تلك الأصنام لا تضر- ولا تنفع وإذا كان ذلك حال بعضهم فكيف بمحمد بن عبد الله الذي ﷺ تعهده خالقه بفضله وعنايته منذ صغره {أَلَمْ

(١) الجمعة آية ٢

(٢) الأعراف آية ١٥٨

(٣) ابن سيد الناس عيون الأثر ص ٤٩٣

(٤) الشورى آية ٥٢

يَجِدُكَ يَتِيماً فَأَوْى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى { (١) فبالرغم من ترعرع رسول رب العالمين في بيئة قريش لكنه ومنذ صغره الباكر أنفت نفسه عن تلك المعتقدات الدينية فلعله ﷺ أثناء صغره ومع الصباح الباكر وهو يمشي - أمام بعض التماثيل المنصوبة خارج الكعبة ويرى الناس يمجدونها ويطلبون منها العون على قضاء حوائجهم فيراها أحجارا منحوتة لا تسمع ولا تبصر ولا تتكلم ثم يتساءل ﷺ في نفسه كيف يمكن لها أن تجلب المصالح للناس أو تدفع المظالم وهي عاجزة عن حماية نفسها ومع تنكره لتلك العبادات وبلوغه الأربعين سنة حُب إليه الاختلاء بنفسه وبدأ الوحي (٢) ينزل عليه وكان أول صورته الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح (٣) وحينها كان ﷺ يرغبه بالخلو بنفسه كان في كل عام في شهر رمضان يأخذ زاده وشرابه ويذهب إلى غار حراء يتحنث

(١) الضحى من آية ٦-٨

(٢) من صور الوحي الذي نزل على رسول الله:

١ - الرؤيا في المنام وهذه الحالة الأولى التي نزلت على رسول الله فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت

مثل فلق الصبح

٢ - أن يأتيه الوحي مثل صلصلة الجرس وهذا الوحي أشده على رسول الله

٣ - أن يأتيه الملك في صورة رجل

٤ - أن يخاطبه رب العالمين من وراء حجاب كما حدث ليلة أن أسرى به

(٣) أعلام النبوة للما وردي ص ٢٧٥

فيه الليالي ذوات العدد ^(١) ثم يرجع إلى منزله لإحضار طعامه وشرابه ثم يعود إلى الغار وإلى انقضاء الشهر وظل متعبداً حتى " فاجأه الحق " ^(٢)

ابتداء تلقيه الوحي

ببلوغه ﷺ أربعين سنة وأثناء تعبه في غار حراء في شهر رمضان المبارك نزل عليه رسول السماء جبريل عليه السلام وخاطبه بقوله: " اقرأ قال: قلت ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قال قلت ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ^(٣) فقال { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ } ^(٤)

وبتلقيه ﷺ هذه الرسالة عاد إلى منزله مرتجف القلب وخاطب زوجته خديجة بنت خويلد بقوله: زملوني زملوني ^(٥) فزملوه حتى ذهب عنه الروع وهدوء باله واطمئنان قلبه أخبر زوجته خديجة بما شاهد وقال لها " لقد خشيت على نفسي قالت له خديجة كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله أبدا والله إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم

(١) الطبري الأمم والملوك ج ١ ص ٥٣١

(٢) المستدرک للحاکم ج ٣ ص ٢٠٢

(٣) صحيح مسلم ج ١ ص ١٣٩

(٤) العلق آية ١-٥

(٥) زملوني أي غطوني بالثياب

وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق" (١) ثم إنها رأت أن تذهب به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وذلك لتنكره عن عبادة الأصنام وخبرته بالديانة النصرانية وقيل إنه كان قد تنصر- وبوصولها إليه واستماعه لمحمد بن عبد الله ﷺ قال له " هذا الناموس الذي أنزل على موسى يا ليتني أكون فيه جذعا وأدرك حين يخرجك قومك فقال أو مخرجي هم؟

فقال نعم والله لا يأتي أحد بمثل ما جئت به إلا عودي ولئن أدركت يومك لأنصرك

نصرا مؤزرا" (٢)

لكن ورقة بن نوفل أتمته منيته قبل تكليف محمد بن عبد الله ﷺ بنشر الإسلام هذا ما كان منه وأما محمد ﷺ وزوجته خديجة فبعد استماعها لورقة عادا إلى منزلها ثم إنه خلال الأيام التالية من تلقيه الوحي حدث ما لم يتمناه وذلك لانقطاع الوحي عنه والذي قيل أنه ظل لأربعين يوماً وقيل أكثر (٣) وبتأخر نزول الوحي عن رسول الله ﷺ شعر بالأسى يجتاح قلبه وذلك لاعتقاده أن خالقه قد قلاه وبينما كان يتردد على جبل حراء وعلى ثبير بغية أن يأتيه الوحي وفي أحد الأيام وهو متجه لتلك الجبال سمع صوتاً

فوقف فزعا ثم رفع رأسه فإذا جبريل على كرسي بين السماء والأرض متربعا يقول يا محمد

أنت رسول الله حقا وأنا جبريل فانصرف ﷺ وقد أقر الله عينه وانبسط جأشه" (٤) وحين

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ١٣٩

(٢) مستدرک إسحاق بن راهوية ج ٢ ص ٣١٤

(٣) الحكمي معارج القبول ج ١ ص ٧٤

(٤) الحكمي معارج القبول ج ١ ص ٧٤

ذاك عاد إلى منزله ملتحمًا فراشه فنزل عليه قوله تعالى { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ } ثم هي الوحي وتتابع (١)

الخالق يواسي رسوله

بانقطاع الوحي عنه، ومع تخوفه وتألمه من أن يكون خالقه غاضبًا منه، مما سبق ما لبث الوحي أن نزل على رسول الله ﷺ (٢) مبدئيًا له أن خالقه ما قلاه، وأن الحياة الأبدية خير له من دنياه، وهناك أي في دار الخلد سيجزل له العطاء حتى يرضى، ثم ذكره بأول حياته عندما كان يتيمًا فأواه، عبر تحنين جده أولاً وعمه بعد وفاة جده ثانياً، وبعد أن صار يافعًا أغناه من فضله، ثم هداه إلى دين الإسلام.

الرسول أول مسلم من هذه الأمة

الإسلام: نظام رباني شامل موجه لكل متطلبات الإنسان، وبشقيه الروحية والجسدية، ويجوي شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً، كما مر بنا أن محمد بن عبد الله ﷺ ابتداءً بطفولته ومروراً بشبابه وإلى الأربعين عاماً عاش في البيئة القرشية الوثنية ومع معاينته لأهله وذويه وهم يعظمون التماثيل والأنصاب وحين ذاك لم يرها إلا تماثيل مصنوعة من قبل البشر، لا تسمع، ولا تتكلم، وبالتالي أنفت نفسه عنها، وبانعزاله عن الناس وتدبره في ملكوت السموات والأرض كان لخالقه أن تفضل عليه بهدايته إلى الطريق المستقيم، عبر وحي السماء،

(١) المدثر من آية ١-٥

(٢) ما تضمنته سورة الضحى

ومن ثم هدايته للإسلام، وبذلك فهو أول من اعتنق الإسلام من أمته {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ
اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ} (١)

{قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قَبِيماً مِثْلَ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ
الْمُسْلِمِينَ} (٢) هذا وكان رسول الله قبل تلقيه الوحي رجلاً أمياً لا يكتب ولا يقرأ، ولا
يعرف عن الإسلام شيئاً {وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَزْتَابُ
الْمُبْطِلُونَ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمراً مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ} (٣)

تكليف الرسول بنشر الإسلام

كلف رب العالمين رسوله محمد بن عبد الله ﷺ بنشر الإسلام {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً} (٤)
فبإسلام محمد بن عبد الله ﷺ وفهمه لحقيقة وجود الإنسان على وجه الأرض "عبادة
الخالق وتعمير أرضه" كلفه خالقه بنشر الإسلام، واقتضى الحال التدرج في تبليغه الإسلام،
وذلك أولاً في عشيرته {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} (٥)

(١) الزمر آية ١١-١٢

(٢) الأنعام آية ١٦١-١٦٣

(٣) يونس آية ١٦

(٤) الأحزاب ٤٥-٤٦

(٥) الشعراء آية ١٢٤

ثانياً في قريته {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا} (١)

ثالثاً في القرى المجاورة {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا
وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ} (٢)

رابعاً لكافة البشر {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ} (٣) {وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} (٤)

وفي هذا الصدد قال رسول الله ﷺ " بعثت إلى كل أحرر وأسود" (٥) وبها أن تغير ما اعتاد عليه الناس من اعتناق ديانات، أو ممارسة طقوسات دينية، صعب على النفس التخلي عنها أضحي من الضرورة التدرج بنشر الإسلام.

(١) الأنعام آية ٩٤

(٢) الشورى آية ٧

(٣) سبأ آية ٢٨

(٤) الأنعام آية ١٩

(٥) مسند أحمد ج ٤ ص ١١٩

دعوته للإسلام سرّاً

بعد أن تفضل رب العالمين على محمد بن عبد الله ﷺ أن هداه للإسلام، وكما أبدينا آنفاً ما لبث أن كُلف بنشر الإسلام، وأضحى عليه لزماً أن يستخدم السرية في دعوة الناس إلى أفراد خالقهم بالعبودية، وشرع بنشر الإسلام عبر من يتوقع فيهم الاستجابة لنداء خالقهم، أي اعتناق الإسلام ديناً وبعثناقه للدين الإسلامي كان أول من أسلم، ثم كان لخديجة بنت خويلد استجابتها لدعوة خالقها عبر زوجها محمد بن عبد الله ﷺ رسول رب العالمين، وهنا أصبحت ثاني من اعتنق الإسلام ديناً، وبالتالي تعد أول امرأة تعتنق الدين الإسلامي، وبما أن علي بن أبي طالب حينها كان يترعرع في كنف رسول الله ﷺ وبقنناعه من فساد الآلهة التي كانت تعبد من دون الله استجاب لرسول الله ﷺ في اعتناق الإسلام ديناً (١) وأضحى ثالث من اعتنق الإسلام، بإسلام زوجته وابن عمه وجه رسول الله الدعوة إلى مولاه زيد بن حارثة فاستجاب له ونطق لسانه " أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمد رسول الله، هؤلاء يعدون من أهل بيته، ومن بعدهم توجه بدعوته للإسلام إلى خارج أهل بيته، فكانت دعوته ﷺ لصاحبه في الجاهلية ورفيق دربه في ظل الإسلام أبو بكر الصديق، فاعتنق الإسلام ديناً (٢) وبإسلامه أضحى خامس مسلم، هذا وأسلم عثمان بن عفان، فالزبير بن العوام، وعبد الرحمن ابن عوف، وسعد بن أبي وقاص، كما اعتنق الإسلام طلحة بن عبد الله ولم يتوقف اعتناق الإسلام خلال هذه الفترة عند هؤلاء إنما تعداهم وليسلم كل من أبي عبيدة بن الجراح، وهذا اسمه عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال، وأبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد، وامراته أم سلمة وجعفر بن أبي طالب، وزوجته أسماء بنت عميس، وخباب بن الأرت

(١) معرفة السنن والآثار للبيهقي ج ٩ ص ٩٤

(٢) معجم الصحابة لأبي القاسم البغوي ج ٢ ص ١٩٦

التميمي، وعثمان ابن مضعون الجمحي وأخويه قدامة وعبد الله وعبيدة بن الحارث بن المطلب، وسعيد بن زيد العدوي وامراته فاطمة بنت الخطاب العدوية، وخالد بن سعيد بن العاص، وامراته أمينة بنت خلف وعمار بن ياسر، وأبوه وأمه، وبلال بن رباح، وصهب الرومي، والأرقم بن أبي الأرقم عبد مناف بن أسد وآخرون (١) هؤلاء ممن عرفوا بأسبقتهم لاعتناق الإسلام ديناً هذا وكما أبدينا آنفاً كانت الأوامر الربانية قد كلفت رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ بأن يعرض الإسلام على عشيرته الأقربين { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } وخلال دعوته ﷺ الناس لاعتناق الإسلام أمره خالقه بأن يلن جانبه لمن يعتنق الإسلام ديناً { وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } وإن أولئك الناس لم يتقبلوا اعتناق الإسلام وجه رب العالمين رسوله ﷺ بقوله { فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ } وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ { (٢)

وهنا سارع رسول الله في تنفيذ أوامر خالقه بعرض الإسلام على عشيرته الأقربين وهم بنوا هاشم، وبنوا المطلب، وبنوا نوفل، وبنوا عبد شمس أولاد عبد مناف وكان أولئك الحاضرين يقاربوا الخمسين رجلاً، باجتماعهم خاطبهم بقوله: " الحمد لله، أحمده واستعينه وأؤمن به، وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ثم قال: إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، وإنها للجنة أبداً أو النار أبداً.

(١) ابن الجوزي صفوت الصفوة ج ١ ص ٣٩٣

(٢) الشعراء آية ٢١٦-٢١٧

فقال أبو طالب: ما أحب إلينا معأونتك وأقبلنا لنصيحتك وأشد تصديقنا لحديثك، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، وإنما أنا أحدهم، غير أني أسرعهم إلى ما تحب، فامض لما أمرت به فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب.

فقال أبو لهب: هذه والله السوأة! خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم. فقال أبو طالب: والله لنمنعنه ما بقينا.

وكان خلال هذه المرحلة من الدعوة للإسلام اعتنق الإسلام فوج من الرجال والنساء، ولتبليغهم تعاليم خالقهم، ومناقشة ما يستجد من أحوالهم اختار رسول الله ﷺ منزل الأرقم ابن أبي الأرقم مكاناً للاجتماعات، وعلى أن يحرص الجميع على سرية هذا المنزل وخلال هذه الفترة يذكر أن الصلاة فرضت على رسول الله وأصحابه، وكانت تصلى ركعتين قبل طلوع الشمس وقبل غروبها.

دعوته للإسلام جهراً

خلال الثلاث سنين من دعوته ﷺ للناس إلى اعتناق الإسلام ديناً نزل على رسول الله ﷺ آيات قرآنية تناولت قصص بعض أنبياء الله كعاد، وشمود، ونوح، وإبراهيم، ولوط، وموسى عليه السلام وتحدثت تلك الآيات القرآنية بشيء من التفصيل لمدى الجهد الذي بذله أولئك الأنبياء في سبيل إقناع ذويهم من التخلي عن عبادة الأوثان، والأصنام، من ثم عبادة خالقهم رب العالمين، وبتنكر تلك الأمم لأنبيائهم وما أرسلوا به، تناولت تلك الآيات مدى ما لاقاه أولئك الأنبياء وأنصارهم من تكذيب، وإيذاء في أنفسهم، وأرواحهم، ومع ذلك ظلوا صابرين محتسبين أجرهم عند خالقهم، تلك القصص كانت فعالة في نفس رسول الله ﷺ وأصحابه من معتنقي الإسلام، وأضحت بمثابة الدافع لرسول ﷺ وأنصاره من معتنقي الإسلام في ديمومة دعوتهم للناس للإسلام، وتحمل نتائج الدعوة من إيذاء في أرواحهم، أو أجسادهم، كما كان لتلك القصص إعطاء من يطلع عليها صورة واضحة المعالم للأمم الغابرة

وذلك في انحرافهم عما خلقوا من أجله أي عبادة خالقهم وتعمير أراضيهم، ومن ذلك الانحراف كانت رعاية خالقهم بهم وذلك ببعث الرسل والأنبياء إليهم لترغيبهم بجنته، إذا ما أطاعوا رسلهم وبحالة عصيانهم لخالقهم وعدم اكتراثهم بما سيحل عليهم من عذاب إذا ما غادروا دنياهم وعادوا إلى خالقهم في الحياة الأبدية فإن النتيجة الحتمية سيعذبون بالنار، والتي لا تقوى عليها الأبدان، ونتيجة لإقدام الأمم الغابرة من عدم استجابة لدعوة أنبيائهم، ورسولهم، وتماديهم في سب وإيذاء رسلهم وأنصار رسلهم، كان لخالقهم تعجيل عذابهم في حياتهم الدنيا، ومن تلك الأحداث وعبر الآيات القرآنية كان لرسول الله ﷺ تلاوتها على أبناء جلدته بغية أن يتعظوا بما حل بالأمم التي سبقتهم من عذاب وهوان، ومن ثم يقدموا على اعتناق الإسلام. وبعد الثلاث السنين من دعوته السرية جاءته الأوامر الربانية بأن يدعي الناس للإسلام جهراً {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} (١) وذات يوم قصد رسول الله ﷺ جبل الصفا فصعد عليه وهناك صاح: "يا صباحاه" ثم نادى قبائل قريش ومن الذين ناداهم قوله: "يا بني فهر، يا بني عدي، يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب".

وبسماع القوم لنداء محمد بن عبد الله ﷺ توافدوا إليه فخاطبهم بقوله: (أرأيتم لو أخبرتم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم مُصَدِّقِي؟). قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً فقال: "يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أغني عنكم من الله شيئاً، إني لكم نذير مبين بين يدي عذاب شديد" ثم رغبهم بالجنة وحذرهم من النار وكان

قد خص وعم ومن قوله: يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، فإنني لا أملك لكم ضرًا ولا نفعًا.

يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار.

يا معشر بني قصي، أنقذوا أنفسكم من النار، فإنني لا أملك لكم ضرًا ولا نفعًا.

يا معشر بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار، فإنني لا أملك لكم من الله ضرًا ولا نفعًا، ولا أغني عنكم من الله شيئًا.

يا بني عبد شمس، أنقذوا أنفسكم من النار.

يا بني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار.

يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا

يا صفية بنت عبد المطلب عمه رسول الله لا أغني عنك من الله شيئًا (١)

وعند سماع الحاضرين لرسول الله خاطبه عمه أبو لهب بقوله: تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعنا.

وبإكمال رسول الله ﷺ لحديثه لم يستجب الحاضرين لدعوته، وذلك لاعتياد أولئك الناس على عبادة آلهتهم الوثنية، فليس من السهل على أنفسهم تغيير دينهم خاصة بجلسة واحدة فالكثير منهم يحتاج لعدة جلسات لتفعيل عقله بشأن الدين الجديد، ومن ثم تنازله عن عبادة ما اعتاد على عبادته لعشرات السنين، الشاهد بتحمل الرسول ﷺ لإيذاء عمه أبي لهب

(١) سنن النسائي الكبرى ج ٤ ص ١٠٨

وزوجة عمه أبي لهب ففيهما نزل قوله تعالى: { تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ }^(١) بينما ظل رسول الله يجهد نفسه في دعوة أهل قريش إلى اعتناق الإسلام، عبر تلاوته لآيات من القرآن الكريم أي كلام خالقهم وذلك في مواطن تواجدهم كنواديبهم وأماكن أعمالهم

وباستماع القوم لتعاليم الدين الذي أتى به محمد ﷺ تباينت مواقف قومه ما بين مستغرب من رسالته، ومكذب، ومصديق، ومعتنق لكن سواد الناس ظلوا متمسكين بعبادة آلهتهم الوثنية غير مكترئين بالدين الجديد الذي أتى به صاحبهم محمد بن عبد الله ﷺ.

الإسلام وقضية استعباد العباد

إلى حين تكليف محمد بن عبد الله ﷺ بنشر الإسلام وفي ظل قانون الغاب قوانين البشر- القاصرة استحلال استعباد البشر، وأصبح شيئاً مألوفاً لدى أولئك البشر، فلا غرابة أن يكون الرجل أو المرأة سلعةً تباع وتشتري، ويسلب منها ما منحها خالقها من حرية في المعتقدات والتصرفات، وفي ظل تلك القوانين الظالمة أي قوانين المجتمعات الجاهلية أضحى كثيراً من البشر عبيداً لدى آسيادهم لا حول لهم ولا قوة إلا طاعة آسيادهم، والانصياع لأوامرهم، وبيعة محمدًا ﷺ حث خالق البشر معتنقي الإسلام بأن يشمروا عن سواعدهم في السير الحثيث صوب تحرير البشر من رق العبودية، معتبراً الساعي في هذه الطريق بالمقتحم للعقبة، والتي لا يستطيع أن يتجاوزها إلا قلائل الناس من ذوي الهمم العالية { فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ }^(٢) ومقابل جهدهم ينالون رحمة خالقهم ودرجاته العلية.

(١) المسد آية ١

(٢) البلد آية ١١-١٣

الإسلام وقضية الأيتام والمساكين

بين رب العالمين على لسان رسوله ﷺ أن أصحاب الهمم العالية من المؤمنين إذا ما أردوا أن يندرجوا في إطار أصحاب الميمنة أي من الحائزين على رضا خالقهم، ومن ثم الحصول على المرتبة العلية في جنته في الحياة الأبدية عليهم أن يجتازوا اقتحام العقبة، ومنها إطعام أقاربهم الأيتام، في زمان القحط الشديد، والذي حينها لا يتوفر لهم من الطعام إلا سد رمقهم من الجوع، وعلى نفس الصعيد إطعام المسكين الذي لا يجد لنفسه حيلة في إشباع معدته {فَلَا أَفْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ} (١)

استمرار دعوته للإسلام بعد الجهر

كما مرّ بنا شرع محمد بن عبد الله ﷺ في تنفيذ أوامر خالقه وذلك بعرض الإسلام على عشيرته خاصة، وعموم قريش عامة، ورفض السواد الأعظم من أبناء قريته لما أتى به، وذلك لاستحالة مفارقة ما اعتادوا عليه لعشرات السنين من ممارسة طقوسات دينية، إثر جلسة واحدة، أو جلسات ولأن رعاية الخالق ترضى للبشر الإسلام، وتحيط نبيه بالرعاية، ومن ثم شحذ همته في مواصلة الدعوة للإسلام ومن هنا ما كان منه ﷺ وبعون خالقه إلا أن واصل الدعوة للإسلام بشقيها الفردية، والجماعية عبر مجالس قريش، ومختلف أماكن تواجدهم دعاهم إلى النطق بالشهادتين " أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله " امثالاً منه لأوامر خالقه: (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) (٢) وبالمقابل كانت آلهة قريش من تماثيل وأصنام قد تجذرت في

(١) البلد آية ١١-١٦

(٢) سنن البيهقي الكبرى ج ٩ ص ٨

قلوبهم، وعروقتهم ومن ثم النتيجة الحتمية استحالة تخلي سواد قريش عنها، إلا ما شاء الله، ولذلك جاءت الأوامر الربانية تحت رسول الله ﷺ في مخاطبة قومه بتفعيل عقولهم للتعرف على حقيقة إلههم خالق السموات والأرض، وبالمقابل طالبهم بمسائلة عقولهم هل بإمكانية إلهتهم المصنوعة من أحجار أو أخشاب خلق أي شيء موجود على سطح الأرض، أو مشاركتها للخالق في تكوين الخلق ثم عبر التوجيهات الربانية لرسوله ﷺ بين لقريش مدى ضعف إلهتهم، وجمود عقولهم في التعرف عن حقيقة ما يعبدون، وذلك بحثهم على مخاطبة إلهتهم إن كان باستطاعتها القدرة على التحدث، أو السمع، أو حتى تحريك أيديها، وأقدامها وبالرجوع إلى أنفسهم وإقرارهم بقدرات الخالق اللا محدودة أبدى فريفاً منهم أنهم يتخذون من الأصنام وسيلة أو واسطة بينهم وبين ربهم، إذ من خلالها تقدم لهم جلب المصالح في الدنيا، وتشفع لهم في آخرتهم، وبهذه التصورات بين لهم خالقهم أن حجتهم واهية، لأن إلهتهم المزعومة لا تستطيع دفع الضرر عن نفسها، فكيف لها أن تدفع الضرر عن غيرها، وبتعزية الرسول ﷺ لحججهم الواهية ما كان أمامهم إلا صرف النظر عما يدعو إليه، والسير على خطى آباءهم {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ} (١) ثم مع شيوع ذكر تلقي محمد ﷺ الوحي من رسول رب السماء جبريل عليه السلام وشيوع نبأ مشاهدة الرسول لجبريل عليه السلام لدى قريش الكثير منهم من أطلق لسانه العنان في التكذيب بما جاء به رسول الله ﷺ من آيات قرآنية، إضافة لتكذيبهم بمشاهدة الرسول ﷺ لجبريل عليه السلام، ومن أولئك من رأى أن الرسول ﷺ مصاب بالجنون، لذلك أقسم لهم رب العالمين بما هو معروف لديهم أي لدى القرشيين (الجوار الكنس) أي النجوم الخمسة زحل، والمشتري، والمريخ، والزهرة، وعطارد،

وبالليل إذا أقبل، وبالصبح إذا ما ظهر وبدد الظلام؛ أن القرآن الذي جاء به محمداً ﷺ أنزله عليه رب العالمين، عبر وحي السماء جبريل عليه السلام، وأن محمد بن عبد الله شاهد جبريل عليه السلام، على الصورة التي خلقه الله، ومن هنا ليس بمجنون، ولا ما ذكره بقول شيطان رجيم، إنما هو رسالة للإنس، والجن، ولهم الحرية في الأخذ به أو الإعراض عنه، ومع أن قريش كانت تعلم بشأن الأنبياء الذين سبقوا محمداً بن عبد الله ﷺ إلا أن منهم من استبعد أن يكون رسولاً من عند الله، وذلك حسب رؤيتهم القاصرة، بكونه يتيماً، ومسكيناً وفي قريش وما جاورها أغنياء، وسادة كالوليد بن المغيرة، وأبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف ولأن رب العالمين يضع رسالته حيث يشاء فقد رد على نظرتهم القاصرة بقوله تعالى { وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ أَهْمُ يَقْسُمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ } (١)

الرسول وطريقة حفظه للقرآن الكريم

أثناء نزول جبريل على رسول الله ﷺ بالوحي ونتيجة لحرص رسول الله ﷺ على حفظ القرآن الكريم أثناء قراءة جبريل وذلك بتريده للآيات القرآنية؛ بين له رب العالمين أن ما عليه الاستماع للقرآن الكريم، وأنه سيجمعه ويثبته في صدره، وبحيث يقرأه متى شاء.

دين محمد يعيد للمرأة مكانتها

قبل بعثة الرسول ﷺ كان من قريش ومن بعض الأعراب من يمارس التفرقة الجنسية وعلى مستوى أولادهم، فإذا ما رزق رب الأسرة بولد يفرح به كثيراً، ويذبح بمناسبة الذبائح، ويدعو لضيافته أسرته وأصحابه وأما إذا ما رزق بال بنت يتشاءم، ويتأفف منها، هذه

الصورة المؤلمة بينها رب العالمين بقوله: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} (١)

ولم تقتصر تلك النظرة الظالمة عند هذا الحد فحسب؛ بل من أولئك من وصل بهم الحال إلى وئد بناتهم أحياء تحت التراب؛ وذلك مخافة أن تجلب العار عليهم، والبعض يدفنون بناتهم نتيجة للفاقة، أي الفقر، وبعثة الرسول ﷺ جاءت الآيات القرآنية تبين حال من يرتكب تلك الحالات بقوله تعالى: {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} (٢) هذه التعاليم الربانية عندما عرفها من يتلوا عليهم محمداً ﷺ كانت لدى البعض بمثابة الشفاء لصدورهم، ولواقعهم الميرير الظالم، وأضحت تلك الآيات القرآنية في إطار الدين الذي أتى به محمد ﷺ الأمل أمامهم؛ وذلك لتغير واقعهم الظالم، وبذلك كان لكثير من قاطني مكة المكرمة الإعجاب بآيات القرآن الكريم ومن ثم اعتناقهم للإسلام ديناً.

قادة قريش يصرفون الحجاج عن اعتناق الإسلام

باقتراب موسم الحج ومن ثم توافد وفود العرب إلى مكة المكرمة خشيت قريش من عرض الرسول ﷺ عليهم الإسلام، واحتاروا في أمرهم، وفي كيفية صرف القادمين عن رسول الله ﷺ، وبمناقشة كبار القوم لهذا الشأن توصلوا إلى أن يذهبوا إلى الوليد بن المغيرة ويطلبون منه الرأي، وبذاهم إليه قال لهم: "أجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قولكم بعضه بعضاً، قالوا: فأنت فقل، قال: بل أنتم فقولوا أسمع.

(١) النحل آية ٥٩

(٢) التكوير آية ٨-٩

قالوا: نقول كاهن. قال: لا والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بززمة (١) الكاهن ولا سجعه، قالوا: فنقول مجنون قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، ما هو بخنقه (٢) ولا تخالجه (٣) ولا وسوسته، قالوا: فنقول شاعر، قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهجزه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر، قالوا: فنقول ساحر، قال ما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحراهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم، قالوا: فما نقول؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق (٤)، وإن فرعه لجناة (٥)، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر، جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته، فتفرقوا عنه بذلك.

جدير ذكره نتيجة لتفكر الوليد بن المغيرة في حقيقة ما أتى به محمد بن عبد الله ﷺ من آيات قرآنية وتيقنه أنها ليست من صناعة البشر ثم انصرف عنها وتمسكه بديانته الوثنية؛ توعده خالقه بقوله: {سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ لَوَاحِةٌ لِلْبَشْرِ - عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ} (٦)

وبوصول وفود العرب إلى مكة المكرمة سارع كبار رجال قريش في تنفيذ ما اتفقوا عليه من تحذير الوفود من ما يدعيه محمد بن عبد الله ﷺ من نبوة، وأما رسول الله ﷺ فقد تتبع

(١) الززمة كلام خفي لا يفهم

(٢) الاختناق الذي يصيب المجنون

(٣) التخاليج تحرك أعضاء الجسم دون إرادة الإنسان

(٤) الكثير الشعب والأطراف

(٥) الجناة: ما يجني من الثمر

(٦) المدثر آية ٢٦-٣٠

الوافدين إلى مكة المكرمة في كل من عكاظ، ومجنة، وذبي المجاز، وفي مقرات بيّاتهم مرغّبهم في اعتناق الإسلام ومخدرهم من مغبة عصيان خالقهم، ومن النار التي لا تقوى عليها الأبدان، إن لم يستجيبوا لدين خالقهم، وذلك عبر تلاوته عليهم لآيات من القرآن الكريم، باستماع أولئك الوافدين لرسول الله ﷺ وتجزر أصنامهم في قلوبهم كان من الصعب عليهم مفارقة آهتهم الوثنية واعتناق الإسلام ديناً، وبالرغم من عدم تقبلهم لاعتناق الإسلام إلا أن خبر رسالته ﷺ خرجت من محيط مكة لتنتشر في مختلف بلدان العرب.

اتهام فئات من المشركين للنبي بتعلمه القرآن من أعجمي

مع استماع الكثير من مشركي مكة للآيات القرآنية عبر محمد بن عبد الله ﷺ ومعتنقي الإسلام وبسبر القرآن لقصص الأمم السابقة ومعاناة بعض أولئك لتجاذب الحديث بين محمد بن عبد الله ﷺ وجبر النصراني غلام بني الحضرمي ولاطلاع هذا لمتطفات من الأمم السابقة عبر علماء النصارى اعتقد أناس من المشركين أن ما جاء به محمد بن عبد الله ﷺ من آيات قرآنية ما هي إلا نتيجة لتلقيه المعارف من جبر النصراني، وبتغلغل هذه الرؤية في أذهان أولئك، وحيرة الرسول ﷺ في هدايتهم، ومما سبق بين رب العالمين لرسوله ولأولئك حقيقة ما اعتقدوه بقوله: { مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ وَكَوَجَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي إِذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ } (١)

{وَلَقَدْ نَعَلْنَا أُمَّهْمَ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِي وَيَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} (١)

موقف قريش من تصعيده للدعوة

عُرف محمد بن عبد الله ﷺ لدى قريش منذ نعومة أظافره وإلى أن كُلف بنشر الإسلام بأنه يتيم الأب والأم، وبحالته المعيشية المتردية، ومع ذلك بمعابنتهم له رأوه شبًّا على فضائل الأخلاق، وبدعوته ﷺ لقومه لاعتناق الإسلام وإحجامهم عنه تباينت مواقفهم من شخصيته، ومن مضمون رسالته، منهم من أخذته الدهشة والتعجب من تكليفه بنشر الإسلام {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ} ومنهم من استكثر اختيار الله له بالرسالة وقالوا: "ما وجد الله من يرسله إلا يتيم أبي طالب" (٢) وبالرغم أنهم أطلقوا عليه بالصادق الأمين قبل بعثته إلا أن فضائل صفاته لم توصله عندهم إلى درجة استحقاقه للرسالة إذ أن درجة استحقاقها عندهم لها معايير خاصة كسعة المال والجاه، لذلك عندما استمعوا إلى بعض آيات القرآن الكريم باستشعارهم بعظمتها وكما أسلفنا منهم من قال لولا أنزلت على عظيم مكة الوليد بن المغيرة، ومنهم من قال لولا أنزلت على عظيم الطائف عروة بن مسعود (٣).

(١) النحل آية ١٠٣

(٢) أنظر تفسير القرطبي ج ٨ ص ٣٠٦

(٣) اختلف المفسرون في تعيين الرجلين

{وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ} (١) ثم إن الرسول ﷺ باستمراره في دعوة قريش للإسلام وتمسكهم بدينهم الوثني رغم إعجابهم بآيات القرآن الكريم لم يطب الحال لطائفة منهم؛ لذلك نظروا للرسول ﷺ نظرات حادة، تنم عن الحقد الدفين في صدورهم نتيجة للمنهج الذي أتى به، ووصفوا الرسول ﷺ بأنه مجنون {وإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ} (٢) ولأن محمداً ﷺ عاش بين أظهرهم ويعلمون علم اليقين أن اتهامهم له بالجنان من باب الازدراء؛ جاء الرد عليهم من قبل خالقهم عبر رسوله {قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِيَ خَيْرًا إِذَا كُنْتُمْ تُفَكِّرُونَ} (٣) ولأن إعراض قومه عن الإسلام واتهامهم له بالجنان وازدراءهم له ﷺ قد بلغ في قلبه مداه، لم يترك الخالق نبيه عرضة لآلام نفسه، بل واساه في أكثر من آية منها قوله تعالى: {وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ إِذَا كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَمُوتَ وَمَا يَكْفُرُونَ} وقوله {كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ}. هذا وكان من مشركي مكة من طالب الرسول ﷺ بأن يأتي بالملائكة كشاهد على صدق رسالته، فذات يوم ورسول الله ﷺ يعرض آيات قرآنية على رجال من مشركي مكة عساهم أن يعتنقوا الإسلام وباطلاعهم على آيات من القرآن الكريم خاطبوه على وجه الاستهزاء والتهكم

(١) الزخرف آية ٣

(٢) القلم آية ٥١

(٣) سبأ آية ٥١

بقولهم {قالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون} (١) {لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين}. بتألم الرسول ﷺ من استهزائهم، وتعنتهم، وعجزه في هدايتهم جاءه الرد من قبل خالقهم {مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ} (٢)

الرسول يخاطب عقول فئات من المشركين ببطلان آلهتهم

بتمسك مشركي مكة بعبادة آلهتهم المصنوعة من الأحجار، أبدى لهم رسول الله ﷺ أنها ليست سوى أحجار مخلوقة مثلهم، لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضرراً، لا تستطيع حماية نفسها من يلحق الضرر بها، وكل من يخاطبها لا تسمعه، ولا تعقل ما يقال لها وبما أنهم معتقدون بجلبها لمصالحهم ودفع الضرر عنهم طالبهم رسول الله ﷺ بتفعيل عقولهم والنظر إلى تلك الأصنام أها أرجل تمشي بها، أو أيد تبطش بها، أو أعين تبصر بها، أو إذان تسمع بها، وإذا لم يكن ذلك حالها فليعجلوا بمطالبتها بإلحاق الضرر به {قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ} (٣) وذات يوم ورجال من أهل مكة مجتمعون خاطبهم رسول ﷺ بقول خالقه {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ

(١) الحجر آية ٩٧

(٢) الحجر لآية ٨-١١

(٣) الأعراف آية ١٩٥

الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} (١) ومن الخطاب الموجه لهم ولكل بشر قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ} (٢)

انكار رجال من مشركي مكة للبعث بعد الموت

باطلاع مشركي مكة على الآيات القرآنية التي تبين للبشر- بأنهم بعد مغادرتهم للدنيا سيعثون وسيحاسبون على أعمالهم التي قاموا بها في دنياهم، فعدالة رب العالمين ستحاسب من عاش في دنياه ظلماً لغيره، والرجل الصالح المحسن سيثيبه وذلك بإدخاله جنته، والمسيء سيجازيه بإدخاله ناره، وهذه الرؤية كان للبعض التعجب من حديث رب محمد {أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون} (٣) ومع ذلك كان قول بعضهم (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون) (٤)

ولم يتوقفوا عند التعجب إنما واصلوا السخرية برسول الله ﷺ وما جاء به {هَلْ نَدُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُبْسِكُمْ إِذَا مَنَّكُمْ كُلٌّ مُمْزِقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أَفَتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ} (٥)

(١) يونس آية ١٠٤

(٢) يونس آية ١٠٨

(٣) الصافات آية ١٠٧

(٤) الجاثية آية ٢٤

(٥) سبأ آية ٧-٨

وبتلك الأفكار العقيمة خاطبهم خالقهم بقوله: {أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْجِبْ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُجِئِيَ الْمُوتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (١) {مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} (٢)

من صور الإيذاء التي تلقاها في مكة

من صور الإيذاء التي تلقاها ﷺ في هذه المرحلة وعلى سبيل المثال لا الحصر- من كفار قريش من اعتقد أنه لم يتلق الرسالة من خالقه، وأن ما جاء به من آيات قرآنية ما هي إلا من افترائه وكذبه، والبعض كثيرًا ما تبادوا بقولهم مجنون، وقيل فيه ﷺ بأنه أصابه شيطان، وأناس قالوا بأنه ساحر، وآخرون قالوا فيه شاعر، وهكذا تعدد نعتهم له ﷺ وللمنهج الرباني الذي أتى به، ولم يقفوا عند هذا الحد بالرغم من مكانته الكبيرة لدى خالقه بل أخذ بهم المطاف إلى درجة مواجهته بالكلمات المشينة والازدراء به {وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا} (٣) وأما أبرز الذين آذوه ﷺ فأولهم عمه أبو لهب، وزوجته، وهذان بعد أن كذبا برسالته لم يقفا عند ذلك الحد بل عمدا على محاربة دعوته، واجتهدا بإيذائه من خلال وضع القاذورات أمام منزله، وفي طريقه، ومع نزول سورة اللهب وما تحمل لهما من وعيد بالعذاب إذا ما فارقا الحياة وعادا إلى خالقهما ومع سماعهما لتلك الآيات صعدا من نبراتها العدائية للرسول ﷺ، وشرعا في إيذائه عبر فلذتي كبده "رقية وأم كلثوم" زوجتا ابنيهما، وكانت رقية زوجة لعتبة وأما أم كلثوم فكانت زوجة لعتيبة، وتجسدا إيذائهما له بأمر ولديهما عتبة وعتيبة بطلاقهما ومن قول أبو لهب لولديه "رأسي من رأسكما حرام إن لم تطلقا بنتي

(١) الأحقاف آية ٣٣

(٢) لقمان آية ٢٨

(٣) الفرقان آية ٤١

محمد (١) ومع حيرة عتبة وعتيبة في أمرهما وتصعيد كفار قريش في عدائهما للرسول ﷺ وذلك بسعيهم الحثيث في إيذائه عبر شغله في بناته، فكان لهم أن سعوا في تطليق بناته ولذلك شرعوا في مفاوضة عتبة وعتيبة في إمكانية تطليق زوجتيهما، وسرعان ما طلق عتبة زوجته، أما عتيبة فقد أبدى استعدادها بطلاق زوجته مقابل أن يزوجه من ابنة أبان بن سعيد، وبموافقتهم طلق زوجته (٢) ثم إن أولئك الظلمة أي النخبة من كفار قريش لم يتوقف أذاهم لرسول الله في التسبب بطلاق ابنتيه رقية وأم كلثوم؛ إنما تعداهما ليذهبا إلى العاص بن الربيع وكان متزوجاً على زينب بنت رسول الله ﷺ وعرضوا عليه أن يختار من يشاء من بنات قريش مقابل طلاقه لزوجته، فرفض عرضهم بقوله: " ما يسرني بها امرأة من قريش " (٣) وهذا تمسك بزوجه رغم إسلامها وتمسكه بدينه الوثني.

ومن الذين آذوا الرسول ﷺ عقبة بن أبي معيط، وهذا وصل به الحال إلى مهاجمة الرسول ﷺ أثناء صلواته " فبينما كان رسول رب العالمين ﷺ يصلي في الحجر إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنق الرسول ﷺ فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وقال {أتقتلون رجلاً يقول ربي الله} (٤) ثم مع تمادي القوم في تكذيب الرسول ﷺ وظلمه جاءت التوجيهات الربانية بقوله تعالى {وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ

(١) السيرة لابن كثير ج ٤ ص ٦١٠

(٢) المصدر السابق ج ٤ ص ٦١٠

(٣)

(٤) رواه عبد الله بن عمرو بن العاص للبخاري

هَجْرًا جَمِيلًا (١٠) وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا (١١) إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا
(١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٣) (١)

من صور إيذاء معتنقي الإسلام

لم يقتصر العداء والإيذاء على رسول الله ﷺ إنما شمل من اتبعه من الضعفاء، ومن أولئك الذين تجرعوا أذى قريش بلال بن رباح، وهذا كان عبداً لأمية بن خلف الجمحي، بإسلامه وإسلام الضعفاء والذين لا حول لهم ولا قوة وإجماع سادة قريش على البطش والتنكيل بمن بدل دينه بالإسلام قرر أمية أن يعذب مملوكة حتى يكفر بدين محمد ﷺ، ومع دخول الظهر ارتفع ارتفاع درجة حرارة الرمضاء أخذ بلال وألقاه على وجهه تارة وعلى ظهره تارة أخرى، ثم أمر بوضع صخرة عظيمة على صدره، وقال له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى (٢)، بتحملة لأشد أنواع العذاب ظلت لسانه تردد أحد أحد، أي أن رب العالمين هو الإله الوحيد، وذات يوم رآه أبو بكر وهو يُعذب فرق وقلبه لحاله واقترح على أمية ابن خلف أن يطلق سراحه مقابل منحه غلامه، فوافق أمية وبإطلاقه حرره أبو بكر الصديق رضي الله عنه من رق العبودية. ومن الذين تجرعوا مرارة العذاب في أيام الإسلام الأولى آل ياسر وهم ياسر وزوجته سمية وابنيهما عمراً ومما عاناه هؤلاء المساكين فقد كانوا يذهبون بهم إلى الأبطح لتعذيبهم بحرارة الرمضاء، وهم مكبلون بالسلاسل، وبتجرعهم لصنوف العذاب ظلوا صابرين محتسبين آلامهم عند خالقهم، وبمرور الرسول ﷺ عليهم وعدم استطاعته إنقاذهم خاطبهم بقوله: "صبراً آل ياسر فإن مصيركم إلى الجنة" (٣) ونتيجة

(١) المزمّل آية ١٠-١٣

(٢) ابن حجر الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٣٤٨

(٣) رواه عبد الله بن عمرو بن العاص للبخاري

لمضاعفة عذابهم توفي يأسر أثناء العذاب، أما زوجته سمية فأثناء تعذيبها أغلظ لها القول أبو جهل فردت عليه بالمثل مما أدى به إلى طعنها بحربة كانت بيده، وبذلك سقطت أول شهيدة في الإسلام وأما ما كان من عمار فمع تضيق العذاب على جسده رأى أن يطاوع القوم فيما يدعون إليه من العودة إلى الدين الجاهلي، فأطلقوا سراحه وبتحرره من قبضة عذابهم ذهب إلى رسول الله ﷺ وأخبره بما حدث، كما أبدى له أن قلبه ما زال عامراً بالإيمان، فالتمس له رسول الله ﷺ العذر فيما بدر منه لقوله تعالى: {إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان} ومن الذين تجرعوا مرارة العذاب زنيّةً وهذه كانت مولاة لعمر وبن المؤمل، وبإسلامها تلقت صنوف العذاب. كما تلقى العذاب خباب بن الأرت وهذا كان مملوكاً لأم أنمار بنت سباع الخزاعية، وكان حداداً ولكونه اعتنق الإسلام وبلا إذن مولاته كانت النتيجة تعذيبه من قبل مولاته عبر سيخاً من الحديد فقد كانت مولاته تأتي بالسيخ بعد موضعه على النار وتضعه على جسد خباب، وبتألم خباب تطالبه بالكفر بدين محمداً ﷺ لكنه كان يأبى إلا اعتناق الإسلام ديناً، ولم يقتصر عذابه على مولاته إنما كان لكبار رجال قريش حصاً في تعذيبه وذلك عساه يتراجع عن اعتناق الإسلام، لكنه بالرغم من عذابه وآلامه لم يزد إلا إيماناً. ومن الذين تجرعوا أذى قريش أبو فكيهة الأزدي، وهذا كان مولى لبني عبد الدار، باعتناقه الإسلام وتمسكه به أقدموا على تجريده من الثياب، وتقييد قدميه، وبتوسط الشمس السهاء وتزايد حرارة الرمضاء يقومون بوضعه عليها، ثم يضعون صخرة على ظهره (١).

كما كان لعمر بن الخطاب تعذيب جارية عمر بن مؤمل من بني عدي، وبتجريدها لصنوف الآلام وتمسكها بالإسلام كان يقول لها والله ما أدعك إلا سامة، فترد عليه كذلك يفعل بك ربك. أيضاً من الذين نالهم أذى قريش صهيب الرومي، ومصعب بن عمير، وعامر

(١) الأمام والمملوك ج ٢ ص ٣٥

بن فهيرة، وآخرون وبمعانته رسول الله ﷺ لحال أولئك المستضعفين كان كثيرًا ما يتألم لحالهم، لكن ما عساه أن يفعل وهو لا يملك لهم حولًا ولا قوة. هذا وكان من بين الذين اعتنقوا الإسلام رجال كان آباؤهم وأمهاتهم لم يزالوا متمسكين بعبادة الأصنام، واعتناق آبائهم الإسلام كان لبعض الآباء والأمهات إيذاء أولادهم بغية رجوعهم إلى عبادة الأصنام، وبحيرة الأولاد بكيفية التعامل مع آبائهم، وأمهاتهم، جاءتهم التعاليم الربانية بقول خالقهم { وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا } (١).

هذا ولم يقتصر إيذاء قريش لمعتنقي الإسلام على أجسادهم؛ بل شمل أنفسهم فكثيرًا ما كان أولئك المستضعفين يتعرضون للسخرية، ومن تلك المواقف ذات يوم مر كل من الوليد بن المغيرة وأبو جهل والعاص بن وائل بجماعة من ضعفاء المسلمين كعمار بن ياسر وصهيب وبلال بن رباح وخباب وباعجاب كفار قريش بأنفسهم واعتبار كل من اعتنق الإسلام ضالًّا أخذهم الضحك على أولئك الرجال استهزاء بهم، ومن هذا الواقع بين رب العالمين لهؤلاء ومن كان على شاكلتهم أنهم إذا ما رحلوا عن الدنيا واستقروا في الحياة الأبدية سينقلب الحال عليهم رأسًا على عقب { فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ هَلْ تُؤْتَوْنَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ } (٢)

(١) لقمان آية ١٣-١٤

(٢) الإنشقاق آية ٣٤-٣٦

الرسول يحاور شخصيات مكذبة برسالته

بتمادي فئات من مشركي مكة بتكذيب نبوة محمد بن عبدالله ﷺ وامتثالاً منه لأوامر خالقه أبدى لهم ﷺ بأنه لم يقل لهم بأنه يمتلك خزائن السماوات والأرض، أو علم الأشياء الخفية عن الأنظار، والعقول والتي لا يعلمها إلا رب العالمين، أو أنه ملك من الملائكة، إنما هو بشر- يوحي إليه خالقه، ومن ثم يبلغهم بما أمر به، وما ذلك إلا رحمة من رب العالمين بهم.

دحض تعدد الآلهة

مع تشبث فئات من المشركين بأهتتهم الوثنية، واعتقادهم بأنها ستشفع لهم عند رب العالمين، في الحياة الآخرة إذا ما قبضت أرواحهم، وعادوا إلى بارئهم، وبسماح رسول الله ﷺ لهم جاءهم الرد من قبل خالقهم {قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا} (١) كما بين لهم خالقهم بأن زعمهم بتعدد الآلهة في الكون باطل لأن تعدد الآلهة بالكون قطعاً سيفضي إلى فساد الكون {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} (٢).

وفد قريش إلى أبي طالب

تلك الحجج الدامغة التي بينها الرسول ﷺ لقريش في بطلان آهتتهم المصنوعة من قبل أيادي البشر، ومن ثم استحقاق أفراد رب العالمين بالألوهية، والربوبية، عبر اعتناق الإسلام ديناً اعتبرتها قريش بمثابة التسفيه لأحلامهم، والتحقير لعقولهم، وعقول آبائهم، مما أدى بهم إلى أن يجمعوا أمرهم في منع الرسول ﷺ من مواصلة ما يدعو إليه، ولتحقيق ما يصبون إليه توجه إلى أبي طالب كل من عتبة بن أبي ربيعة والأسود بن المطلب والوليد بن المغيرة وأبو

(١) الإسراء آية ٤٢

(٢) الأنبياء آية ٢٢

جهل بن هشام والعاص بن وائل ^(١) وخاطبوه بقولهم " إن ابن أخيك قد سب آهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا فإما أن تكفه عنا، إما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلاف فنكفيه. فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً، وردهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه ^(٢). ولتجذر عبادة الأصنام في قلوب أولئك الرجال وجهلهم بمضمون الإسلام من تعاليم ربانية تتضمن سعادتهم في الدنيا والآخرة علّقوا الآمال في إلزام أبي طالب ابن أخيه بإيقاف ما يدعو إليه؛ هذا ما كان منهم وأما رسول الله ﷺ فقد ظل يدعو الناس إلى اعتناق الإسلام بلا كلل، أو ملل، وتواصل دعوته لم يطب الحال لكبار رجال قريش، وتواصلوا فيما بينهم في إعادة الكرة إلى أبي طالب، وعند وصولهم إليه قالوا له " يا أبا طالب إن لك سناً، وشرفاً، ومنزلةً، فينا وإنا قد استنهييناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين أو كما قالوا. ثم انصرفوا عنه فعظم على أبي طالب فراق قومه، وعداوتهم ولم يطب نفساً بتسليم رسول الله ﷺ ولا خذلانه، ^(٣) فبانصراف القوم استدعى ابن أخيه وقال له: " يا بن أخي إن قومك قد جاءوني وقالوا كذا وكذا فابق عليا، وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق " ^(٤) فقال له رسول الله ﷺ: " يا عماء لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته " ^(٥)

(١) الطبري الأمم والملوك ج ١ ص ٥٤٣

(٢) ابن كثير السيرة النبوية ج ١ ص ٤٧٣

(٣) الطبري الأمم والملوك ج ١ ص ٥٤٤

(٤) ابن كثير البداية والنهاية ج ٣ ص ٤٢

(٥) تاريخ الإسلام للذهبي ج ١ ص ١٤٩

فلما سمع منه رسول الله ﷺ انصرف من مجلس عمه متألماً، وحين ذاك ناداه عمه وخاطبه بقوله: "أقبل يا بن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً" (١) وبتلقيه النصرة من عمه والرعاية الدائمة من خالقه واصل دعوة العباد إلى عبادة رب العباد، رغم إحجام الناس عن تقبل دعوته، وتضييق الخناق عليه من قبل سادة قريته.

قريش تعاود التفاوض مع أبي طالب

بزيارة قريش لأبي طالب وحثهم على منع ابن أخيه من نشر الإسلام بإخفاقهم في ذلك وملاحظتهم لاستمرار محمد بن عبد الله ﷺ في تبليغ رسالة رب العالمين اتفقوا أن يذهبوا بعمارة بن الوليد بن المغيرة إلى أبي طالب، وعند وصولهم إليه خاطبوه بقولهم: "يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش، وأشعره، وأجمله، فهو لك وسلم لنا ابن أخيك، هذا الذي قد خالف دينك، ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامهم، فتقتله فإنما رجل كرجل. فقال والله لبئس ما تسوموني أتعطوني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلوه، هذا والله ما لا يكون أبداً هذا وظل رسول الله ﷺ الله يجهد نفسه في دعوة الناس إلى اعتناق الإسلام عبر ترغيبهم بالجنة وتخويفهم بنار الله المحرقة، رغم ديمومة تكذيبهم برسالته.

المشركون يطلبون من الرسول قرآن غير القرآن

ذات يوم مع استماع أناس من المشركين لبعض الآيات القرآنية والتي تثبت أفراد خالقهم بالألوهية، والعبودية، في الدنيا والحساب على الأخطاء في الحياة الأبدية، بعد فناء البشر. من الأرض وذم عبادة الأوثان، والوعيد لمن عبدها قالوا له ﷺ: "أئت بقرآن غير هذا أو بدله" وتوجيه خالقه أبدى لهم أن الآيات القرآنية التي سمعوها ما هي إلا كلام خالقهم وأنه غير قادر على تبديل القرآن أو تغييره. هذا ثم أمره خالقه بأن يخاطب عقولهم بقول الله: {قُلْ لَوْ

(١) الطبري الأمم والملوك ج ١ ص ٥٤٥

شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَأَكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ فَمَنْ
 أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ^(١) هذا وقد ظل أناس
 من المشركين يزعمون بأن القرآن ليس من عند الله، وإنما محمد بن عبد الله ﷺ افتراه وهنا أمره
 خالقه بأن يقول لهم {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ^(٢) }

دار الأرقم يخدم الإسلام

نتيجة لعدم تقبل كفار قريش اعتناق الإسلام، كان لهم تضيق الخناق على رسول الله ﷺ وذلك بغية عدم انتشار الإسلام، هذا من جانب ومن جانب آخر عمدوا على تضيق الخناق على كل من يعتنقه، ومن هنا أقدم رسول الله ﷺ كما أسلفنا على اتخاذ مقرًا له ولأصحابه بعيدًا عن أعينهم، وأضحى هذا المقر هو دار الأرقم، ففيه يجتمع رسول الله ﷺ بأصحابه لتعليمهم أمور دينهم، وما يتنزل عليه من القرآن الكريم، ويعلمهم الكتاب، والحكمة، وعبره يناقش مشاكل المسلمين. ومع تضيق الخناق على رسول الله ﷺ وإنزال الأذى بمن استجاب لرسول الله ﷺ باعتناق الإسلام دينًا وباتخاذ رسول الله ﷺ لذلك المنزل البعيد عن أعين المشركين أصبح متنفسًا لتجمع المستضعفين فيه، ومن ثم اللقاء برسول الله ﷺ والاستماع إليه.

تصاعد إيذاء الرسول وأتباعه

بفشل سادات قريش من ثني محمد بن عبد الله ﷺ عن نشر الإسلام تصاعد إيذاء بعض كفار قريش له، ومن الذين ظلوا مداومين على إيذائه كما أسلفنا سابقًا عمه أبو لهب وهذا ما

(١) يونس آية ١٦-١٧

(٢) يونس آية ٣٨

تقاعس عن إلحاق الضرر به ﷺ ولم يكتف بأمر ولديه من تطليق ابنتي رسول الله ﷺ؛ إنما كان له بذل قصارى جهده في صرف الناس عن استماع ابن أخيه رسول الله ﷺ ولم يقتصر - جهده على أبناء مكة المكرمة إنما تعدهم ليصرف زائري مكة أثناء موسم الحج من الاستماع لرسول الله ﷺ؛ فقد ظل يكذب رسالته أمام أعين الزوار باذلاً قصارى جهده في صرفهم عنه ﷺ، كما سمح لزوجته أم جميل أروى بنت حرب بن أمية شقيقة أبي سفيان بإلحاق الأذى بابن أخيه وهذه كانت تحمل الحطب ليلاً وتضعه في طريق رسول الله. ومن الأشقياء الذين ظلوا يصعدوا من إيذاء رسول الله ﷺ عقبة بن أبي معيط، وهذا ذات يوم وكفار من قريش يرون رسول الله ﷺ يصلي تهامسوا فيما بينهم بمن يأتي بسلى جزور (١) ويضعها على جسده وبسجود رسول الله ﷺ وضع القذارة على ظهر رسول الله ﷺ، فضحك الحاضرون وخلال ذلك العمل المقزز مرت ابنت رسول الله ﷺ فاطمة وأزاحت تلك الجزور عن والدها. وبمقابلة رسول الله ﷺ لهم بالصبر، واحتساب حاله عند خالقه، كان لبعض مشريكي مكة مقابلة رسول الله ﷺ بالهمز واللمز ومن أبرز هؤلاء أمية بن خلف، والاحنس بن شريق الثقفي وفي هذا الأخير قال فيه خالقه وهو يوجه رسوله: {وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بِنَمِيمٍ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ} (٢)

ومن الذين تبادوا في إيذاء رسول الله ﷺ أبو جهل، فهذا بحكم وجاهته بين قومه، وما له من كلمة مسموعة فيهم، ومن منطلق تنافس قبيلته مع بني هاشم على الزعامة وأخيراً ما أتى به محمد ﷺ من دعوة مما سبق كان لأبي جهل التهادي في تكذيب ما جاء به رسول الله ﷺ، ولم يكتف عند حد تكذيبه بل ظل في كبار قريش وعامتهم يحثهم صوب التكذيب برسالة رسول

(١) سلى جزور أي بقايا ما يخلف من ذبح بهيمة الأنعام وعلى رأسها الفرث والدم

(٢) القلم آية ١٠

الله ﷺ، وتضييق الخناق عليه، وعلى من آمن برسالته، ومن ديمومة أذى أبي جهل إلى أمية بن خلف وهذا فقد كان من الذين يكثروا الهمز واللمز على رسول رب العالمين ﷺ، بغية التقليل من قدره، ومع ذلك ظل قائماً بتبليغ رسالة خالقه.

أسئلة قريش التعجيزية

مع وقفات رجال من سادة قريش التأملية لآيات من القرآن الكريم؛ احتاروا في تلك النصوص، وتسألوا كيف لرجل عاش في بيئتهم وبين أظهرهم أن يأتي بها، وحتى يتحققوا من نبوة محمد بعثوا بالنظر بن الحارث بصحبة عقبة بن أبي معيط إلى علماء يهود في يثرب، وهذان عند وصولهما إليهم ذكروا لهم ما يدعيه محمد بن عبد الله ﷺ من النبوة، ووصفوا لهم صفاته، ولمعرفة علماء يهود بالكتب السماوية التي تطرقت إلى رسول آخر الزمان، وصفاته قالوا لهما: "سلوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبي، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم، فإنه كان لهم حدث عجيب، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وسلوه عن الروح ما هو، فإن أخبركم بذلك فهو نبي، فاتبعوه، وإن لم يفعل فالرجل متقول" وبسماعهما ذلك عادا إلى سادة قريش وأخبروهم بما سمعا، وهؤلاء ما كان منهم إلا أن وجهوا تلك الأسئلة إلى رسول الله ﷺ فقال لهم: "أخبركم غداً بما سئلتهم" (١) فتفرق السائلون وعادوا إليه في اليوم الثاني لكن الرسول لم ينزل عليه الوحي، وبالتالي لم يذكر لهم الجواب، وظل الوحي منقطع عنه لخمسة عشرة ليلة، وخلال هذه الفترة اعتقدت قريش بعدم نبوته ﷺ، وأطلقت لألستها العنان في تكذيب الرسول ﷺ، والتقليل من قدره (٢) ثم إن وحي السماء نزل بعد ذلك إلى الرسول ﷺ ليجيب عن أسئلتهم، والتي يمكن أن تختصر في

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ج ١ ص ٢١٣

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ٦٩

الآتي الفتية هم أهل الكهف، الذين اعتنقوا دين خالقهم، وفروا من ملكهم، وقومهم خشية أن يبطشوا بهم، أو يعيدوهم لملتهم، وبوصولهم إلى الكهف أماتهم الله فترة من الزمن، ثم أحياهم، وأما الرجل الطواف فهو ذو القرنين، وهذا بفضل إنعام خالقه له تمكن من الطواف حول مشارق الأرض ومغاربها، وأخيرا الروح فهي من أمر الله، ولا يمكن لأحد أن يطلع عليها، باستماعهم لرسول الله ﷺ وعدم الرجوع إلى عقلمهم، في تأخر الرد عليهم لنصف شهر وقد كان الأولى بهم أن يدركوا أن محمداً ﷺ صادقاً فيما أتاهم به ولو كان الأمر من عنده لتبين كذبه، ومع ذلك أخذتهم العزة بالإثم، ولم يؤمنوا برسالته، بل وصل الحال بهم إلى استمرار توجيه الأسئلة التعجيزية لرسول الله ﷺ ومنها ما سطره كتاب الله وذلك في قوله تعالى { وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَافَهَا تَفْجِيراً أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا كَيْسَافاً أَوْ تَأْتِي بِلِ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرُؤُهُ } (١)

وإزاء تلك الأسئلة التعجيزية وقدرته ﷺ المحدودة وجهه خالقهم بالرد عليهم بقوله { سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا } وذات يوم وبينما كان أبو جهل والأخنس يمشيان في إحدى أزقة مكة قال رسول الله ﷺ لأبي جهل: "يا أبا الحكم هلم إلى الله، وإلى رسوله، أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ" فقال أبو جهل: "يا محمد هل أنت منته عن سب آلهتنا، هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بلغت فنحن نشهد أنك قد بلغت، فو الله لو أني أعلم أن ما تقول حق لا تبتعتك" فلم يرد عليه رسول الله وانصرف عنه.

الهجرة الأولى إلى الحبشة الخامسة من البعثة

إثر تضيق قريش الخناق على محمد ﷺ ومن آمن برسالته، وإنزال كبار رجال قريش الضربات الموجعة في المستضعفين ممن اعتنق الإسلام ديناً، ولكون هؤلاء مساكين لا حول لهم ولا قوة في إيقاف عدوان مشركي مكة، وبتألم رسول الله ﷺ لحلمهم أذن لهم بالهجرة إلى الحبشة بقوله: "لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه" (١) وكان ملك الحبشة أصحمة النجاشي مع شعبه يدينون بالنصرانية، وخلال السنة الخامسة من بعثته انطلق صوب الحبشة اثنا عشر رجلاً، وأربعة نسوة، منهم عثمان بن عفان، وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، ومصعب بن عمير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وامرأته أم سلمة ٠٠٠ إلخ

وهؤلاء لتخوفهم من مشركي مكة بأن يعلموا بنيتهم مغادرة مكة ومن ثم يحيلوا بينهم وبين مبتغاهم، لذلك مع دخول المساء خرجوا من قريتهم، وبمغادرتهم أرض مكة توجهوا صوب شاطئ البحر، وهناك هيا الله لهم سفينتين، بركوبهم عليها أوصلتهم إلى بلد الأمان، بلد العدالة، أرض الحبشة وهناك أصبح هؤلاء أول مهاجرين في الإسلام.

المشركون يبدون أن القرآن تعلمه الرسول من رجل يقال له الرحمن

من مشركي قريش من اعتبر الوحي الذي أنزل على الرسول ﷺ من قصص الأمم السابقة ليست من قبل خالقه وإنما علمه إياها رجل من اليمامة، يسمى الرحمن، ولأن الفترة الزمنية بين رسول الله ﷺ والرسول الذين قبله قد مر عليها أمم، وباتجاه أولئك صوب هذا الاعتقاد وتعتهم في عدم التصديق بما جاء به محمد بن عبد الله ﷺ كان الرد عليهم من قبل رب العالمين

(١) مسند أحمد ابن حنبل ج ٤ ص ٢٥٩

{كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ

يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ { (١)

الرسول يقرأ على بعض سادة مكة سورة النجم

ذات يوم ورجال من كبار سادة قريش مجتمعون حول بيت الله الحرام قدم عليهم رسول الله وقرأ عليهم قوله تعالى: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ} وبوصول رسول الله ﷺ إلى قوله تعالى {فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا} (٢) وسجوده لخالقه وبإنصات القوم وتدبرهم بكلام رب العالمين ما كان لهم إلا أن سجدوا لخالقهم أثناء سجود رسوله، رغم عدم اعتناقهم للإسلام، وديمومة تكذيبهم لرسوله ﷺ، وبتمسكهم بوثنيتهم قال أحدهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبونه، وبانتشار هذا الخبر إلى قومهم أنصب عليهم اللوم والتأنيب.

تصور الملائكة

كان الكثير من مشركي مكة المكذبين بالحياة الأبدية، وبما فيها من حساب وعقاب، يصفون الملائكة بالإناث، في حين الكثير منهم يقللون من قدر الإناث، بل وصل الحال ببعضهم إلى وأدهنَّ أحياءً مبررين جرمهم بأنهن مجلبة للعار، ومع كل تلك الظنون الخاطئة وصل بهم الحال إلى قولهم بأن الملائكة بنات الله {إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَهُنَّ} (١)

(١) الرعد آية ٣٠

(٢) سورة النجم ١-٥

المَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى وَمَا هُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِيَنَّ الْحَقَّ شَيْئًا
فَأعرض عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} (١)

الهجرة الثانية إلى الحبشة

باستقرار مهاجري مكة المكرمة في الحبشة، بلد العدالة، لم يمكثوا فيها كثيرًا إذ عادوا إلى وطنهم بعد ثلاثة أشهر من نفس العام، رغم وفرة خيراتها، وطيب أهاليها، وقيل إن السبب في ذلك وصول الشائعات إليهم بأن سادة قريش كفت أياديها عن تعذيب ضعفاء المسلمين، وبعودة الكثير منهم إلى قريتهم مكة المكرمة، ومعايبتهم تضيق مشرقي قريش الخناق على ضعفاء معتنقي الإسلام أذن الرسول ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى أرض الحبشة للمرة الثانية. وهكذا أصبحت تلك الأراضي حاضنة لمستضعفي المسلمين، وتتابع الوافدون إلى الحبشة ليصلوا بضع وثمانين رجلاً وسبع عشرة امرأة (٢) وهناك وجدوا ما افتقروه في بلادهم من أمان، وحرية، وممارسة عباداتهم الدينية دون خوف، وبفرار من أسلم إلى الحبشة زاد القلق في أوساط قريش مما أدى بهم إلى أن يسعوا في إعادة المهاجرين، ولتنفيذ ما أرادوا أرسلوا لملك الحبشة هدايا بصحبة عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي أمية بن أبي ربيعة وهذان بوصولهما أرض الحبشة ومقابلتها للملك بينوا له أن سادة قريش راغبون في عودة الوافدين إليه، وبحجة مخالفة أهليهم وقومهم عن عبادة آلهتهم، واعتناق الإسلام وذلك في قولهما: "أيها الملك إنه قد ضوى إلى بلدك غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا إليك فيهم أشرف قومهم من آبائهم، وأعمامهم، وعشائرتهم لتردهم إليهم فهم أعلم بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

(١) النجم آية ٢٧-٢٨

(٢) تاريخ الاسلام للذهبي ج ١ ص ١٨٤

ولعدالة ملك الحبشة بعد استماعه للضيفين رأى أن يستدعي الوافدين إلى أرضه ويسمع
لكلامهم، وعند حضورهم مجلسه قام عنهم جعفر بين أبي طالب وقال له: "أيها الملك كنا قوم
أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار،
ويأكل القوي الضعيف، فكنا على هذا حتى بعث الله لنا رسولاً نعرفه ونعرف نسبه، وصدقه،
وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة
والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن
المحارم، والدماء، ونهانا عن الفواحش، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد
الله لا نشرك به شيئاً. وسرد عليه ما جاء به الإسلام من فضائل، ثم تابع حديثه بقوله:
فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من دين الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً،
وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا فعدي علينا قومنا فعذبونا، وفتنونا عن ديننا
ليردونا إلى عبادة الأوثان. من عبادة الله تعالى وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما
قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من
سواك، ورجبنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك" ^(١) بسماع الملك إلى حديث
جعفر قال له: هل معك مما جاء به عن الله شيئاً قال له جعفر نعم فقرأ عليه بعض آيات من
سورة مريم، باستماع النجاشي للآيات القرآنية وكونه يدين بالنصرانية بكى حتى أخضلت
لحيته، كما بكى أسافته ثم قال إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا
فلا والله لا أسلمهم إليكما.

وحين ذاك برفضه تسليمهم لعمر بن العاص وهذا الرجل لأنه يعد من دهاة العرب بعد
انصرافه من المجلس أراد أن يوغر صدر الملك تجاه المهاجرين ففي صباح اليوم الثاني خاطب

(١) القرطبي الإعلام بما في دين النصارى ص ٢٧٥

الملك بقوله "أيها الملك إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً" (١) بسامع الملك لعمر بن العاص استدعاهم وسألهم عن قولهم في المسيح بن مريم وبحضور المهاجرين تحدث جعفر عنهم بقوله: "نقول كما قال الله هو كلمته، وروحه، ألقاها إلى مريم العذراء، البتول، التي لم يمسهما بشر"

وبسامع الملك لقول جعفر أخذ عوداً من الأرض ثم قال: والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود ثم قال للمهاجرين اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي أي اذهبوا آمين، ثم قال من سبكم غرم، من سبكم غرم، من سبكم غرم، ما أحب أن لي دبراً من ذهب وإني آذيت رجلاً منكم ورد عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة وهدايا قريش. وهذان ما كان أمامهما إلا أن عادا إلى بلدهما خالياً بالدين.

إسلام حمزة السنة السادسة للبعثة

حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ، وأخوه في الرضاعة، كان قد أرضعتهما مولاة أبي لهب ثوية وعُرف حمزة منذ نعومة أظفاره بالشجاعة، كما كان يعد من أعز قريش، وأشدها شكيمه (٢) وبالرغم من صلة القرابة بينه وبين ابن أخيه إلا أنه في أيام الإسلام الأولى لم يعتنق الإسلام، وذات يوم وبينما حمزة غائباً عن بلده يصطاد اعترض أبو جهل رسول الله ﷺ عند الصفا "فأذاه وشتمه، وقال فيه ما يكره من العيب لدينه" (٣) فصبر ﷺ على إذاه، ولم يرد عليه وكانت مولاة عبد الله بن جدعان حاضرة بذلك المشهد فتألمت لأذى الرسول ﷺ، وعند

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ٢٠١

(٢) الطبري الأمم والملوك ج ١ ص ٥٤٨

(٣) الحاكم المستدرک ج ٣ ص ٢١٣

عودة حمزة بن عبد المطلب من الصيد وطوافه بالكعبة المشرفة خاطبته بقولها " يا أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد أنفا قبل أن تأتي من أبي الحكم بن هشام، وجده هاهنا جالساً فسبه، وأذاه، وبلغ منه ما يكرهه، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد" (١) ولما سمع منها حمزة اشتط غضباً وانصرف من عندها لا يقف على أحد، وبتجاهه إلى نادي القوم عند الكعبة ودخوله المسجد رأى أبا جهل جالساً مع القوم وعند اقترابه منه "رفع القوس فضربه بها ضربة فشججه شجية منكراً، وقال أتشتمه وأنا على دينه، أقول ما أقول فرد ذلك عليّ إن استطعت" (٢) قال حمزة تلك الكلمات أثناء غضبه بينما كان حتى تلك اللحظة لا يدين بالإسلام، ومع مشاهدة رجال من بني مخزوم لذلك المشهد ثاروا غضباً لنصرة أصحابهم، وقاموا صوب حمزة مخاطبيه " ما نراك يا حمزة إلا قد صبئت " فخفف أبو جهل من حدة غضبهم بقوله " دعوا أبا عمارة فإني والله لقد سببت ابن أخيه سبا قبيحاً " وهكذا دعت الحمية القبلية نصره حمزة لابن أخيه، وأعلن اعتناقه للإسلام دون علمه بجوهر الإسلام، لكنه مع استماعه لما أنزله الله على رسوله ﷺ من آيات قرآنية، وتمعنه بها، أدرك أن ما جاء به ابن أخيه ما هو إلا دين رب العالمين، وبذلك شرح الله صدره أن هداه للإسلام.

إسلام عمر بن الخطاب ٦ للبعثة

كان عمر بن الخطاب من أشرف قريش، وإذا ما وقع الحرب بين قريش وبين غيرهم بعثوه سفيراً، وكذلك إذا نافرهم منافر أو فأخرهم مفاخر بعثوه منافراً، أو مفاخرًا، بأيام الإسلام الأولى كان من أشد الناس عداوة للرسول ﷺ، ومن آمن برسالته، ولأنه رجل ذو شكيمة لا يرام يقال إن الرسول ﷺ كان قد دعا الله بقوله "اللهم أعز الإسلام بأحد الرجلين

(١) الطبري الأمم والملوك ج ١ ص ٥٤٨

(٢) المصدر السابق ص ٥٤

"أي بعمر ابن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام (١) وكانت إرادة الله لعمر بن الخطاب الهداية، وكان ذلك بعد هجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة (٢) ومما مهد لإسلامه أنه التجأ ليلة إلى المبيت خارج منزله فذهب إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة، ودخل في ستر الكعبة، وكان رسول الله ﷺ قائماً يصلى وبصلاته كان يقرأ سورة الحاقة ومما سمعه قوله تعالى {فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} (٣) بساعه لهذه الآيات الربانية وقعت في قلبه، وأدرك أنها ليست من كلام البشر، لكنه مع ذلك ظل متمسكاً بوثنيته وبالرغم من ذلك أصبحت تلك الآيات القرآنية التي سمعها بمثابة النواة لإسلامه، وأما السبب المباشر لإسلامه فإنه ذات يوم وهو في أحد طرق مكة المكرمة يتمشى والجو شديد الحرارة أوغر صدره أحد الرجال بقوله " أين تذهب يا ابن الخطاب أنت تزعم أنك هكذا، وقد دخل عليك هذا الأمر في بيتك (٤) قال قلت وما ذاك قال أختك قد صبئت " فلما سمع قوله أخذ به الغضب مداه وبذها به إلى بيت أخته صادف حينها أن كان بعض معتنقي الإسلام في منزلها يقرءون صحيفة بها بعض آيات من القرآن الكريم، وعند اقترابه من الباب وسماهم لصوته خافوا منه كثيراً وبدخوله المنزل

(١) القرطبي الإعلام بما في دين النصارى ص ٣٦٨

(٢) الطبري الأمم والملوك ج ١ ص ٥٤٩

(٣) الحاقة آية ٣٨-٥٢

(٤) ابن حنبل فضائل الصحابة ج ١ ص ٢٨٥

أخفوا أنفسهم عنه، وأما عمر فقد صاح بأخته " يا عدوة نفسها قد بلغني أنك صبئت " (١) كما ضربها بشيء كان في يده على رأسها مما أدى إلى خروج دمها، وفي هذا الموقف يذكر ابن الخطاب أن أخته قالت له يا بن الخطاب ما كنت فاعل فافعل، فقد أسلمت، قال فجلست على السرير فنظرت فإذا بكتاب في ناحية من ناحية البيت فقلت ما هذا أعطينه، قالت لست من أهله، إنك لا تغتسل من الجنابة، ولا تتطهر، وهذا لا يمسه إلا المطهرون، فلم أزل بها حتى أعطتني فإذا فيه {بسم الله الرحمن الرحيم} فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت بالصحيفة، ثم رجعت فإذا فيه {سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم} كلما مررت باسم من أسماء الله ذعرت ثم رجعت إلى نفسي، حتى بلغت {آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه} إلى قوله {إن كنتم مؤمنين} فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله " فلما سمعه المختفون استبشروا به خيراً، وخرجوا مكبرين وحتى يعرض إسلامه على رسول الله ﷺ سأل عن مكان تواجدته فقالوا له: إنه في بيت أسفل الصفا فذهب إليه ونطق بالشهادتين.

ممثّل قريش يفاوض رسول الله

بتمسك المستضعفين بدينهم رغم تحملهم لمختلف أنواع العذاب، وبإصرار محمد بن عبد الله ﷺ على نشر الإسلام وبديمومة تمدد الإسلام، احتار سادة قريش في أمرهم، وبيننا هم على ذاك الحال اقترح عليهم عتبة بن ربيعة بأن يذهب إلى محمد بن عبد ﷺ ليفاوضه في إمكانية عدوله عن دعوته، ولأن مكانة عتبة بن ربيعة في قومه كبيرة وافقوا على رأيه، فذهب إلى رسول الله ﷺ وقال له: " يا بن أخي إنك منا حيث قد علمت من السعة في العشيرة، والمكانة في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم،

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ج ٤ ص ٦٦

وعبت به آلهتهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً ننظر فيها لعلك تقبل منا بعضها: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل يا أبا الوليد أسمع.

قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بها جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمر دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا من أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوي منه حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم.

قال: فاسمع مني قال أفعل قال بسم الله الرحمن الرحيم حم تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (١) ثم مضى رسول الله فيها يقرأها عليه ٠٠٠" إلى قوله تعالى {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَكُودٍ} فأمسك عتبة بفيه، وناشده الرحم أن يكف عن القراءة وذلك خوفاً مما تضمنته الآية من تهديد وبعودته إلى القوم "قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد قال ورائي أي والله قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ عظيم، فإن تصيبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به فقالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه قال هذا رأي لكم، فاصنعوا ما بدا لكم" (٢) وبعدهم تقبلهم لرأي عتبة وإصرارهم على صد انتشار الإسلام اختاروا بعض رجالهم كالعاص بن وائل

(١) فصلت آية ١-٤

(٢) ابن تيمية الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٥ ص ٢١٦

والوليد بن المغيرة وآخرون بغية أن يذهبوا إلى رسول الله ﷺ يفاوضوه في إمكانية العدول عن نشر الإسلام مقابل منحه السيادة والمال، بوصولهم إليه بين لهم أن الأمر ليس بيده، بل بيد خالقهم، وأن ما عليه إلا الامتثال لخالقه، أي خالقهم وتنفيذ أوامره، وفي أولئك نزل قوله تعالى: {ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذُّكْرِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَعَلَىٰ حِينٍ مِّنَاصٍ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا خِثْلَقٌ} (١)

رؤساء قريش تفاوض الرسول

بإخفاق عتبة بن ربيعة وغيره بإقناع رسول الله ﷺ من العدول عن نشر الإسلام احتار سادة قريش في أمرهم، وظلوا يتدارسون بالكيفية التي من خلالها يقنعون محمد بن عبد الله ﷺ بالتنازل عن نشر الدين الذي أتى به، وباجتماعهم وتشاورهم اتفقوا على استدعاء رسول الله ﷺ وأن يعرضوا عليه ما عرضه عتبة (٢) عساه يتقبل منهم وباستدعائه ووصوله إليهم وسماعه عرضهم قال لهم: " ما بي ما تقولون ما جئتمكم بما جئتمكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليّ كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً، ونذيراً، فبلغتكم رسالات ربي، ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتمكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوا عليّ أصبر لأمر الله، حتى يحكم الله بيني وبينكم (٣) بسماعهم لكلام رسول الله ﷺ ويأسهم من عدوله عن نشر الإسلام طالבוه

(١) ص آية ١-٧٣

(٢) ابن سعد الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢١٠

(٣) ابن حجر العسقلاني فتح الباري ج ٧ ص ١٩٢

بأسئلة تعجيزية منها قولهم له إنك قد علمت أنه ليس أحدًا من الناس أضيّق بلدًا ولا أقل ماءً ولا أشد عيشًا منا؛ فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسر هذه الجبال التي قد ضيقت علينا، وليسط لنا بلادنا، وليفجر لنا فيها أنهارًا، كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضي من آبائنا، وليكن في من يبعث لنا منهم قصي بن كلاب، فإن صدقوه يؤمنون به. فرد عليهم بنفس رده لكنهم طالبوه بأن يسأل ربه أن يبعث له ملكًا يصدقه، وأن يجعل له جنات وكنوزًا وقصورًا من ذهب وفضة هذا ورسول الله ﷺ يبدي لهم ما هو إلا بشرًا رسولًا. ومع ذلك تمادوا في أسئلتهم التعجيزية وطالبوه بأن يسقط السماء عليهم كسفًا فيبين لهم أن ما يطلبوه ليس بيده وإنما بيد الله ومع نهاية حوارهم للرسول ﷺ قالوا له أما والله لا نتركك وما فعلت بنا حتى نهلك أو تهلكنا (١). فانصرف رسول الله ﷺ عنهم وهو منكسر القلب حزينا على عدم هدايتهم.

الحصار على بني هاشم ٧ للبعثة

بذل سادة قريش الغالي والنفيس في سبيل قتل الإسلام في موطن ولادته، ونتيجة لإصرار محمد ﷺ ومن آمن برسالته على نشر الإسلام، وفشل وساطات قريش، وإجماع بني هاشم وبني المطلب على حماية رسول الله ﷺ تلك الإجراءات أفضت إلى حيرة قريش في الكيفية التي يتخلصون بها من محمد ﷺ ومما جاء به، فهم يدركون أن التخلص من صاحبهم جسديًا سيفضي ببني هاشم وبني المطلب إلى أخذ الثأر له، ويأججهم عن هذا الجانب وفشلهم في ثني رسول الله ﷺ عما جاء به وبهذا الحال وبعد لقاءات ونقاش مطول اتفق سادة قريش على مقاطعة بني هاشم وبني المطلب، وفي هذا الصدد كتبوا وثيقة مفادها أن لا يتزوجوا منهم ولا يزوجهم، ولا يبتاعوا منهم، ولا يبيعوهم وألا يخاطوهم ولا يجالسوهم، ثم إنهم علقوا

(١) السيرة لابن كثير ج ١ ص ٤٨١

تلك الوثيقة في جوف الكعبة هذا ما كان من قريش وأما بنو هاشم وبنو المطلب فقد انحازوا من قريش إلى شعب أبي طالب، وهكذا فرض الحصار الظالم على محمد بن عبد الله ﷺ وعشيرته، وبعد فترة من الزمن أثقل الحصار كاهل البيتين، وقلت أرزاقهم، وجاع صبيانهم، ومع ذلك ظل رسول الله ﷺ في أعينهم رافضين تسليمه إلى زعماء قريش، إلا أن تلك المعاناة كانت قد ألحقت الضرر الأكبر في عشيرته، ذلك الضرر لم يعجب بعض القرشيين، ورجال من بني عبد مناف ومن قصي، ومن أولئك على الأخص هشام بن عمرو بن الحارث، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة، والمطعم بن عدي، وأبو البحري بن هشام، وزمعة بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد هؤلاء الرجال أجمعوا أمرهم على نقض الصحيفة، ومع الصباح الباكر وتواجد الناس حول الكعبة المشرفة صاح في الناس زهير بن أبي أمية " يا أهل مكة أأناكل الطعام ونشرب الشراب ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى، لا يبايعون ولا يبتاع منهم، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة ^(١) فعارضه أبو جهل بقوله: " والله لا تشق. قال زمعة بن الأسود أنت والله أكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت. فقال هشام بن عمرو نحوا من ذلك قال أبو جهل: هذا أمر قد قضي ليل، وتشوور فيه بغير هذا المكان " ^(٢) قال: البحري صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به قال المطعم بن عدي: صدقتها وكذب من قال غير ذلك نبرأ إلى الله منها، ومما كتب فيها، وإثر الحوار قام المطعم بن عدي ليمزق الصحيفة فوجد الأرضة قد أكلتها إلا موضع "بسمك اللهم" وهكذا عبرهم كسر الحصار الظالم والذي دام لستين وقيل ثلاث.

(١) الطبري الأمم والملوك ج ١ ص ٥٥٣

(٢) ابن كثير السيرة النبوية ج ٢ ص ١٢٢

الطفيل بن عمرو الدوسي يعتنق الإسلام

الطفيل بن عمرو بن طريف الدوسي عرف بأنه كان شريفاً شاعراً لبيباً بانتشار أخبار ما أتى به محمد ﷺ من دين، ووصول تلك الأخبار إليه رغبت نفسه بلقاء رسول الله ﷺ والاستماع إليه، وبزيارته لمكة المكرمة وترقب قريش لكل زائر، وتحذيرهم من الاستماع لرسول الله ﷺ، كان لهم اللقاء بالطفيل وبلقائه خاطبوه بقولهم: يا طفيل إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل بين أظهرنا قد أعطل بنا، وفرق جماعتنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وإنما نخشى عليك وعلى قومك، فلا تكلمه، ولا تسمع منه، وما زالوا به حتى انصاع لحديثهم. لكن عناية رب العالمين كانت قد هيأت له اعتناق الإسلام فمع دخوله المسجد ورسول الله ﷺ قائماً فيه يصلى وخلال تلاوته لآيات من القرآن الكريم أثناء صلاته استمع إليها الطفيل بن عمرو الدوسي وأدرك أن تلك الآيات كلام حسن (١)

وهنا حدث نفسه بقوله: "واثكل أُمي، والله إني لرجل شاعر لبيب ما يخفى على الحسن من القبيح، فما يمنعي أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، إن كان الذي يأتي حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته، وهنا ظل في مكانه إلى أن انصرف رسول الله ﷺ من المسجد إلى منزله فتبعه، وفي منزل رسول الله ﷺ خاطب رسول الله ﷺ بقوله: يا محمد إن قومك قالوا لي كذا وكذا ثم إن الله أباي إلا أن أسمع قولك فسمعت قولاً حسناً فأعرض علي أمرك، وبساعه للآيات القرآنية من رسول الله ﷺ استحسنت كلام خالقه واعتنقت الإسلام ديناً، وبإسلامه عاد إلى قومه وفي نيته أن يجتهد في دعوتهم إلى اعتناق الإسلام ديناً.

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢٦٢

عام الحزن

أثناء العام العاشر من بعثة رسول الله ﷺ كانت إرادة الخالق لرسوله ﷺ مفارقة أقرب الناس إلى قلبه، فخلال هذه السنة ومع تحمل الرسول ﷺ لأعباء الدعوة الإسلامية فارقت زوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها الحياة، بعد أن كانت سنّداً وعاوناً لرسول الله ﷺ ابتداءً من أيام الإسلام الأولى وإلى أن أتمتها منيتها، كما خلال هذه السنة فقد الرسول ﷺ عمه أبا طالب والذي وصف بأنه كان على ابن أخيه " عقداً وحرزاً في أمره، ومنعة وناصر له على قومه، كانت تلك المناصرة بالرغم من بقائه على دين آبائه ومع حزن الرسول ﷺ لفقد أحبابه وتعنت قومه له وديمومة مؤذاتهم خلال هذا العام أطلق عليه بعام الحزن ثم إن الرسول ﷺ في هذا العام تزوج بسودة بنت زمعة العامرية، وكانت قبله تحت السكران بن عمرو، وتم زواجه بها كما ترويه عائشة قالت " لما توفيت خديجة قالت خولة بنت حكيم بن الأوقص امرأة عثمان بن مضعون أي رسول الله ﷺ ألا تزوج؟ قال من.

قالت إن شئت بكرًا وإن شئت ثيبًا

قال ومن الثيب؟

قالت: سودة بنت زمعة، قد آمنت بك، واتبعتك على ما أنت عليه.

قال: فاذهبي فاذكريها عليّ فخرجت فدخلت على سودة

فقلت يا سودة ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟ قالت: وما ذاك؟ قالت أرسلني

رسول الله ﷺ أخطبك عليه

فقلت وددت فادخلي على أبي واذكري ذلك له ٠٠٠

فقلت إن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أرسلني أخطب عليه سودة، فقال كفؤ كريم،

فماذا تقول صاحبك؟

قالت تحب ذلك قال فادعها إليّ

فدعوتها فقال: أي سودة رفعت هذه أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يخطبك وهو

كفؤ كريم أفتحبين أن أزوجه؟ قالت نعم قال فادعيه لي

فدعوته فجاء فزوجها ^(١) كما أنه في هذا العام تزج بعائشة بنت أبي بكر وكانت بكرًا

ولم ينكح بكرًا غيرها ^(٢) ولصغر سنها لم يدخل بها إلا بعد هجرته إلى المدينة.

من مسار تقييم الخالق لرسوله

عندما بالغ محمد بن عبد الله ﷺ في إجهاد نفسه بإيصال سواد قومه إلى اعتناق الإسلام، وببذله في سبيل ذلك كل طاقته من ترغيب بنعيم الله لطيعيه، وترهيب بعذاب الله للمخالفين، ومع ذلك كانت مشيئة خالقه تقضي بنفور سوادهم عنه، ولأن قلوب العباد بيد خالقهم وهو الوحيد الذي باستطاعته هدايتهم وهداية جميع البشر هداية ملزمة، في أي زمان، وفي كل مكان خاطب رب العالمين رسوله بقوله: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ} ^(٣).

الخالق يصف رسوله بأنه ذو خلق عظيم

مع مبالغة كفار قريش في وصف النبي بالجنون، وتارةً بالسحر، وأخرى بالكذاب، بتألم

الرسول ﷺ من نعتهم مع صبره على إذاهم. كثيرًا ما أبدى الخالق لرسوله عبر الوحي أنه

(١) المعجم الكبير للطبراني ج ٤ ص ٣٠

(٢) عبد الرحمان بن محمد في مناقب أمهات المسلمين ص ٤

(٣) المائدة آية ١٧

ليس بمجنون، ولا ساحر، لا كذاب كما بين له ﷺ أنه بصره ﷺ على إذاهم أثناء ديمومة دعوتهم للإسلام سينال الأجر العظيم في الحياة الأبدية ثم يتحمل الرسول ﷺ لمشاق الدعوة للإسلام وصبره على مختلف نعوتات قريش ورحمته ولطفه بمعنتي الإسلام وصفه الله بقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ}.

دعوته أهل الطائف للإسلام

نتيجة لامثاله أوامر خالقه {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا} ظل رسول رب العالمين ﷺ مثابراً في دعوة قريش إلى الإسلام، رغم تكذيبهم له، وبديمومة صبره على إذاهم اللفظية، والجسدية، وعدم تقبل القطاع العريض منهم للإسلام خرج ﷺ من مكة المكرمة بصحبة زيد بن حارثة إلى الطائف، وذلك في السنة العاشرة من بعثته^(١) وعند وصوله الطائف توجه صوب أبرز رجالها وهم عبد يا ليل، ومسعود، وحبيب أولاد عمرو بن عمير الثقفي، وبعرضه الإسلام عليهم كان موقفهم المشين، من تكذيب لرسالته، وازدراؤهم به، ثم إن رسول الله ﷺ قبل أن ينصرف عنهم ناشدهم أن يكتموا زيارته لهم عن قومه، حتى لا يشمتوا به، لكن أهل الطائف تمادوا في إيذائه، وذلك بإيعاز سفهائهم وصبيانهم عليه، ما بين شتم، وقذف بالحجارة، حتى أدميت قدماه، وإزاء تلك المواجهة ما كان من رسول الله ﷺ وصاحبه إلا أن غادرا أولئك القوم وهو حزين القلب منكسر الفؤاد، وفي طريقه جلس بجوار حائط بستان وناجى ربه بقوله: "اللهم إليك أشكوا ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، أنت أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أشرقت له الظلمات

(١) ابن سعد الطبقات الكبرى ج ١ ص ١٢٥

وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل على غضبك، وينزل عليّ سخطك، لك العتبي حتى ترضى، ولا حولاً ولا قوة إلا بك" (١) تلك المعاناة التي تجرّعها الرسول ﷺ جعلت من ابني ربيعة عتبة وشيبة يتعاطفا معه، وعبرا عن تعاطفها بأن أرسلوا للرسول ﷺ ثمرات من العنب، مع مولى لهما يدعى عداس، وهذا كان يدين بالنصرانية، بتقديمه الثمرات للرسول ﷺ وقول الرسول ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم تعجب عداس من أمره، كون تلك الألفاظ غريبة عن واقع ذلك القوم، ويتداوله الحديث مع الرسول وسماعه أنه رسول الله ﷺ عظم في نفسه، ثم إن رسول الله ﷺ بصحبة زيد واصل طريقه عائداً إلى بلده، مكتئباً حزيناً على عدم تقبل أهل الطائف للإسلام، هذا من جانب ومن جانب آخر خوفه من مغالاة قريش في معاداته، ذاك الظرف العصيب أوجب عليه أن يبحث عن رجل ذا وجهة في قومه حتى يمنعه منهم، إذا ما أقدموا على أذيته، فكان دخوله في حماية المطعم بن عدي، وهذا ما كان منه إلا أن استجاب لنداء الرسول ﷺ وبحمائته له دخل رسول الله ﷺ مكة آمناً.

الرسول والأرواح الخفية

الأرواح الخفية "الجن" لم تكن بعيدة عن واقع مجتمعه حين ذاك، بل إن موضوع الأرواح الخفية موجودة في سواد المجتمعات البشرية، ومنذ قديم الزمن، كما وردت في الأديان السماوية.

ومع تكليف محمد بن عبد الله ﷺ بنشر الإسلام وأثناء عودته من الطائف بعد أن دعاهم للإسلام وفي موضع يقال له نخلة القريب من مكة، أراد الله لبعض الجن أن يتعرفوا على

رسول الله ﷺ ومحتوى رسالته (١) {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ} (٢) باستماعهم آيات من القرآن الكريم وإدراكهم أنها من عند خالقهم، اعتنقوا الإسلام دينًا وهكذا بالرغم من أن الأرواح الخفية من ملائكة وجان محجوبة عن الأنظار إلا أن الخالق أراد لنبيه ﷺ ومن يؤمن برسالته أن يطلعوا على بعض أخبارهم {قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا} (٣) وكان رسول الله ﷺ أثناء استماع أولئك الجن له لا يعرف بشأنهم إنما أوحى إليه خالقه بقصتهم وبتأمله مما حل به بالطائف من جراء عدم اعتناقهم للإسلام، وإلحاق الأذى النفسي والجسدي به، بتعرفه لقصة أولئك النفر من الجن وشيئا من أحوالهم ذلك الحال كان بمثابة السلوان للرسول الله ﷺ، وزاده صبرا وتصميما في مواصلة دعوته الناس لاعتناق دين خالقهم، وقبل أن يدخل رسول الله مكة ولتخوف زيد بن حارثة من إلحاق قريش بالأذى برسول الله ﷺ وإبداء تخوفه لرسول الله ﷺ قال له: "يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجا، ومخرجا، وإن الله ناصر دينه، ومظهر نبيه" (٤) وياقترابه من مكة كما ذكرنا آنفا أرسل إلى المطعم بن عدي يطلب النزول بجواره أي أن يقف إلى صفه ويمنع أي اعتداء محتمل عليه ومع أن هذا الرجل متمسك بعبادة الأصنام إلا أنه استجاب لطلب رسول الله، وسرعان ما دعا بنيه وقومه وبحملهم لأسلحتهم، وخرجهم إلى المسجد الحرام صاح المطعم في قريش بقوله: يا معشر قريش إني قد أجزت محمدا فلا يهجه

(١) الطبري الأمم والملوك ج ١ ص ٥٥

(٢) الأحقاف آية ٢٩ الأحقاف آية ٢٩

(٣) الجن آية ٣-٤

(٤) مختصر السيرة محمد بن عبد الوهاب ص ١١٣

أحدًا منكم وبوصول رسول الله ﷺ إلى المسجد طاف بالمسجد ثم صلى ركعتين هذا وبمرافقة المطعم لرسول الله ﷺ ومشاهدة أبي جهل لهما خاطب المطعم بقوله: أجمير أم تابع؟ قال بل مجير. فقال قد أجرنا من أجرت (١).

من الآيات الدالة على صحة الإسلام

بما أن أكبر دولتين معاصرتين لعصر صدر الإسلام هما الفرس، والروم بسيطرة الفرس والروم لبعض الأراضي العربية، ومع ازدياد التنافس بين هاتين الدولتين على الهيمنة والسيطرة على البلدان المجاورة لها ومما سبق دخلت الدولتان بحروب دامية وصادف حينها أن اشتعلت الحرب بينهما وكان النصر حليف الفرس، وبهذه الأخبار وبالرغم أن الفرس يعبدون النار والروم يعتقدون النصرانية، إلا أن كفار قريش استروا لتلك النتيجة، وبالمقابل استاء معتنقو الإسلام منها، إذ كان هؤلاء يفضلون النصر للنصارى، وتداول الطرفين لتلك الأخبار شاء رب العالمين أن تنزل آيات قرآنية في ذلك الشأن تبين أنه في بعض السنين ستشتعل الحرب بين الفرس والروم وبحيث يكون النصر للروم قال تعالى: {الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (٢) بنزول هذه الآيات على رسول الله ﷺ استبشر - معتنقو الإسلام خيرًا، وأكدوا لذويهم ممن دار بينهم النقاش من مشركي مكة بأن الحرب ستحدث وأن النصر سيكون حليف الروم، هذا الوضع سيكون بالمستقبل أي بعد بضع سنوات وبالرغم من تكذيب أولئك لهذه الآيات، إلا أنها ستظل واقع للحدث وذلك

(١) السيرة الحلبية في سيرة الأمين ج ٢ ص ٦٢

(٢) الروم آية ١-٦

بإمكانية حدوثها ومن ثم الوصول لأولئك المكذبين بمصادقية ما جاء به رسول الله ﷺ من دين، ومع تحققها لم يعتنق أولئك المكذبين الإسلام.

عرضه الإسلام على القبائل ١٠ / للبعثة

بتكليفه ﷺ بنشر الإسلام أجهد رسول الله ﷺ نفسه بدعوة أهل بلده إلى اعتناق الإسلام، ومع ديمومة رفض سوادهم لدعوته، وكما أسلفنا مع السنة الرابعة لبعثته وجه دعوته لزاثري مكة المكرمة في موسم الحج، وبالرغم من عدم اعتناق أولئك للإسلام في هذه السنة والسنين اللاحقة ومع ذي القعدة من السنة العاشرة من نبوته وجه دعوته أيضاً صوب القبائل الوافدة إلى مكة المكرمة، وهذه القبائل كانت تفلد إلى مكة إما لحج بيت الله، أو لممارسة أعمالها، وقضاء مصالحها من تجارة، أو مباراة شعرية، أو غيرها بدخولهم مكة كان رسول الله ﷺ يتردد عليهم في أماكن تجمعهم كسوق ذي المجاز، ومجنة، وعكاظ، بل إنه ﷺ زارهم في مختلف تواجدهم ومن القبائل التي عرض عليها الإسلام في هذه السنة والسنين التي سبقتها ما ذكره ابن كثير " بني عامر، وغسان، وبني فزارة، وبني مرة، وبني حنيفة، وبني سليم، وبني عبس، وبني نصر، وبني هوازن، وبني ثعلبة بن عكابة، وكندة، وكتب، وبني الحارث بن كعب، وبني عذرة، وقيس بن الحظيم وغيرهم " (١)

فمن القبائل التي دعاها ﷺ إلى الإسلام قبيلة شيان بن ثعلبة، عبر كبار رجالها مفروق بن عمرو وهاني بن قبيصة والمثنى بن حارثة والنعمان بن شريك وقبل أن يتدرهم رسول الله ﷺ بالحديث كان برفقته علي بن أبي طالب وأبو بكر وهذان دار بينهما وبينهم حوار تعارف، وبعد التعارف وجه مفروق كلامه للرسول ﷺ بقوله إلام تدعوا يا أخا قريش؟ قال: أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله ٠٠٠ وتلا عليهم قوله تعالى

(١) سيرة بن كثير ج ٢ ص ١٧٠

{ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا
أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا
تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }

فقال مفروق وإلى ما تدعوا أيضًا يا أحبا قريش فتلا ﷺ عليهم { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
وَإِلْحْسَانٍ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }

باستماعه لكلام خالقه قال: " دعوت والله يا أحبا قريش إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن

الأعمال " (١) ورأى هاني بن قبيصة أن اعتناق الإسلام حينها زلة في الرأي، إذ أن من

الصواب مشاركة قومهم بالرأي. (٢) ومن الذين عرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام بنو

عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم نفسه، فقال رجل منهم يقال له بيحرة بن

فراس والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم قال له رأيت إن نحن

تبعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال ﷺ الأمر

إلى الله يضعه حيث يشاء فقال له أفنهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا ظهرت كان الأمر

لغيرنا، لا حاجة لنا بأمرك (٣) مضمون دعوته لأولئك القبائل للإسلام بعد اطلاعهم على

بعض آيات من القرآن الكريم أبدوا تمسكهم بدينهم، ومنهم من رد عليه ردًا حسنًا، وصنف

من أولئك لم يستسغ الإسلام ورد على رسول الله ﷺ بغلظة جدير ذكره ما ناقشته قبيلة عامر

بعد عودتهم إلى منازلهم فقد تحدثوا إلى رجل مسن من قومهم ومما قالوا له جاءنا فتى من

قريش من بني عبد المطلب يزعم أنه نبي يدعوننا إلى أن نمنعه ونقوم معه، ونخرج به إلى

(١) ابن حبان الثقات ج ١ ص ٨٦

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٨٦

(٣) ابن حبان الثقات ج ١ ص ٩٠

بلادنا، فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال يا بني عامر وهل لها من تلاف هل لذناباها من مطلب، والذي نفس فلان بيده ما تقولها إسماعيلي قط، وإنما لحق، فأين رأيكم كان عنكم. ومع ذلك هناك من الرجال من اعتنق الإسلام بعد لقائهم برسول الله واستماعه له.

من معتنقي الإسلام من خارج مكة ١١ / للبعثة

سويد بن الصامت

سويد بن الصامت أخو بني عمرو بن عوف، هذا بقدمه مكة المكرمة اعترضه رسول الله ﷺ ودعاه إلى اعتناق دين رب العالمين

فقال له سويد: لعل الذي معك مثل الذي معي

فقال له رسول الله ﷺ " وما الذي معك " قال: مجلة لقمان. يقصد حكمة لقمان

فقال له رسول الله اعرضها علي فعرضها عليه فقال: " إن هذا لكلام حسن والذي معي أفضل منه قرآن أنزله الله علي، وهو هدى، ونور فتلا عليه رسول الله ثم دعاه للإسلام فأسلم.

أبو ذر الغفاري

بتداول الناس عن خبر مبعث نبي آخر الزمان في مكة المكرمة، وقعت تلك الأخبار في قلب أبي ذر، وتاقت نفسه لمعرفة أخباره، وما جاء به، فأمر أخاه بأن يذهب إلى مكة ويأتيه بأخبار محمد بن عبد الله ﷺ بوصول هذا الرجل مكة ولقائه برسول الله ﷺ وعودته لدياره أجاب أخاه بقوله: والله لقد رأيت رجلاً يأمر بالخير، وينهى عن الشر، فقال له لم تشفني من الخبر^(١) ثم ما كان منه إلا أن أخذ نفسه وانطلق إلى مكة المكرمة، وبوصوله مكة استضافه علي بن أبي طالب وبالرغم من استضافته لم يحدث علي بما أتى به، كما أن علي لم يسأله عن

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ج ١ ص ١٦٩

سبب مجيئه مكة ومع اليوم الثاني صادف أن التقى بعلي رضي الله عنه فسأله علي عن سبب مجيئه مكة فحدثه عن رغبته بلقاء نبي آخر الزمان، فرحب به علي، وأخذه إلى رسول الله ﷺ وبلقائه برسول الله واستماعه له ﷺ وهو يتلو عليه آيات من كلام رب العالمين هداه خالقه أن شرح صدره لاعتناق الإسلام، بإسلامه قال له رسول الله: " يا أبا ذر اكنتم هذا الأمر، وارجع إلى بلدك فإذا بلغك ظهورنا فأقبل " فقال لرسول الله والذي بعثك بالحق لأصرخن بها بين أظهرهم، وبمغادرته لرسول الله ﷺ وذهابه إلى المسجد وبحواليه رجال من قريش صاح فيهم يا معشر قريش إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بسماهم لما يكرهوه أقبلوا عليه وانهلوا عليه ضرباً حتى كادوا أن يقتلوه، لولا أن أدركه العباس وهذا صاح فيهم ويلكم تقتلون رجلاً من غفار ومتجركم وممركم على غفار؛ ومن منطلق خوفهم على مصالحهم ما كان منهم إلى أن كفوا عن ضربه.

ضهاد الأزد

ضهاد الأزد من اليمن، من أزد شنوءة، هذا الرجل عرف برقيته من الريح بوصوله مكة المكرمة واستماعه لكفار قريش بأن محمداً ﷺ أصيب بالجنان، حدث نفسه بقوله: لو أني أتيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي وبلقائه لرسول الله خاطبه بقوله: يا محمد إني أرقى من هذا الريح فهل لك؟

فبين له رسول الله ﷺ دين رب العالمين، وباستماعه لرسول الله ﷺ كانت لكلماته وقعا حسناً على قلبه، وأدرك أن تلك الكلمات ماهي بقول المجانين

أو قول السحر

أو الشعر

وبشرح رب العالمين لصدره اعتنق الإسلام ديناً، وبذلك بمد يده لرسول الله ﷺ ونطقه بالشهادتين.

مشركو مكة يطلبون إثبات رسالته عبر الملائكة

وجه المكذبون من مشركي قريش حديثهم لرسول الله ﷺ الله بقولهم له ﷺ: يا أيها الذي نزل عليه القرآن إنك لذهاب العقل، إلا إذا ما أتيتنا بالملائكة تشهد بأنك رسول الله، فبين لهم رب العالمين وعلى لسان رسوله بأن الملائكة لا تنزل إلا بالعذاب { مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ } (١)

هذا وظل النبي ﷺ طيلة هذا العام يجهد نفسه في استقطاب مشركي قريش إلى تقبل ترك عبادة الأوثان، وعبادة خالقهم خالق السموات والأرض، لكن سوادهم لم يزدادوا إلا عتوًا ونفورًا.

عرضه الإسلام على أهل يثرب

كما أوردنا سابقًا تذكر المصادر التاريخية أن أصل سكان يثرب "الأوس والخزرج" ترجع إلى عرب جنوب الجزيرة العربية، وباستيانهم يثرب، وتشابك مصالحهم، دخلت القبيلتين في حروب دامية، ثم إن منتسبي الديانة اليهودية كانوا مجاورين للقبيلتين في سكن يثرب، ومع بزوغ فجر الإسلام كانت القبيلتين تدين بالوثنية، بينما اليهود كانوا معتنقين للديانة اليهودية، أي أهل كتاب وكانوا على علم بقرب بعثة نبي آخر الزمان، وكثيرًا ما اعتقدوا أنه سيكون منهم، ومن منبع اعتقادهم كثيرًا ما لوحوا لجيرانهم بأن شوكتهم ستقوى من خلال النبي المنتظر، والذي سيكون منهم، وبه كانوا يستفتحون على أعدائهم وبانتشار خروج نبي آخر الزمان أصبحت قبيلتنا الأوس والخزرج أكثر تقبلًا للإسلام، ففي السنة الحادية عشر من بعثته وفي مكة المكرمة بينما كان رسول الله ﷺ يعرض الإسلام على القبائل

الوافدة التقى ﷺ بمجموعة من الخزرجين، وهم سعد بن زرارة، وقطبة بن عامر، وعقبة بن عامر، وعوف بن الحارث، وجابر بن عبد الله، ورافع بن مالك (١) وعند مقابلتهم قال رسول الله ﷺ لهم: "أفلا تجلسون أكلمكم" قالوا بلى. ويجلسوهم حوله واستماعهم لآيات من القرآن الكريم أدركوا أنه نبي آخر الزمان، والذي كثيرًا ما سمعوا بقرب بعثته عبر السنة جيرانهم من اليهود وقال بعضهم لبعض: "يا قوم إن هذا النبي الذي تعدكم به اليهود، فلا يسبقنكم إليه" (٢) وحين ذاك ما كان منهم إلا أن اعتنقوا الإسلام دينًا، وبالرسول أمّلوا أن يكون سببًا لإنهاء النزاع بين القبيلتين، وتوحيدهما، ومع مغادرتهم قالوا لرسول الله ﷺ: إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، وعسى الله أن يجمعهم بك، وسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبتك إليه، من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك. ثم انصرفوا عائدتين إلى بلادهم.

الإسراء والمعراج وفريضة الصلاة

تفضل رب العالمين على نبيه ﷺ بمعجزة الإسراء والمعراج [اختلف المؤرخون في تحديد السنة التي حدثت فيها فمما ورد أنها حدثت في السنة التي كلف بها بالنبوة، وقيل بعد بعثته بخمس سنوات وآخرون قالوا بعد بعثته بعشر سنين، وذلك بعد بلوغه الخمسين عامًا (٣) ويقصد بالإسراء رحلة الرسول ﷺ من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى، في

(١) بن الجوزي صفوة الصفوة ج ١ ص ١٢١

(٢) المصدر السابق ص ١٢١

(٣) الحكمي معارج القبول ج ٣ ص ١٠٥٨

بلاد الشام يقظة لا مناما (١) ثم عودته إلى مكة المكرمة أثناء جزء من الليلة عبر البراق، والذي وصف بأنه دابة ما بين البغل والحمار (٢) وأما المعراج فخلال هذه الليلة وذلك بوصول رسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى صُعد به إلى طبقات السموات العلى، تلك الرحلة التي حضي ﷺ بها كانت بالروح والجسد، وبالنسبة لرحلته البرية من مكة إلى بلاد الشام فالهدف منها تتمحور في قوله تعالى {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} وباستقراره ﷺ في بيت المقدس من أرض الشام دخل المسجد الأقصى، وصلى فيه ركعتين، ثم إن جبريل قدم للرسول ﷺ إناء من خمر، وإناء من لبن، فأخذ منه اللبن فشربه، فقال جبريل عليه السلام: لقد اخترت الفطرة (٣) ثم بعد ذلك عُرج به إلى الفضاء مارًا بالسبع السموات العلى، ووصل إلى موقع انقطع عنه " علوم الخلائق من ملائكة، وإنس، وجن، وهناك من خلال الوحي كلف الله عبده ورسوله ﷺ ومن يعتنق الإسلام دينًا الصلوات الخمس، وأجرها كأجر خمسين صلاة، هذا ومن الآيات التي أراها رب العالمين لرسوله رأى مالك خازن النار وهذا الملك من سماته أنه لا يضحك أبدًا ومما أطلعه الله من أحوال أهالي النار، مشاهدته لآكلي أموال اليتامى ظلماً وعدواناً أن لهم مشافر كمشافر الابل، يقذفون في أفواههم قطعاً من النار، فتخرج تلك القطع من أدمعهم، ورأى حال الزناة وذلك أنه بين أياديهم لحم طيب ولحم خبيث متعفن فيتركون اللحم الطيب ويتناولون اللحم التثنت المتعفن، ورأى النساء العاصيات معلقات بثديهن، ومع ختام رحلته عَيد به إلى منزله في مكة المكرمة. هذا ومع الصباح الباكر

(١) ابن قدامة لمعة الاعتقاد ص ١٣٤

(٢) الحكمي معارج القبول ج ٣ ص ١٠٦٣

(٣) التبريزي مشكاة المصابيح ج ٣ ص ٢٧٥

جاء جبريل إلى رسوله ﷺ ليبين له كيفية تأدية الصلاة وأوقاتها، وذلك مع بزوغ الفجر ركعتين، وأربع ركعات في الظهرية مع زوال الظل، وأربع عصرًا إذا صار الظل أطول من الحجم، وثلاث إذا غربت الشمس، وأربع إذا غاب الشفق الأحمر. يسبق تأدية الصلاة الوضوء، وذلك غسل الأطراف أو الجسد كله إذا كان الشخص به جنابة. ثم إن الرسول ﷺ مع الصباح الباكر أخبر قريشا بحادثة الإسراء والمعراج، ولأن تلك الحادثة تعد لقريش ومن اعتنق الإسلام دينًا بعيدة عن المألوف لم يصدق الناس ما قاله، وكان أكثرهم تكذيبًا له أبو جهل، وانعكست تلك الحادثة عليه بالضرر وذلك أن من الناس المكذبين من سخر منه، وبتكذيب سواد قريش صدقه معتنقو الإسلام، وبعضهم أنكروا تلك الحادثة عليه، مما أدى بهم إلى الخروج من الإسلام. وحينها من الملفت للنظر أن صاحبه أبا بكر الصديق عندما خاطبه مشركو قريش بما يدعيه صاحبه كان موقفه الداعم له بقوله: "إن كان قال فقد صدق" (١) ومن حينها لقب بالصديق. ثم إن المكذبين بتلك الحادثة طلبوا منه أن يصف لهم بيت المقدس، ولأن دخوله وخروجه منها أثناء الليل لم يتسن له ﷺ مشاهدتها، ومع ذلك الظرف العصيب ألهم رب العالمين رسوله في وصفها فوصفها، لهم وبالرغم من ذلك ظلت قريش غير مصدقة، وتناولت عليه الألسن ما بين تكذيب، وازدراء، لكن عناية خالقه ظلت تتعده وتشد من أزره.

بيعة العقبة الأولى ١٢ للبعثة

أوردنا أنه في العام الماضي اعتنق الإسلام ستة رجال من يثرب، وبعودة هؤلاء إلى ديارهم تمكنوا من إقناع بعض قومهم في اعتناق الإسلام، وبذلك فمع العام الثاني عشر من بعثته وفد على رسول الله ﷺ اثنا عشر رجلًا فيهم خمسة من الستة الذين أقنعهم رسول الله ﷺ العام

(١) السيرة لابن حبان ج ١ ص ١١٢.

الماضي من اعتناق الإسلام والسادس لم يحضر معهم وهو جابر بن عبد الله بن رئاب وأما السبعة الذين سواهم فهم

معاذ بن الحارث بن عذراء الخزرجي

ذكوان بن عبد القيس الخزرجي

أبو الهيثم بن التيهان الأوسي

عُويم بن ساعدة الأوسي

يزيد بن ثعلبة الخزرجي

العباس بن عباد بن نضلة الخزرجي

عبادة بن الصامت الخزرجي ^(١) وفي العقبة التقى بهم رسول الله ﷺ، وقرأ عليهم قوله تعالى {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} ^(٢) وباستماعهم لتلك الآيات الربانية شرح الله صدرهم للإسلام، وبايعهم رسول الله ﷺ على ألا يشركوا بالله شيئاً، وألا يسرقوا، أو يزنوا، أو يقتلوا أولادهم، أو يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم، وألا يعصوه في معروف. وحين ذاك قال لهم: "فإن وفيتم فلکم الجنة، وإن غششتم من ذلك شيئاً فأمرکم إلى الله، إن شاء عذبکم وإن شاء غفر لکم" ^(٣).

(١) الشوكاني نيل الأوطار ج ٢ ص ١٢١

(٢) إبراهيم ٣٥-٣٦

(٣) مسند ابن حنبل ج ٥ ص ٣٢٣

وهذه البيعة عرفت ببيعة العقبة الأولى، ومع انصراف أولئك الرجال زودهم الرسول ﷺ بمصعب بن عمير ليعلمهم القرآن الإسلام.

اعتناق أسيد بن حضير وسعد بن معاذ للإسلام

باعتناق الاثني عشر رجلاً من أهل يثرب الإسلام، وعودتهم برفقة مصعب بن عمير إلى يثرب كان لأولئك الرجال بذل قصارى جهدهم في نشر الإسلام بين ربوع تلك البلدة، ومما حققاه أولئك الرجال أنه ذات يوم خرج أسعد بن زرارة برفقة مصعب بن عمير قاصداً دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر وبدخولهما إحدى حوائط بني ظفر وجلسوا حول بئر مرق وحين ذاك اجتمع إليهما بعض المسلمين وبتجاذبهم للنقاش في خصوص دعوة الناس للإسلام تلك الجلسة وصل نبأها إلى سعد بن معاذ وأسيد بن حضير، وكانا هذان الرجلان سيدا قومهما من بني الأشهل، وما زال على دين قومهما أي على الشرك بخالقهم، وهنا ما كان من سعد بن معاذ إلا أن قال لصاحبه: اذهب إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما، وانهما، أن يأتيا دارينا، فإن أسعد بن زرارة ابن خالتي ولولا ذلك لكفيتك هذا. فما كان من أسيد إلا أن أخذ حربته وتوجه صوبهما فلما شاهده أسعد قال مصعب: هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه، وبوصول أسيد خاطبهما بقوله: ما جاء بكما إلينا؟ تسفهان ضعفاءنا اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة (١).

فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرا قبلته، وإن كرهته نكف عنك ما تكرهه.

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢٤٨

فقال أنصفت ثم ركز حربته وجلس، فحدثه مصعب عن الإسلام، وتلا عليه آيات من القرآن الكريم، وباستماعه لكلام خالقه، وتدبره فيه، أدرك أن ما سمعه ما هو بقول البشر، وباستحسانه له اعتنق الإسلام ديناً، ثم قال لهما: إن ورائي رجلاً إن تبعكما لم يتخلف أحد من قومه وسأرشده إليكما الآن، فتوجهها صوب صاحبه سعد بن معاذ وبوصوله إلى سعد وهو جالساً بين قومه في ناديمهم نظر إليه سعد متفرساً وخاطب من بحواليه بقوله: أحلف بالله لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم. وبوقوف أسيد بينهم قال له سعد ما فعلت؟ قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأساً، وقد نهيتهما، فقلا نفعل ما أحببت، وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه.

وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك، فقام سعد غاضباً متوجهها صوبهما وبوصوله إليهما ومعابته لاطمئنانها أدرك أن أسيدا استفزه ليذهب إليهما؛ بغية الاستماع وحين ذلك ما كان منه إلا أن خاطب أسعد بن زرارة بقوله والله يا أبا أمامة لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رُمت هذا مني، تغشانا في دارنا بما نكرهه، وقد كان أسعد قال لمصعب جاءك والله سيد من ورائه قومه، إن يتبعك لم يتخلف عنك منهم أحد فقال مصعب لسعد بن معاذ أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكرهه قال: أنصفت ثم ركز حربته فجلس فحدثه مصعب عن الإسلام، وتلا عليه آيات من القرآن الكريم، فكان أن شرح الله صدره للإيمان، واعتنق الإسلام ديناً، وباعتناق هذا الرجل لدين رب العالمين وانصرافه عنهما عاد إلى قومه بني عبد الأشهل، ولمكانته فيهم، وقيامه بدعوتهم لاعتناق الإسلام ديناً، لبي الجميع رغبته، إلا رجلاً تأخر إسلامه إلى يوم أحد.

بيعة العقبة الثانية سنة ١٣ للبعثة يونيو ٦٢٢م

بمغادرة مصعب بن عمير مكة المكرمة وحمله على عاتقه المهام الدعوي كان أمامه عملان مزدوجان الأول: لمعتنقي الإسلام والثاني: لمن لا يدين بالإسلام فأما معتنقو الإسلام فكان عليه تعليمهم الإسلام، وما يحفظه من آيات قرآنية، وأما من لا يدين بالإسلام فمهامه جذبهم

إلى اعتناق الإسلام، وذلك عبر تلاوته عليهم آيات من كلام رب العالمين، وذلك ما ذكرناه آنفًا وبفضل الله كان قد أسلم على يديه شخصيات قيادية أبرزهم سيدا قبيلة الأشهل سعد بن معاذ وأسيد بن حضير، ثم إنه نتيجة لجهد أوائل من اعتنق الإسلام من قبيلتي الأوس والخزرج أصبح للإسلام واقع فعلي على أراضي يثرب، ومن هذا المنطلق في العام التالي لبيعة العقبة الأولى ومع موسم الحج ذهب إلى مكة المكرمة من معتنقي الإسلام مع حجاج يثرب ثلاثة وسبعون، منهم امرأتان، وأما هاتان فهما أم عمارة نسيبة بنت كعب، والثانية أم منيع أسماء بنت عمرو بصحبة مصعب بن عمير وحتى لا يفشي خبرهم عند قريش بوصولهم مكة تواعدوا مع رسول الله ﷺ أن يلتقوا به ليلاً، في الشعب الذي عند العقبة، وذلك حيث الجمرة الأولى من منى، وهناك التقوا برسول الله ﷺ وكان بصحبة عمه العباس (١) وهذا كان خلال هذا الحضور ما زال على دين قومه إلا أنه حضر بغية أن يطمأن على ابن أخيه إن أراد مغادرة بلده، واللحاق بهم، ثم إن العباس ابتدر الحديث بقوله: "يا معشر الخزرج - وكان العرب يسمون الأنصار خزرجًا، خزرجها وأوسها كليهما (٢) إن محمدًا من حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده. وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحاق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك. وإن كنتم ترون أنكم مُسَلِّمُوهُ وخاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده" بسماعهم للعباس.

قالوا قد سمعنا العباس فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك وريك ما أحببت. فابتدر ﷺ حديثه بتلاوة آيات من القرآن الكريم كما رغبهم بالإسلام ثم اشترط عليهم أفراد الخالق

(١) ابن كثير البداية والنهاية ج ٣ ص ١٥٨

(٢) ابن حبان الثقات ج ١ ص ١١١

بالعبودية والدفاع عنه كدفاعهم عن أولادهم ونسائهم، إذا ما هاجر إليهم بغية نشر الإسلام، فرد على رسول الله البراء بن معرور بقوله: والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه ذرارينا، فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحرب " كما أعربوا له أن لهم الشرف بهجرته إليهم. وذلك أن وجوده بين أظهرهم ومن خلاله وعبرهم ستعلي راية الإسلام، وفي ذلك الموقف أبدى قلقه أبو الهيثم بن التيهان من عودة الرسول ﷺ إلى أهله في مكة إذا ما قويت شوكته، وبالمقابل يكونوا قد نابذوا حلفاءهم وجيرانهم اليهود وبستماعه ﷺ تبسم وقال له: " بل الدم الدّم، الهدمُ الهدمُ، أنا منكم وأنتم مني، أسلم من سالمتم، وأحارب من حاربتم " (١) وبذلك كانت البيعة بقيام أولئك الرجال رجلاً رجلاً بمبايعة الرسول ﷺ ومصافحته باليد، وأما ما كان من المرأتين فقد بايعتا رسول الله ﷺ بالقول لا بالمصافحة. ثم إن الجميع بايع رسول الله ﷺ مقابل حصولهم على رضا خالقهم، ومن ثم إدخالهم جنته إذا ما رحلوا من الحياة الفانية إلى الحياة الأبدية وبمبايعته وجههم بتعين اثني عشر رجلاً يكونون نقباء على قومهم، فتم تحديدهم على النحو التالي تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس

نقباء الخزرج

- ١- أسعد بن زُرارة بن عدس.
- ٢- سعد بن الربيع بن عمرو.
- ٣- عبد الله بن رواحة بن ثعلبة.
- ٤- رافع بن مالك بن العجلان.
- ٥- البراء بن معرور بن صخر.

(١) أي إن طالبتكم بدم طالبت به وإن أهدرتوه أهدرته

٦- عبد الله بن عمرو بن حَرَامٍ.

٧- عبادة بن الصامت بن قيس.

٨- سعد بن عبادة بن دُكَيْمٍ.

٩- المنذر بن عمرو بن حُنَيْسٍ.

نقباء الأوس

١- أُسَيْدُ بْنُ حُصَيْنٍ بْنِ سِمَاكٍ.

٢- سعد بن حَيْثَمَةَ بْنِ الْحَارِثِ.

٣- رفاعة بن عبد المنذر بن زبير.

وحين ذاك خاطبهم رسول رب العالمين ﷺ بقوله: " أنتم كفلاء على قومكم، ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي " بنجاح المبايعة، وبالرغم من حرص الجميع على عدم وصول أخبارهم إلى قريش إلا أن قريشا علمت بشأنهم. فمع الصباح الباكر استوثق القريشيون الخبر من الخزرج فأكد ذلك الخبر أناس منهم: ممن أتى للحج. ولم يعتنق الإسلام. ثم بعودة أولئك الرجال لبلادهم ولتوسع دائرة الإسلام ضاعف مشركي مكة من اضطهادهم لمستضعفي مكة من معتنقي الإسلام، مما أدى برسول الله ﷺ الإذن لأولئك بالهجرة إلى يثرب.

البعث بعد الموت

للذين يظنون أن حياة الإنسان في هذه الدنيا هي الحياة الوحيدة، وأنه لا يمكن للإنسان بعد أن يموت ويتحلل جسده أن يعود للحياة، للذين يعتقدون بهذه الرؤية رب العالمين عبر رسوله ﷺ يقول لهم { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ

مُسَمَّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لَتَبَلُّغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَن يَتَوَقَّى وَمِنْكُمْ مَن يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ^(١) كما بين لهم حقيقة البعث بعد الموت، وذلك من خلال كلام خالقه المنزل إليه.

ابتداء هجرة معتنقي الإسلام إلى يثرب

لما ظل الظلم مخيمًا على معتنقي الإسلام في مكة المكرمة من قبل كبار سادة قريش كانت إرادة رب العالمين أن جعل للمستضعفين من المسلمين متنفسًا، وذلك مع تقبل رجال من قاطني يثرب لإعتناق الإسلام أصبحت بلادهم ملاذًا لأولئك المستضعفين. وقبل أن يجبر مشركي قريش رسول الله ﷺ على مغادرة وطنه فرارًا بجسده، ومعتقده، أذن للمستضعفين من معتنقي الإسلام بأن يهاجروا إليها، والهجرة إليها كانت تعني لهؤلاء مفارقة ديارهم، وأراضيهم، التي نموا وترعرعوا فيها، كانت تعني لهم الكثير من التنازلات كالمال، والمصالح. تلك المعاناة تجسدت في الكثير من المهاجرين لعل أبرزهم أبو سلمة وهذا لما عزم الهجرة إلى يثرب أخذ معه زوجته، وابنه، وبخروجه قال له أصهاره: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرايت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد؟

وأخذوا منه زوجته وطفله ظلمًا وعدوانًا، فغضب آل أبي سلمة لأخذهم الطفل وقالوا: لا نترك ابنتنا معها إذا نزعتموها من صاحبنا وتجادب الفريقين الغلام فخلعوا يده وذهبوا به. وانطلق أبو سلمة وحده إلى يثرب في سبيل نشر الإسلام مضحياً بأعز ما يملكه امرأته، وولده. وأما أم سلمة فبفراقها لزوجها وولدها ظلت تخرج إلى الأبطح كل غداة وهي باكية

العينين، مكسورة الفؤاد، وبطول معانتها رق لها أحد أقاربها وخاطب ذويه ألا تخرجون هذه المسكينة؟ (١)

فرقتم بينها وبين زوجها وولدها. فقالوا لها الحق بزوجك فما كان منها إلا أن استعادت ولدها من أسرته وانطلقت به إلى زوجها في يثرب، وذلك بعد معاناتها لأكثر من عام. هذا حال أبي سلمة وأما حال صهيب بن سنان الرومي هذا الرجل عندما عزم الهجرة إلى يثرب جاء إليه رجال من كفار قريش وقالوا له: أتيتنا صعلوكًا حقيرًا فكثر مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت ثم تريد أن تخرج بهالك ونفسك! والله لا يكون ذلك.

فقال لهم: أرايتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي؟

قالوا: نعم قال: فإني قد جعلت لكم مالي.

وبهذه الحال ذهب الرجل لحال سييله. ومع شدة تضيق كفار قريش على معتنقي الإسلام ظل الكثير منهم في مكة المكرمة يتحمل عناء التضيق.

قريش تتآمر على قتل رسول الله ﷺ

ظل رسول الله ﷺ في مكة ثلاث عشر سنة يدعو قومه للإسلام ليلاً ونهاراً ولم يكل، أو يمل من مواصلة دعوته، رغم ما لاقاه من تكذيب، وأذى، ومع شدة التضيق عليه وعلى معتنقي الإسلام، ومعاناة كفار قريش لتواصل هجرة أصحاب محمد ﷺ إلى يثرب والترحيب بهم في تلك البلاد، ومن ثم تنامي الإسلام، مما سبق رأى سادة قريش في هذا الحال خطراً حقيقياً يهددهم، لذلك سارعوا في الاجتماع بدار الندوة، وذلك بعد بيعة العقبة الكبرى بشهرين ونصف، وهناك توافد ممثلوا قبائل قريش فعن بني مخزوم حضر أبو جهل بن هشام،

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٣٩

وعن بني نوفل بن عبد مناف حضر كل من جُبَيْر بن مطعم وطُعَيْمَة بن عدي والحارث بن عامر، وعن بني عبد شمس بن عبد مناف شيبَة وعتبة ابنا ربيعة وأبو سفيان بن حرب، وعن بني عبد الدار النضر بن الحارث، وعن بني أسد بن عبد العزى أبو البخترى بن هشام وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام، وعن بني سهم نُبَيْه ومنبه ابنا الحجاج، وعن بني جُمَح أمية بن خلف، باجتماع أولئك تدارسوا كيفية الخلاص من محمد بن عبد الله ﷺ وما يدعو إليه، وبناقشهم المستفيض خرجوا بثلاثة آراء الرأي الأول: أن يقبض على محمد بن عبد الله ﷺ، ويقيد، ثم يوضع بالسجن، وإلى أن يموت. وبهذا الرأي اعترضه البعض، بحجة أن حبسه قد يجعل أنصاره يسعوا جاهدين لتخليصه من قبضتهم، وبهذه الحجة انصرف المجتمعون عن هذا الرأي، ليناقشوا الرأي الثاني والذي يتمثل بأن ينفى من مكة وذلك بطرده خارجاً عنها، ولا يسمح بعودته ومعترضو هذا الرأي أبدوا حجتهم بأن خروجه من مكة وتنقله بين الأعراب يتيح له نشر دعوته، ومن ثم يأتي بأنصاره ويدخل مكة بهم عنوة وبانصراف المجتمعين عن الرأيين استقروا في الرأي الثالث والذي يتمثل في أن يأخذوا من كل قبيلة شاباً ثم يعطى كل واحد منهم سيفاً ويضربون محمداً ﷺ ضربة رجل واحد، بهذا الحال يتفرق دمه بين كل قبائل مكة، ومن ثم لا تقوى بني هاشم من مقاتلة كافة قبائل قريش، ولا يبقى أمامهم إلا أخذ الدية، وهنا رسا الجميع ليشروعوا بتنفيذه، ولأن رعاية رب العالمين تحيط برسوله أوحى إليه خالقه بمآمرتهم بقوله تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} (١)

هجرته إلى يثرب ٦٢٢م

من مؤامرة دار الندوة وجدية قومه في قتله ﷺ جعل الله له ﷺ مخرجا وذلك كما أبدينا بإخباره بتآمر القوم، والإذن له بالهجرة، وقبل خروجه ﷺ من منزله أوصى علي بن أبي طالب أن يظل في مكة؛ وذلك بغية تأدية الودائع التي كانت عنده للناس، كما كان لعلي دور آخر وذلك لعلم الرسول بتآمر القوم أمر علي أن ينام على فراشه، وذلك بعد أن بين له أنه لن يصيبه أي مكروه، ومع الليل الدامس والفتية على باب داره خرج ﷺ من بينهم ليلاً وذلك في ظل رعاية خالقه له، بخروجه من بينهم أخذ يقرأ قوله تعالى {وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} (١) ووصل ﷺ إلى دار أبي بكر الصديق بينما ظل الفتية منتظرين إلى الساعة المحددة للفتك برسول الله لكن قبل أن تحين تلك الساعة جاءهم رجل ممن لم يكن معهم وقال لهم ماذا تنتظرون قالوا محمداً فبين لهم أنه خرج من بينهم، فنظروا من الداخل فإذا هو علي بن أبي طالب نائم على فراش الرسول. وأما رسول الله فقد خرج ﷺ من منزله وتوجه صوب صاحبه أبي بكر الصديق قاصداً أن يرافقه بالهجرة إلى يثرب، وذلك في شهر ربيع أول سنة ثلاث عشرة من بعثته الموافقة لأيلول ٦٢٢م وبوصول رسول الله ﷺ إلى بيت صاحبه ليلاً خاطب صاحبه بقوله: "إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة فقال أبو بكر الصحبة الصحبة (٢) يا رسول الله قال: (الصحبة). وبتزودهما بالطعام خرجا من المنزل متجهين صوب اليمن، وذلك لعلم الرسول ﷺ بإمكانية رجال قريش أن ترسل من يلحق به وتعيده ولأن الطريق المعتادة هي المتجهه صوب الشام شيئاً غير الرسول ﷺ اتجاهه وذلك باتجاهه جنوباً صوب اليمن. فقصد غار ثور، وبوصولهما الغار ظلا فيه

(١) يس آية ٩

(٢) السيرة لابن هشام ج ٣ ص ١١

ثلاثة أيام، وذلك بغرض تضليل قومها إذا ما لحقها الطلب هذا وما أوحى رب العالمين على رسول ﷺ في هذا الظرف العصيب قوله تعالى {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا} وعند وصولها الغار كان أبو بكر قد أمر ولده عبد الله أن يظل في مكة يترصد أخبارهم صباحًا وإذا ما أظلم الليل يوافيهم بالأخبار في غار ثور، وحتى لا تظهر أثر أقدامه أمر أبو بكر مولاه عامر بن فهيرة أن يرعى الأغنام طيلة النهار وفي المساء يأتي بها إلى الغار، ومع الصباح الباكر يذهب بها للرعي كما استأجر أبو بكر عبد الله بن أريقط ليرشدهما في طريقهما إلى يثرب، وهذا بالرغم من عدم اعتناقه للإسلام إلا أنه قبل طلبه ووفاهما في الغار بعد ثلاثة أيام^(١) هذا ما كان من أمر الرسول ﷺ وصاحبه، وأما قريش فعند وصولهم الخبر بخروج رسول الله ﷺ سالما من بين سيوف شباهم صعّدوا من نبراتهم العدائية تجاه الرسول ﷺ وشرعوا في تقصي أخباره، كما رصدوا مائة بعير لمن يأتي به، ولعلمهم المسبق بنصرة اليثريين له غلب عليهم الظن أنه سيتجه صوب بلادهم ومن هنا حتى يتفادى الرسول ﷺ الوقوع بين أيديهم اتخذ خطة لا تحظر في باهم كما أسلفنا وذلك بتوجهه جنوب مكة المكرمة، مكثه في غار ثور ثلاثة أيام^(٢) وباستقراره في الغار مع صاحبه وخروج القرشيين للبحث عنه منهم من وصل إلى قرب الغار الماكثين فيه^(٣) وحين ذاك أبدى أبو بكر تخوفه من اكتشافها بقوله للرسول " لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا " ولتيقن رسول الله ﷺ برعاية خالقه لها رد على صاحبه بقوله " يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما. ثم إن الرجال الذين كانوا بقرب الغار بوصولهم لباب الغار لم يعتقدوا بوجوده داخل الغار

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج ٧ ص ٢٢١

(٢) الثقات لابن حبان ج ١ ص ١١٩

(٣) أعلام النبوة للمواردي ج ١ ص ١٠٠.

وبالتالي عادوا بخفي حنين. وبمكث الرسول ﷺ وصاحبه في الغار ثلاثة أيام ومقدم دليلها عبد الله بن أريقط انطلق الثلاثة صوب يثرب، وبإخفاق قريش بالإمساك برسول الله ﷺ صادف أن رأى رجلاً من بني مدلج أسودة فرجع إلى قومه وبدخوله مجلسهم أخبرهم باحتمال أن يكون ذلك محمد بن عبد الله ﷺ، وكان من بين القوم سارقة وهذا سرعان ما تاقت نفسه للإمساك بمحمد بن عبد الله ﷺ ومن ثم الحصول على الجائزة التي رصدتها قريش، فسارع بامتطاء فرسه وتوجه به صوب رسول الله ﷺ فاصداً الإمساك به، ومع اقترابه من الرسول ﷺ قال رسول الله: " اللهم اكفنا سارقة " (١) فساخت قوائم فرسه في الأرض فاستنجد سارقة برسول الله قائلاً: " يا محمد ادع الله أن يطلقني ولك عليّ أن أرد من جاء بطلبك، ولا أعين عليك أبداً فقال: اللهم إن كان صادقاً فأطلق عن فرسه " فخرجت قوائم فرسه من الأرض وباعتذاره لمحمد بن عبد الله ﷺ ذكر له ما كان من أمر قومه ورصد الجائزة لمن يأتي به.

الرسول يصل قباء

بانصراف سارقة واصل الرسول ﷺ وصاحبه السير صوب يثرب فوصل إلى قباء، وذلك في شهر ربيع من السنة الرابعة عشر من بعثته وهناك نزل على كلثوم بن هدم، وظل فيها أربعة أيام، وفيها لحقه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وبمكثه في قباء أربعة أيام أسس فيها مسجد قباء { الْمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ } (٢)

(١) أعلام النبوة للهاوردي ج ١ ص ١٠٠.

(٢) التوبة آية ١٠٨

وفي هذا الموقع اعتنق سلمان الفارسي الإسلام

بمغادرة الرسول ﷺ لبقاء أدركته صلاة الجمعة في بني سالم فصلها ببطن الوادي، وقاما فيهم خطيباً: " الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأستغفره وأستهديه، وأؤمن به ولا أكفره، وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله؛ أرسله بالهدى والنور والموعظة، على فترة من الرسل، وقلّة من العلم، وضلالةٍ من الناس، وانقطاع من الزمان وذنوبٍ من الساعة، وقربٍ من الأجل؛ من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى وفرط؛ وضلّ ضلالاً بعيداً. وأوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم؛ أن يحضه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة، ولا أفضل من ذلك ذكراً؛ وإن تقوى الله لمن عمل به على وجلٍ ومخافة من ربه عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية، لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً في عاجل أمره، وذخراً فيما بعد الموت، حين يفتقر المرء إلى ما قدم، وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه، والله رءوف بالعباد. والذي صدق قوله، وأنجز وعده، لا خلاف لذلك، فإنه يقول عز وجل: " ما يبذل القول لدي وما أنا بظلامٍ للبيد ". فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية، فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته، ويعظم له أجراً، ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً. وإن تقوى الله يوقى مقتته، ويوقى عقوبته، ويوقى سخطه، وأن تقوى الله يبيض الوجه، ويرضى الرب، ويرفع الدرجة.

خذوا بحظكم، ولا تفرطوا في جنب الله؛ قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله، ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين. فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة، ولا قوة إلا بالله. فأكثرُوا ذكر الله، واعملوا لما بعد اليوم، فإنه من يصلح ما بينه وبين الله



يكفه الله ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون منه؛ الله أكبر، ولا قوة إلا بالله العظيم" (١)

الأنصار تستقبل رسول الله ﷺ

بمواصلة الرسول ﷺ سيره وقربه من مدينة يثرب خرج إليه معتقو الإسلام من رجال، ونساء، وصبيان، مرحبين به، مرددين الله أكبر، جاء محمد، الله أكبر جاء رسول الله، كما عبرت النساء والصبيان عن فرحتهم برسول اله بإنشادهم :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

ثم إن أولئك الرجال تسابقوا في استضافة الرسول ﷺ آخذين بزمام ناقته فقال لهم: "دعوها فإنها مأمورة" (٢) وهذه ظلت سائرة إلى أمام منزل خالد بن زيد أبي أيوب الأنصاري وهذا يعد من أحوال جد الرسول ﷺ وأمام منزل هذا شاء الخالق أن تحط الناقة رحالها، وينزل الرسول ﷺ ضيفاً عنده، كان لأبي أيوب الأنصاري دار مكون من طابقين ولمكانة الرسول ﷺ في قلبه ألح عليه أن يقيم في الطابق العلوي، لكن رسول الله ﷺ أبى إلا أن يقيم في الطابق السفلي هذا ما كان من رسول الله ﷺ وأما ما كان من معتقني الإسلام في مكة المكرمة فبهجرة رسولهم لم يطب لهم الحال في عقر دارهم، وحباً في الله ورسوله فارق الكثير موطنهم متجهين إلى موطن الإسلام الجديد في يثرب، والتي أسميت بعد ذلك بالمدينة

(١) الرسل والملوك الطبري ج ١ ص ٤٢٨

(٢) الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر ج ١ ص ٨٦

المنورة، ولم يبق في مكة إلا المستضعفون من الرجال والنساء؛ الذين لا حول لهم ولا قوة وهذا ما سنتطرق إليه لاحقاً

الدعوة للإسلام من المدينة المنورة

سكان يثرب

بهجرة رسول الله إلى يثرب كان حينها يسكنها قبيلتا الأوس والخزرج، إلى جانب هاتين القبيلتين الأساسيتين شاركتها

الأولى: في السكن ثلاث قبائل يهودية

قبيلة بني قينقاع: وهذه القبيلة كانت تسكن داخل المدينة، وحلفاء للخزرج

الثانية: قبيلة بني النضير وكانوا حلفاء للخزرج، كما أنها كانت تسكن بضواحي المدينة

الثالثة: قبيلة بني قريظة وكانت ديارهم تقع بضواحي المدينة، كما أنهم كانوا حلفاء لقبيلة الأوس. وكما أبدينا سابقاً بأن الكثير من مصادر التاريخ ترى أن قبيلتي الأوس والخزرج من عرب جنوب الجزيرة العربية، هاجرت من الجنوب واستقرت في يثرب، وبمرور الزمن واستقرارهم في هذه البلدة دخلت العداوة بين هاتين القبيلتين، وليدخلوا في دوامة الفتن، والبغض، والذي أفضى بهم للدخول في دوامة الحروب الدامية وكانت آخر المواجهات بينهما موقعة بعاث.

وبعد هذه الوقعة التتام شأن القبيلتين، وتوحدتا لحمتها ككيان واحد، وانفقوا على تنويع عبد الله بن أبي ملجأ عليهم. وأثناء هذا التوجه وبعثة رسول الله ﷺ واعتناق الكثير من قاطني يثرب من الأوسيين والخزرجيين للإسلام انصرف الناس عنه، ليزدوبوا في كيان معتنقي الإسلام كأمة واحدة.

من هنا كان لعبد الله بن أبي سلول شعوره بالغبن، ومن ثم كيده وعداوته المبطنة لرسول

الله ﷺ.

وأما اليهود فبعضيانهم لخالقهم وقتلهم رسله كتب الله عليهم أن لا يستقروا في وطن واحد وأن يعيشوا في البلدان أُمَمًا {وَقَطَعْنَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ

ذَلِكَ وَبَلَّوْنَا لَهُمُ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} (١)

ومن هؤلاء الأُمَم من استقر في يثرب وهم بنو النضير، وبنو قينقاع، بنو قريظة، ومع أن هؤلاء امتدادًا لليهود العبرانيين إلا أنهم باستقرارهم في يثرب واندماجهم مع ساكنيها من العرب أصبحوا لا يختلفون عن العرب من حيث الزي، واللغة، والعادات، والتقاليد

ومع ذلك ظلوا محتفظين بديانتهم اليهودية كما ظلوا يعتقدون بأنهم جنس أفضل من العرب، لأنهم أهل كتاب. ومنهم صالحون أمناء، ومنهم خونة عديمو الأمانة: {وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ} (٢)

كما أن من هؤلاء كانوا أصحاب دسائس، ومؤامرات على جيرانهم من العرب فكثيرًا ما أسهموا في إشعال نيران المواجهات بين قبيلتي الأوس والخزرج هذا وباستقرار رسول الله ﷺ في يثرب المدينة المنورة وبالتكليف الرباني الذي أنيط به والذي لم يقتصر على بلاده أو القرى المجاورة لها أو ما يسمى ببلاد العرب فحسب وإنما تكليفه بنشر الإسلام للعالمين كان

(١) الأعراف ١٦٨

(٢) آل عمران ٧٥

له ﷺ من هناك مواصلة دعوته (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) { (١) .

وليس فحسب بل ديمومة رسالته ﷺ لكل زمان ومكان { وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } { (٢) .

ومن هنا، كان لرسول الله ﷺ دعوته بني إسرائيل لاعتناق الإسلام، ولأن سواد الأنبياء والرسل كانت من بني إسرائيل ولاعتقاد هؤلاء بأنهم مفضلين على العالمين فباستقرار رسول الله ﷺ في المدينة المنورة واعتناق قبيلتي الأوس والخزرج للدين الإسلامي لم يطب الحال لليهود فكان لهم ومنذ الأيام الأولى لوصوله ﷺ المدينة المنورة واستقراره فيها الكيد والعداء للإسلام، ومعنتقيه، وتربصوا به الدوائر، ومع ذلك كان لقبيلتي الأوس والخزرج الترحيب برسول الله ﷺ ومناصرتة في تبليغه لرسالة خالقه. هذا، وتوافد الناس إليه قال: "أيها الناس أفسو السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام" { (٣) } ثم باشر في دعوة قاطني يثرب من أوسيين وخزرجيين ومن معتنقي اليهودية إلى إعتناق الإسلام ديناً.

القرآن وحلوله لاختلافات علماء خانات اليهود في توراتهم

بدأ الرسول ﷺ يقرأ عليهم القرآن الكريم بغية تعريفهم بكلام رب العالمين، ولكون القرآن كلام رب العالمين وتوراة اليهود منزلة من رب العالمين ولأن التوراة قد مر عليها حقباً من السنين وأدخل فيها بعض أحبار اليهود بعض التغييرات كان للقرآن الكريم إيراد

(١) سبأ آية ٢٣

(٢) الأنعام ١٩

(٣) سنن الماوردي ج ٤ ص ٢٨٦

الكثير من الحلول لنقاط اختلاف علماء بني إسرائيل {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} (١) ومن هنا بما أن محمد بن عبد الله ﷺ لا يعلم الغيب وتفصيل قصص الأمم السابقة وتناول القرآن الكريم لتفاصيل توراة اليهود المنزلة على نبي الله موسى عليه السلام خاطب رب العالمين رسوله والباحثين عن صحة ما أتى به من قرآن في خصوص الأمم الغابرة وذلك بقوله تعالى {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَأْوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} (٢)

شخصيات يهودية سيادية تعتنق الإسلام

عبد الله بن سلام يعد أحد أقطاب يهود يثرب، بانتشار الإسلام بين جيرانه من قبيلتي الأوس والخزرج لأنه يعد من أحد كبار علماء يهود ولأن أوصاف نبي آخر الزمان وردت في التوراة ما إن علم عبد الله بن سلام بوصول رسول الله ﷺ إلا وقدم عليه، وبالنظر إليه، والاستماع إلى حديثه، تبين له أنه نبي آخر الزمان، لكنه في تلك اللحظات الحاسمة من حياته لم يشأ أن يجهر بالإسلام، وقفل راجعاً إلى أهله، ولما خلا رسول الله ﷺ من رفاقه جاء إليه وقال له: "أشهد أنك رسول الله، وأنت جئت بحق، وقد علمت يهود أني سيدهم، وابن سيدهم، وأعلمهم، وابن أعلمهم، فادعهم وأسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت، فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت، قالوا في ما ليس في (٣)، فلبى رسول الله ﷺ طلب ابن سلام

(١) النمل آية ٧٦

(٢) القصص آية ٤٤ - ٤٦

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٠

ودعا اليهود وعند حضورهم خاطبهم الرسول ﷺ بقوله: "يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقًا، وأني جئتكم بحق أسلموا" (١)، قالوا ما نعلمه فأعادها عليهم ثلاثًا. وهم يجيبونه كذلك قال: أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟ قالوا ذاك سيدنا، وابن سيدنا، وأعلمنا، وابن أعلمنا. قال أفرايتم إن أسلم فظهر ابن سلام وقال: "يا معشر اليهود اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بحق. فقالوا شرنا. وابن شرنا هذا وظل رسول الله يقرأ القرآن الكريم لمعتنقي اليهودية عساهم يتدبروا فيه، ويعوا أنه منزل من خالقهم. بذلك منهم من رأى بأن محمدًا افتراه، وهؤلاء رد عليهم خالقهم بقوله: {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مَنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } (٢)

الرسول يؤسس لدولة الإسلام

بوصول رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ المدينة المنورة اضافة إلى مهامه بنشر الإسلام كان قد سارع في تأسيس الدولة الإسلامية المرتقبة، وذلك عبر ثلاثة أسس، الأول: بناء مسجد الثاني المواخاة بين المسلمين الثالث وضع وثيقة تعايش بين سكان يثرب من معتنقي الدين الإسلامي وجيرانهم من معتنقي الديانة اليهودية.

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٣٣

(٢) الجاثية ٧-١٠

الأساس الأول بناء المسجد

أقدم رسول الله ﷺ على بناء مسجد في المدينة المنورة بغية أن يكن حاضناً لمعتنقي الإسلام، في مناقشة متطلبات شئوهم الدينية، والدنيوية، ففي الموضوع الذي بركت فيه ناقته أثناء دخوله المدينة أمر ببناء المسجد فيه وكان هذا الموضوع لغلامين، وبشراؤه منهما سارع رسول الله ﷺ ومعتنقو الإسلام في بناء المسجد، وتم بنائه بإادة اللبن، وأما أعمدته فقد جعلوها من أعمدة النخيل، وعندما صار ارتفاعه قدر قامة الإنسان وقليلًا قالوا لرسول الله: "ألا نسقفه؟" فقال: "عريش كعريش موسى، خشيبات وثمام الأمر أعجل من ذلك" (١). وسارع المسلمون بتنفيذ توجيهات رسولهم ﷺ وذلك بسقفه بجريد النخل، وكانوا قد جعلوا قبلته صوب بيت المقدس في بلاد الشام، كما وضعوا له ثلاثة أبواب وباكتمال بنائه أصبح المسلمون يجتمعون فيه باليوم والليلة خمس مرات، وذلك لتأدية الصلوات الخمس، وكان إذا حان وقت الصلاة ينادي رجل في الناس بقوله: "الصلاة جامعة" بغية اعلام الناس بوقت دخول الصلاة، ومن ثم قدومهم للمسجد وفي سبيل ذلك رأى البعض أن يتخذوا بوقًا كبوق اليهود، وآخرين رأوا أن يتخذوا ناقوسا كناقوس النصارى، وبينما هم على ذلك رأى عبد الله بن زيد ابن ثعلبة في نومه النداء المتعارف عليه حاليًا وبأخباره للرسول ﷺ بما رأى أقرها وأمر بلالاً بأن يؤذن للصلاة.

الأساس الثاني المواخاة بين معتنقي الإسلام

باستقرار رسول الله ﷺ في المدينة المنورة لم يطب الحال للمسلمين في مكة المكرمة،

(١) فتح الباري لابن حجر ج ٢ ص ٤١٠

وآلو على أنفسهم إلا مغادرة مكة، واللحاق برسول الله ﷺ، متخلين عن موطنهم، وعن ممتلكاتهم في سبيل الحفاظ على دينهم، وإعلاء شأنه، وبوصول الكثير منهم إلى المدينة المنورة، وامتنالاً من الرسول ﷺ لخالفه أجهد نفسه في لم شمل المسلمين، وترابطهم على المحبة، والموودة، ونزع التمييز العنصري، وبمختلف أشكاله وذلك بفرض التآخي بين عامة المسلمين، وعلى رأسهم المهاجرين والأنصار بقوله: "تآخوا في الله أخوين أخوين" ^(١) وأخذ بيد علي بن أبي طالب وقال هذا أخي

من صور المؤاخاة

عم الرسول حمزة بن عبد المطلب أخاً لزيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ

أبو بكر الصديق أخاً لخارجة بن زهير

عثمان بن عفان أخاً لأوس بن ثابت بن المنذر

بلال بن رباح أخاً لأبي رويحة

سلمان الفارسي أخاً لأبي الدرداء

طلحة بن عبيد الله أخاً لكعب بن مالك

عمر بن الخطاب أخاً لعبان بن مالك

عبد الرحمن بن عوف أخاً لسعد بن الربيع

أبو عبيدة عامر بن الجراح أخاً لسعد بن معاذ

(١) فتح الباري لابن حجر ج ٧ ص ٢٧١

وهكذا أصبح جميع معتنقي الإسلام أخوة، على الحق، والمواساة وبلغت أخوتهم إلى تطبيق التوارث بينهم، وظل هذا معمولاً به إلى أن أبطل بقوله تعالى {وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ} (١)

الأساس الثالث وضع وثيقة تعايش بين معتنقي الإسلام وجيرانهم من اليهود

باحترام أراضي يثرب للرسول ﷺ وأصحابه من المهاجرين أضحي التركيب السكاني للمدينة مكون من ثلاث فئات الأولى: الأنصار من الأوس والخزرج الثانية: اليهود الثالثة: المهاجرين وبهذا التطور أصبح على رسول الله ﷺ أن يتبنى خطة سياسية، اقتصادية، اجتماعية تفضي إلى تعايش الثلاث الفئات التي ذكرناها بسلام وذلك عبر كتابته لكتاب يتضمن توحيد منتمي الإسلام في أمة واحدة، نابذة وراء ظهرها كل الانتماآت العصبية. الضيقة، وأن يكونوا متعاونين على الحق، متكافلين في المشط والمكره، وأن يسود السلام والأمن بينهم وبين جيرانهم اليهود عبر ما احتواه الكتاب

لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم

على اليهود نفقتهم. وعلى المسلمين نفقتهم.

بين المسلمين واليهود النصيحة، والبر، دون الإثم.

أن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

أن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.

أن بينهم النصر على من دهم يثرب.

أن المسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة إن النصر-
للمظلوم.

حال المهاجرين بالمدينة

كما أبدينا سالفاً بترحيب الكثير من قاطني يثرب بالإسلام ومعتقيه، ونتيجة لديمومة
ايداء كفار قريش لمعتني الإسلام في مكة المكرمة كان لبعض أولئك المستضعفين مغادرة
بلدهم مكة المكرمة وليستقروا بالمدينة المنورة، وبهجرتهم ﷺ الميمونة كان للكثير من أصحابه
اللاحق به، ومعهم ذراريهم، ونسائهم وهنا لم يضق سكان المدينة المنورة من معتني الإسلام
بإخوانهم المهاجرين إنما رحبوا بهم، وقاسموهم الثمار، والمنازل بل وصل الحال ببعضهم بذل
العطاء للمهاجرين وعلى حسابهم {وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ
إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ
وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (١)

ولادة النفاق

بانسجام مكونات معتني الإسلام في المدينة المنورة، وبتوسع دائرة معتني الإسلام في
هذه المدينة، بهذا المشهد كان لفئات من كفار قريش، ومن معتني اليهودية، ومن عرب
المدينة، والأعراب المحيطين بها، التصريح باعترافهم للإسلام، هذا التصريح كان بمثابة الخبر
على الورق، إذ أعلنوا اعتناق الإسلام باللسان، بينما ظلت قلوبهم كافرة به، ومن هنا كان
لهؤلاء الرجال مدهانة معتني الإسلام بالظاهر، والتآمر عليهم، وعلى الإسلام في الباطن. كما
أن هناك من معتني الإسلام من لم يتعمق في تعاليم الإسلام، وبحسب مصلحته ظل يداهن
الخارجين عن ملته، وعلى حساب دينه.

اتخاذ القبلة ٨ / ٢ هـ

بافتراض الصلاة على معتنقي الإسلام واقترانها بالنهي عن الفحشاء، والمنكر، كان لمعتنقي الإسلام التوجه في صلاتهم صوب المسجد الأقصى- في بيت المقدس، وإلى شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة النبوية

أستهل رسول الله ﷺ ومعتنقو الإسلام صلاتهم بتغيير قبلتهم صوب بيت الله الحرام، في مكة المكرمة (١) امتثالاً منهم للأوامر الربانية.

جدير ذكره أن الكعبة المشرفة كانت حينها تحتل مكانة عظيمة في قلب الرسول ﷺ والعرب على السواء، ولذلك كثيرًا ما تمنى رسول الله ﷺ على خالقه أن تحول القبلة إليها فكان له ما تمنى

{ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ } (٢) وهذا التطور ولأن المسجد الأقصى له مكانة عظيمة في نفوس العرب عامة والمسلمين خاصة، وكذلك النصارى، واليهود، وباجتهاد رسول الله ﷺ في توحيد منتمي الإسلام في أمة واحدة نابذة وراء ظهرها كل الانتهات العصبية الضيقة، وأن يكونوا متعاونين على الحق بتحول القبلة ومما سبق استاء بعض معتنقي الإسلام والكثير من اليهود والنصارى من هذا الحدث، بل أضحي سبباً لارتداد شخصيات إسلامية من الإسلام،

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٧٣

(٢) البقرة آية ١٤٤

كما وجدت شخصيات يهودية في هذا الحدث فرصة لهم في النيل من الإسلام، والتشكيك به. ومع ذلك كان الله حفظ دينه.

يهود يثرب تتآمر على الإسلام

لم يتوان يهود يثرب في محاربة الإسلام، والنيل منه، ومن القائمين بأمره؛ وعلى رأسهم رسول الله ﷺ فمع دخوله يثرب واعتناقه من قبل سواد ساكنيها من الأوسيين والخزرجيين بهذه التطورات لم يطب الحال لليهود، ولعل أبرز هؤلاء حيي بن أخطب، وسلام بن مشكم، ومالك بن الصلت، وكعب بن الأشرف، وكنانة بن الربيع، وليبد بن الأعصم، وعبد الله بن صوريا، وشاس بن قيس وهذا الأخير مما يذكر عنه أنه كان شديد العداوة للإسلام، وذات يوم بمروره على جماعة من معتنقي الإسلام من الأوسيين والخزرجيين بملاحظته لانصهار القبيلتين كقبيلة واحدة في ظل الإسلام واتلاف قلوبها ساءه ذلك، وعمد إلى زرع فتيل الكره بين أولئك فقال: قد اجتمع ملائ بني قيلة-يعني الأوس والخزرج- بهذه البلاد، لا، والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار؛^(١) فأمر فتى شاباً من يهود كان معه بقوله: فاعمد فاجلس إليهم، ثم ذكرهم يوم بعث وما كان فيهم، وأنشدهم بعض ما كانوا تناولوا فيه من الأشعار، وكان يوم بعث يوماً اقتتل فيه الأوس والخزرج؛ ففعل. وحينها خاض بعض الحاضرين في أحداث تلك المعركة وبتفآخرهم وتنازعهم سرعان ما تعكر صفوهم، ليتفض رجلين منهم وهما أوس قيضي الأوسي وجبار بن صخر الخزاعي وبتشاجر هذين واستياء السامعين صاح الأوسيون يا للأوس فصاح الآخرون يا للخزرج وتواعدوا للحرب، وبلغ أخبارهم لرسول الله ﷺ خرج إليهم بمن معه من المهاجرين وصاح فيهم قائلاً: " يا معشر- المسلمين، الله الله، أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله تعالى إلى الإسلام،

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٧٠

وأكرمكم به، وقطع عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألف بينكم، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً" فأدرك القوم أن ما حدث ما هو إلا من نزع الشيطان، وكيد أعداء الإسلام بهذه الحادثة فضح الله مؤامرات اليهود وذلك بقوله تعالى {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ تَبْغُوهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} (١)

الجهاد في دولة الإسلام ٢/٨ هـ

الدين الذي كلف محمد بن عبد الله ﷺ بنشره جوهره حياة الشعوب بسلام، وأمان، وطريقة نشره بين الشعوب تركز على الحوار الفعال، ويستبعد العنف بكل أشكاله، ويعتبر من يزهق أي نفس بشرية بغير حق كأنه قتل الناس جميعاً. ومن هنا باستقرار رسول الله ﷺ في المدينة وتواصل عمل ما كلف به أي نشر الإسلام ابتداءً بمسقط رأسه مكة المكرمة، ثم القرى المجاورة فالأبعد فالأبعد (وكذلك أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) (٢) ومن المدينة المنورة أصبح لزاماً على رسول الله ﷺ أن يُعرف أهالي تلك القرية والقرى المحيطة بها بالدين الإسلامي عسى يشرح الله صدورهم للإيمان، ومن هنا أقدم ﷺ على بعث أصحابه إليهم وبما أن أهالي مكة المكرمة من الذين لم يعتنقوا الإسلام قد بلغ بهم الحقد ذروته من رسول الله ﷺ ومن آمن برسالته، فإثر خروجه من مكة المكرمة كان لهم مضاعفة التضييق على معتنقي الإسلام في داخل مكة المكرمة، وإكراههم على البقاء في موطنهم، ولم يكتفوا عند ذلك الحد إنما كان لهم إعداد جيش يفوق معتنقي الإسلام من حيث عدد أفراده، وعتاده الحربي، وبهذا الجيش

(١) آل عمران ٩٩-١٠٠

(٢) الشورى آية ٧

توجهوا به صوب المدينة بغية القضاء على رسول الله ومعتنقي الإسلام ومن هنا أذن رب العالمين للمسلمين بأن يقاتلوا دفاعاً عن أنفسهم قال تعالى: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} (١) أباح رب العالمين لمعتنقي الإسلام الدفاع وعدم الاعتداء {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} (٢)

وبما أن الإسلام دين السلام وخيار القتال خلال هذه المرحلة للدفاع عن النفس كان لرب العالمين عنايته بخلقه عبر تعاليمه الموجهة للبشر بأخلاقيات الجهاد في سبيل الله ومنها التعامل مع الأسرى.

أسرى الحرب

إذا ما اعتدت دولة أو أمة لا تدين بالإسلام على معتنقي الإسلام وكان الجهاد وخلال الحرب حث رب العالمين رسوله ومعتنقو الإسلام أن يجهدوا أنفسهم في قتال أعدائهم، وأن يبالغوا في قتالهم، وأن لا يحرصوا على أسرى أعدائهم بغية الحصول على متاع الدنيا الزائف، نتيجة الحصول على الفدية مقابل إطلاق الأسرى، باشتداد المعركة وإنزالهم الضربات القاتلة في صفوف أعدائهم فلا بأس من أخذ أسرى من صفوف الأعداء {مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّىٰ يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} {فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثَخْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ

(١) الحج آية ٣٩

(٢) الأنفال ٦٧

بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَاهُمْ سَيِّدِيهِمْ وَيُصْلِحْ بَاهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ
عَرَفَهَا هُمْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} (١)

ومع الحصول على أسرى من الحرب بين رب العالمين

لمعتنقي الإسلام بكيفية التعامل معهم

وذلك أولاً بالإحسان إليهم ثم إما بالتفضل عليهم،

بإطلاقهم من الأسر تكرماً وبلا مقابل

أو إطلاقهم من الأسر مقابل مال

أو غير ذلك {فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَنتَحْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ

فَأَمَّا مَنْ بَعْدَ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ} (٢)

غزوة بدر الكبرى ٢ هـ

سبب هذه الغزوة نتيجة

لاضطهاد مشركي قريش لضعفاء المسلمين،

ومصادرة أموالهم دون جرم اقترفوه إلا أن قالوا ربنا الله، وبمضاعفة التضييق عليهم ثم

فرارهم بدينهم إلى الحبشة، فيثرب، ولتلك المعانات وبعلم الرسول ﷺ بعودة قافلة قريش

التجارية من الشام بقيادة أبي سفيان بن حرب حث أصحابه على اصطياها بقوله: " هذه عير

(١) محمد آية ٤-٧

(٢) محمد آية ٤-٥

قريش فيها أموالهم فأخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها" (١) باستماع أصحابه إليه لم يعتقدوا أن الحرب ستشعل بين قريش وبين المسلمين لذلك لم يخرج للقافلة كافة معتنقي الإسلام إذ خرج رسول الله ﷺ بثلاثمائة وسبعة عشر رجلاً منهم ٨٦ رجلاً من المهاجرين و٦١ من الأوس ١٧٠ من الخزرج

وذلك في أوائل شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة

خرج ﷺ بأصحابه بعناد حربي لا يقارن

بإمكانية قريش، خرج بفرسان الأول للمقداد بن الأسود الكندي والثاني للزبير بن العوام، وسبعون بغيراً، واتجه الجميع صوب قافلة قريش وبوصول خبرهم إلى قائد القافلة أبي سفيان أسرع بالقافلة سالكاً بها طريقاً غير مألوفة، كما أنه أرسل إلى زعماء قريش يحثهم بالإسراع بإنقاذ قافلته، وبتخاذله هذه التدابير نجت القافلة من الوقوع بأيادي معتنقي الإسلام، هذا ما كان من شأنها أما سادة قريش فبوصول أخبار أبي سفيان إليهم جن جنونهم؛ وذلك خوفاً من ضياع أموالهم، ومن هنا سارعوا في إعداد جيشاً مكون من تسع مائة وخمسين مقاتل على مائتي فرس (٢) وخرجوا من مكة المكرمة بغية حماية قافلته التجارية والقضاء على محمد ﷺ ومن آمن برسالته.

النصيحة بعودة جيش قريش

بتمكن أبو سفيان من إنقاذ قافلة قريش من وقوعها بقبضة المسلمين كتب رسالة لجيش قريش يخبرهم بنجاة قافلته، وبزوال الخطر عن أموالهم، وأبدى لهم عدم تجنب مواجهة

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٢

(٢) الثقات لابن حبان ج ١ ص ١٥٧

جيش المسلمين، وذلك برجوع الجيش إلى مكة المكرمة. وبوصل هذه الرسالة إلى جيش قريش واطلاعهم على مضمونها لم يتقبل الرأي أبو جهل، وصاح في أصحابه قائلاً: والله لا نرجع حتى نرد بدرًا، فنقيم بها ثلاثًا، فننحر الجزور، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف لنا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبدًا. بسامع كبار رجال قريش لأبي جهل لم يستسغ بعضهم قوله، ومنهم الأحنس بن شريق فهذا استحسن كلام أبي سفيان، وعلى خلفية سماعه لأبي جهل صاح في القوم بعودة الجيش إلى مكة، لكنهم كانوا مع توجهات أبي جهل وهنا ما كان منه إلى أن انسحب مع بني زهرة من جيش مكة عائداً إلى مكة المكرمة، ثم إن بنو هاشم أرادوا الانسحاب من جيش مكة لكن أبا جهل استفزهم بحديثه بضرورة مواجهة معتنقي الإسلام والقضاء عليهم فانصاعوا لحديثه.

وهنا ما كان لقريش إلا التصميم على القضاء على رسول الله ﷺ ومعتنقي الإسلام وبذلك واصلوا سيرهم إلى وادي بدر، وهناك نزلوا بالعدوة القصوى.

وأما رسول الله ﷺ فبانفلات قافلة قريش من أيدي أصحابه وصلته الأخبار بخروج جيش قريش.

الرسول يستشير أصحابه

وبهذا الظرف العصيب استشار ﷺ أصحابه فيما ينبغي فعله فأبدى رجال من المسلمين بعدم مواجهة جيش قريش وذلك بحجة أنهم لم يتجهزوا لمحاربتهم، إنها خرجوا للسيطرة على القافلة، ومن ثم افتقارهم لكل معتنقي الإسلام، والذين ظلوا في المدينة وهؤلاء قال رب

العالمين فيهم: {كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ} (١)

وبالمقابل أبدى رجال من المسلمين تحمسهم للقتال ومن هؤلاء أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وهؤلاء أحسنوا الحديث بشدهم لأزر الرسول ﷺ في مواجهة القوم كما خاطب المقداد بن عمرو رسول الله ﷺ بقوله: "يا رسول الله امض لما أراك الله، فنحن معك، والله لا نقول لك ما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه. فسر رسول ﷺ لحديثه ودعا له.

ولأن هؤلاء يمثلون المهاجرين أراد الرسول ﷺ أن يسمع لرأي الأنصار فقال لهم: "أشيروا عليّ أيها الناس" (٢) ففطن لقوله ﷺ سعد بن معاذ الأنصاري: "قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟

قال: "أجل" قال: فقد آمنا بك، وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجلاً واحداً، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء، لعل الله يريك

(١) الأنفال آية ٥-٦

(٢) الثقات لابن حبان ج ١ ص ١٥٨

منا ما تقر به عينك، فسر على بركة الله (١) فسر الرسول ﷺ من موقفهم وسار بأصحابه متجهًا صوب بدر لمواجهة جيش قريش.

الرسول يبحث عن معلومات لجيش قريش

قبل ان يصل سول الله ﷺ بجيشه إلى بدر أرسل كلا من علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وذلك بغية أن يأتيه بأخبار جيش قريش، فانطلق هؤلاء الرجال ومع وصولهم إلى ماء بدر وجدوا غلامين حول الماء يستقيان لجيش مكة، فقبضوا عليهما، ثم عادوا بهما إلى رسول الله ﷺ فقال لهما رسول الله كم القوم؟ قالوا: كثير. قال: ما عدتهم؟ قالوا: لا ندري.

قال كم ينحرون كل يوم؟ قالوا يوما تسعا ويوما عشرا. وحينها تبين لرسول الله ﷺ أن جيش قريش ما بين التسعمائة والألف كما أن رسول الله ﷺ سألهما بقوله: فمن فيهم من أشراف قريش؟

قالا: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البخثري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي بن نوفل، والنضر بن الحارث بن كلفة، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج،

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٣٩٢

وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبد ود ^(١) فقام رسول الله ﷺ إلى جيش الإسلام وقال لهم:
"هذه مكة قد ألتقت إليكم أفلاذ كبدها" ^(٢)

وبنزول جيش الإسلام بالعدوة القصوى من ماء بدر وهنا خاطب الحباب بن المنذر بن
الجموح رضي الله عنه رسول الله ﷺ بقوله: هذا منزل أنزلكه الله تعالى لا تتقدمه ولا تتأخر
عنه أم هو الرأي، والحرب، والمكيدة؟ فرد عليه رسول الله ﷺ: بل هو الرأي والحرب
المكيدة ^(٣) فقال: يا رسول الله إن هذا ليس بمنزل فانهض بنا حتى نأتي أدنى ماء من القوم،
فننزه ونغور ما وراءه من القلب ثم نبني عليه حوضًا فتملأه ونشرب ولا يشربون.
فاستحسن رسول الله ﷺ هذا الرأي، وعمل به. ولأن رعاية رب العالمين محيطة برسوله
ﷺ ومعتني الإسلام ونتيجة لعانات جيش الإسلام من تعب السفر، ومشاق مواجهة جيش
قريش زرع الله الثقة في نفوس المسلمين وأنزل عليهم مطرًا خفيفًا: {إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً
مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى
قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ} ^(٤)

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٦٤

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣

(٣) دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٥

(٤) الأنفال آية ١١

مقر قيادة الجيش

قبل أن يتصادم جيش الإسلام وجيش قريش وخشية أن يصيب قائد الجيش الإسلامي مكروه خاطب سعد بن معاذ رضي الله عنه رسول الله ﷺ بقوله: يا نبي الله ألا نبني لك عريشًا تكون فيه، ونعد عندك ركائبك، ثم تلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الآخرة جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبًا منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حربًا ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك ويجاهدون معك (١).

فاستحسن رسول الله ﷺ، رأيه وشرع المسلمون في بناء عريش لرسول الله ﷺ، وذلك على تل مرتفع مشرف على المعركة، وتم اختيار سعد بن معاذ للقيام بحراسة رسول الله ﷺ في موقع قيادته.

اصطدام الجيشان

ومع الصباح الباكر وقبل التقاء الجيشين شرع رسول الله ﷺ بشحذ همم أصحابه في مواجهة أعدائهم، كما تضرع إلى الله أن ينصر أصحابه بقوله: قَالَ اللَّهُمَّ هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِخِيَلَيْهَا وَفَخَرَّهَا، تُحَادِّثُ وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ، اللَّهُمَّ فَصْرُكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ أَحْنَهُمُ الْعُدَاةَ (٢).

ثم بفرغ رسول الله ﷺ من ترتيب جيشه قال لهم: " إذا أكثبوكم - يعني اقتربوا منكم - فارموهم، واستبقوا نبلكم، ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم " ثم رجع إلى عريشه أما ما

(١) الأمم والملوك للطبري ج ٢ ص ٣٠

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٥٤

كان من جيش قريش بالصباح استفتح أبو جهل هذا اليوم بقوله: اللهم أقطعنا للرحم، وآتانا بما لانعرفه، فأجبه الغداة، اللهم أينما كان أحب إليك وأرضى عندك فانصره اليوم، وهنا قيل نزل قول رب العالمين: {إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدُوا وَلَنْ نُنْجِيَكُمْ عَنْكُمْ فِئْتِكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} (١) وقبل تصادم الجيشين خرج من جيش قريش الأسود بن عبد الأسد المخزومي قائلاً: أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه، أو لأموتن دونه. وبمعاينته من قبل الجيش الإسلامي خرج إليه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وهذا تمكن من ضربه بالسيف فوق من على حصانه، ورجله تنزف دمًا لكنه بالرغم من جرحه ووقوعه على الأرض زحف نحو حوض الماء بغية أن يبر يمينه لكن حمزة عاجله بضربة أخرى أطاحت بحياته. هذا وبوشك تصادم الجيشين ولحكمة الخالق جعل القوات الإسلامية في أعين قوات قريش قليلة؛ وذلك لعلهم يجزمون على حتمية نصرهم ثم في ما بعد يدركون أن النصر من رب العالمين وبالمقابل جعل عدد جيش قريش بنظر جيش الإسلام قليلي العدد رغم كثرتهم وفي هذا الصدد يقول رب العالمين {إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنَّ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ إِذْ يُرِيدُكُمْ اللَّهُ فِي مَنَامِكُمْ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ وَإِذْ يُرِيدُكُمْ هُمْ إِذْ التَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} (٢)

(١) الأنفال آية ١٩

(٢) الأنفال آية ٤٢ - ٤٤

ثم إنه بمقتل الأسود بن عبد الأسد على يد حمزة بن عبد المطلب^(١) وبخسارة قوات قريش لهذا الفارس خرج من صفوفهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة طالين المبارزة، فخرج إليهم من القوات الإسلامية فتية من الأنصار، وهما عوف ومعاذ ابنا الحارث الأنصاريان وعبد الله بن رواحة الأنصاري، بوصول هؤلاء الرجال لساحة المبارزة سألوهم عن من يكونوا فقالوا لهم: إنهم من الأنصار فامتنعوا عن مبارزتهم بحجة بغية قتال قومهم من المهاجرين إلى المدينة المنورة^(٢) وهنا صاح قائلهم يا محمد أخرج إلينا أكفأنا من قومنا فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن أخرج لهم كلا من علي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث وحمزة بن عبد المطلب وبتواجه الستة وبعد كر وفر تمكن علي وحمزة من قتل نظيريهما، بينما عبيدة بن الحارث وخصمه بعد كر وفر تمكن كل واحد منهما من توجيه ضربة قاتلة لصاحبه، وبمشاهدة علي وحمزة لجرح صاحبهما سرعان ما أجهزا على خصمه عتبة، وعادا بعبيدة بن الحارث إلى جيشهما وأما قوات قريش فبمشاهدتهم لمصرع أصحابهم اشتطوا غضباً مما أفضى بهم إلى المسارعة في الانقضاء على القوات الإسلامية، بالمقابل فقد ثبت جيش الإسلام في مواجهة جيش قريش مستمداً النصر من خالقه وفي ذاك الظرف العصيب بتضرع رسول الله ﷺ لخالقه وإلحاحه عليه بنصر أصحابه أوحى رب العالمين لرسوله بقوله {أَنِّي مُدْكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} ^(٣) - كما أوحى لملائكته بقوله: {أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ} ^(٤) وبتواجه الجيشين واستبسال القوات الإسلامية في مواجهة

(١) الأمم والملوك الطبري ج ٢ ص ٨٨

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٤٦

(٣) الأنفال آية ٩

(٤) الأنفال آية ١٢

أعدائهم خرج رسول الله ﷺ من العريش الذي أعد له وهو يقرأ قوله تعالى {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ} (١) ثم خاطب القوات الإسلامية بقوله " والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة " (قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض) فقال عمير ابن الحمام الأنصاري: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟

قال نعم. قال بنخ بنخ.

قال رسول الله ﷺ وما يملكك على قولك بنخ بنخ؟

قال لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها.

قال ﷺ: فإنك من أهلها (٢) فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها حياة طويلة، فرمى ما كان بيده من التمر ثم اندفع صوب قتال قريش وهو يقول:

ركضاً إلى الله بغير زاد ❀❀❀ إلى التقى وعمل المعاد

والصبر في الله على الجهاد ❀❀❀ وكل زاد عرضة النفاذ

غير التقى والبر والرشاد

وظل يقاتل حتى استشهد

(١) القمر آية ٤٥

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٥٩

أما جيش قريش فتحت وطأت ضربات جيش الإسلام ورعاية رب العالمين لمعتنقي دينه كان له الترنح، ثم التقهقروا عن الإقدام، وإزاء هذه الحال حاول أبو جهل أن يشد من عزيمتهم وذلك عبر صرخاته التحفيزية من قوله: "واللات والعزى لا نرجع حتى نفرقهم بالجبال، خذوهم أخذاً" لكن جهد أبي جهل ضاع في الهواء، فما وسعه وما جهده أمام نصر- الله لعباده وتفاني واستبسال الجيش الإسلامي في قتال عدوهم فتحت الضربات القاتلة ترنح جيش قريش، وتساقط قتلاهم الواحد تلو الآخر، وعلى رأسهم أبو جهل، ثم حل بهم هزيمة نكراء. وبعد انتهاء الحرب ومشاهدة الرسول ﷺ لجثث قتلى قريش أخذ يناديهم بقوله: "يا فلان ابن فلان أيسركم أنكم أطعمتم الله ورسوله فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً" فقال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فرد رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم" (١) كما خاطب رسول الله ﷺ قتلى مشركي مكة بقوله: "بئس العشيرة كنتم لنبيكم؛ كذبتُموني وصدقني الناس، وخذلتُموني ونصرني الناس، وأخرجتموني وأواني الناس" ثم أمر ﷺ بدفن قتلى الفريقين وكان قد قتل من قوات قريش سبعون رجلاً. بينما قتل من القوات الإسلامية أربعة عشر رجلاً. وبانهزام قوات قريش تفرقت قواتهم في الشعاب والوديان، موليين الأدبار صوب مكة. وبقرب دخولها كان لعار الهزيمة أثر كبير عليهم فكيف لهم الدخول وبأي حديث سيخبرون ذويهم ثم بدخولهم مكة كان أول من قدم بأخبار الهزيمة الحيسمان بن عبد الله الخزاعي فبمقدمه سأله الناس ما ورائك؟ قال قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام، وأممية بن خلف ثم أخذ يعدد لهم أبرز قتلاهم وبتلقيهم لتلك الأخبار عم الحزن لدى الكثير من الأسر التي فقدت رجالها.

أسرى الحرب وفداؤهم

بتكبيد كفار قريش هزيمة نكراء كان الجيش الإسلامي قد تمكن من أسر سبعين رجلاً وبهم وبالقوات الإسلامية توجه رسول الله ﷺ صوب المدينة المنورة بعد أن قضى ثلاثة أيام بعد انتصاره هنالك، وأثناء الطريق تباينت آراء شخصيات جهادية حول قضية توزيع غنائم الحرب، فرأى الشباب حديثي السن أنهم مستحقون أكثر نسبة من الغنائم، بينما رأى الشيوخ أنهم لا يقلوا شأنًا عنهم. ولحسم هذا الاختلاف نزل على رسول الله ﷺ قوله تعالى {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (١)

وبنزول هذه الآية امتثل المختلفون لحكم الله ورسوله ﷺ، ورضوا بقسمة خالقهم عن طريق نبيهم ومع وصول القوات الإسلامية إلى المدينة المنورة استشار رسول الله ﷺ أصحابه في كيفية التعامل مع الأسرى، ومن الذين أشاروا على الرسول أبو بكر الصديق بقوله: "يا رسول الله قومك وأهلك فاستبقهم لعل الله أن يتوب عليهم" فقال عمر بن الخطاب: "يا رسول الله كذبوك وأخرجوك قدمهم واضرب أعناقهم" وقال عبد الله بن رواحة: "يا رسول الله أنظر واديا كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرمه عليهم نارا" فقال له العباس: "قطعت رحمك فسكت رسول الله ﷺ وانصرف عنهم وبعودته قال: "إن الله لا يلين قلوب قوم حتى تكون ألين من اللين، ويشد قلوب حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر مثل

إبراهيم إذ قال: {فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ كَافِرٌ بَدِيدٌ} (١) وَمَثَلُ عِيسَى حِينَ قَالَ: {إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ} (٢).

وَمَثَلُكَ يَا عُمَرُ مَثَلُ نُوحٍ إِذْ قَالَ: {رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا} (٣).

وبتضارب الآراء حول قضية الأسرى ومع أن الأصل في الجهاد إذا ما فرض على رسول الله ﷺ ومن آمن برسالاته أن ينزلوا ضرباتهم الموجهة والقاتلة في صفوف أعدائهم، وأن لا يسعون صوب أسر أعدائهم مع ابتداء المعركة بغية الاستفادة منهم في دنياهم، وإذا ما سعوا لأسر أعدائهم فليكن بعد إنزال ضرباتهم القاتلة والموجهة وبحيث يكونون قد أجهدوا أنفسهم في قتال أعدائهم، وحين ذاك لا بأس من سعيهم صوب أسر أعدائهم {مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (٤) ولأن الأسرى مستضعفين لا حولاً لهم لا قوة وإن كانوا من أعداء دولة الإسلام وبأخذ الفداء منهم خاطبهم ربهم بقوله {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (٥) ومما سبق أقدم رسول الله ﷺ على توصية أصحابه بحسن معاملة الأسرى ثم كان له ﷺ بعد انتهاء معركة

(١) إبراهيم آية ٣٦

(٢) المائدة آية ١١٨

(٣) نوح آية ١٦

(٤) الأنفال ٧٠-٧١

(٥) الأنفال آية ٦٧

بدر إطلاق رجال من أسرى المعركة وبلا فدية أي تفضلاً منه ﷺ كوهب بن عمير بن وهب الجمحي، وصيفي بن أبي رفاعة، وأبي العاص بن الربيع الأموي زوج ابنة رسول الله ﷺ زينب، وأبي عزة الشاعر وآخرين (١) كما أطلق ﷺ سراح من دفع الفدية وهؤلاء بالرغم أنهم حينها كانوا كافرين بالإسلام إلا أن خالقهم خاطبهم على لسان رسوله ﷺ {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِيكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}

والذي كان من الأسرى يجيد القراءة أطلق رسول الله ﷺ سراحه مقابل تعليمه القراءة والكتابة لصبيان المدينة جدير ذكره أن رسول الله ﷺ كان قد وزع الأسرى على أصحابه (٢) ووصاهم بحسن معاملتهم وبعد باستقرار الرسول ﷺ في المدينة المنورة وتفرغه للعمل الدعوي انتقلت إلى رحمة الله تعالى ابنته رقية، وكان قد أصابها المرض قبل معركة بدر مما أدى برسول الله ﷺ أن يجعل عثمان بن عفان إلى جوارها بغية تمريرها، وبذلك فاتته المشاركة في معركة بدر

مؤامرة لاغتيال الرسول

على خلفية هزيمة قريش في معركة بدر وسقوط الكثير من جيشها ما بين قتيل وجريح وأسير لم يطب الحال لهم، وظل نار الثأر يتأجج في صدورهم، ومن هذا الحال وذات يوم تجاذب النقاش عمير بن وهب الجمحي وصفوان بن أمية وبذكر عمير الجمحي لتتأجج

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٥١٢

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢٤٨

الهزيمة من قتلى وأسرى وجرحى وحزنه على وقوع ولده وهب أسيرًا في قبضة جيش المسلمين.

رد عليه صفوان بن أمية بقوله: والله ما إن في العيش بعدهم خير.

قال له عمير: صدقت والله، أما والله لولا دَيْن عليّ ليس له عندي قضاء، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبتُ إلى محمد حتى أقتله، فإن لي قبلهم علة، ابني أسير في أيديهم. فاعتنمها صفوان وقال: على دينك، أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي، أواسيهم ما بقوا، لا يسعني شيء ويعجز عنهم.

فقال له عمير: فאתم عني شأنك وشأنك. قال: أفعل. وهذا كان من أشد من عادى رسول الله ﷺ حينما كان في مكة المكرمة، ثم ما كان منه إلا أن تزود للسفر ثم أخذ سيفه وانطلق صوب المدينة المنورة، وبوصوله المدينة شاهده عمر بن الخطاب وكان مع جماعة من المسلمين يتجادبون الحديث حول تفضل الله عليهم بالنصر في معركة بدر وهنا ما كان من عمر إلا أن سارع إلى رسول الله ﷺ مخبرًا عن قدوم عمير بن وهب بقوله: يا نبي الله، هذا عدو الله عمير قد جاء متقلدًا سيفه، قال: " فأدخله عليّ " فما كان من ابن الخطاب إلا أن أدخل عميرا على رسول الله ﷺ وهو أخذ احتياطه على رسول الله من أي مكروه قد يقوم به عمير تجاه رسول الله ﷺ، وبدخول عمير على رسول الله قال له: أنعموا صباحًا، فرد رسول الله ﷺ عليه بقوله: " قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام تحية أهل الجنة " (١). ثم قال: (ما جاء بك يا عمير؟) قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم، فأحسنوا فيه.

فقال له رسول الله: فما بال السيف في عنقك؟ قال: قبحها الله من سيوف، وهل أغنت عنا شيئاً؟

فقال له: "اصدقني، ما الذي جئت له؟" قال عمير: ما جئت إلا لذلك.

فقال له: "بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دين عليّ وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً، فتحمل صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلني، والله حائل بينك وبين ذلك" (١). فقال عمير أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان؛ فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام وباعتناقه للإسلام على يد رسول الله ﷺ خاطب رسول الله ﷺ أصحابه بقوله: "فقهوا أخاكم في دينه، وأقرئوه القرآن، وأطلقوا له أسيره" ففعلوا (٢).

تزوج حفصة ٢ هـ

بعد وفاة زوج حفصة بنت عمر بن الخطاب خنيس بن حذافة السهمي عرض عمر بن الخطاب ابنته على أبي بكر، وعثمان بن عفان، لكنها أبديا بأنها لا يرغبان بالزواج، وبعرض عمر ابن الخطاب هذا الخبر على رسول الله ﷺ وعده بزواج حفصة خير من هما فتزوجها رسول الله ﷺ بعد سنتين من هجرته إلى المدينة وقيل بعد ثلاثين شهراً من هجرته إلى المدينة المنورة وأولم لها تمراً وسويقاً وهذه عرفت بأنها صوامة قوامة.

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢١٤

(٢) المصدر السابق ج ٣ ص ٢١٤

فرض الصوم ٢ هـ

من المؤرخين من قال بأن الصوم فرض على المسلمين في شهر شعبان الموافق ثمانية عشر- شهرا من هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة، ومنهم من رأى بأن الصوم فرض على المسلمين بعد معركة بدر^(١) والصوم افترضه الخالق على عباده بغية تقوى الله، وتحقيق التكافل الاجتماعي فمتى جاع الصائم المسلم أدرك واقع الفقراء، والمعوزين، ومن ثم يسهم في تحقيق التكافل الاجتماعي، عبر التصديق على الفقراء والمساكين. كما عزز الخالق هذا الجانب عبر العديد من الفرائض والترغيبات منها فرض زكاة الفطر، وغيرها من الفرائض وما ذلك إلا بغية مواساة الفقراء والمحتاجين.

فرض الزكاة ٢ هـ

ابتداءً بعهد رسول الله ﷺ وما قبله وعبر الزمن وفي كل زمان ومكان لا يخلي مجتمع من أناس فقراء لا يمتلكون لأنفسهم حيلة لرفع مستواهم الاقتصادي، وأثناء حياة الرسول ﷺ وجد كثير من الفقراء المعوزين وكانوا عديمي الحيلة في إشباع بطونهم، ويطون من يعولون، وحينها اجتهد رسول الله ﷺ في مواساتهم عبر ترغيب أصحابه المتيسرين بالتصدق عليهم، ولأن الإسلام دين رب العالمين جاءت الحلول لهذه الشريحة من المجتمع متعددة كما أسلفنا على رأسها فرض الزكاة؛ واعتبارها ركن من أركان الإسلام، وفرض من فروضه تفرض على الأغنياء وتوزع على الفقراء، وتجب الزكاة في أربعة أشياء:

١- النعم من الإبل والبقر والغنم

٢- الزروع والثمار

(١) شذرات الذهب لعبد الحي العكري ج ١ ص ٩

٣- النقد من ذهب وفضة ومال

٤- التجارة

غزوة بني قينقاع ٢/١٠ هـ

بنو قينقاع كما أسلفنا إحدى بطون اليهود سكنوا يثرب جنباً إلى جنب مع قبيلتي الأوس والخزرج، وهؤلاء من موالي الخزرج، كما أنهم حلفاء لعبادة بن الصامت، وعبد الله بن أبي ابن سلول، وكانوا أصحاب مهن، وبما أن رسول الله ﷺ قد وضع وثيقة تعايش مع كافة يهود يثرب وهؤلاء منهم أصبح لزاماً على المسلمين واليهود أن يتعايشوا بسلام، وأن يتعاونوا ضد أي عدوان عليهم، وفي شهر شوال من السنة الثانية من الهجرة نقض يهود بني قينقاع العهد يرى بعض المؤرخين أن امرأة عربية دخلت سوق بني قينقاع لتبتاع وبينما كانت جالسة بجوار صائغ طلب منها أن تكشف عن وجهها، فلم تستجب لرغبته، فقام الصائغ بربط ثوبها إلى ظهرها دون علمها، وعندما قامت انكشفت عورتها، فضحكوا عليها، فقام مسلم إلى الصائغ فقتله، فوثب عليه اليهود فأردوه قتيلاً، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على يهود وهنا حل الشر بين الطرفين، وبنقضهم للعهد ولأنهم أهل كتاب ويعلمون أن ما جاء به محمد بن عبد الله ﷺ من عند خالقهم ومما سبق جمعهم رسول الله ﷺ عند سوقهم وخاطبهم بقوله: "يا معشر اليهود، احذروا من الله عز وجل مثل ما نزل بقريش من النعمة، وأسلموا؛ فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم؛ وفي عهد الله إليكم" (١). قالوا: يا محمد؛ إنك ترى أنا كقومك! لا يغرناك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة؛ إن والله حاربتنا لتعلمن

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٣١٣

أنا نحن الناس ^(١) فرد عليهم خالقهم بقوله تعالى { قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتُّغْلِبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ * قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئْتَبِئِ التَّقَاتِ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَىٰ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ } ^(٢)

وبتعتت بنو قينقاع وتآمرهم على رسول الله ﷺ ومعتنقي الإسلام عزم رسول الله ﷺ الخروج إليهم. وخلال هذه الفترة بدأ يظهر النفاق ولأول مرة في صفوف معتنقي الإسلام إذ أقدم عبد الله بن أبي بن سلول على مطالبة رسول الله ﷺ بالإحسان إلى مواليه يهود بني قينقاع، وراوغ في حديثه بقوله أخاف أن تدور الدائرة على معتنقي الإسلام. وبالمقابل تنصل عبادة بن الصامت من حلف يهود بني قينقاع. وبموقف ابن سلول نزل قول رب العالمين: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ } . ثم إن رسول الله ﷺ خرج إليهم بالقوات الإسلامية في شهر شوال، وحينها ما كان من يهود بني قينقاع إلا أن فضلوا التحصن على المواجهة، وفي هذا الإجراء شرع رسول الله ﷺ في محاصرتهم لخمسة عشر ليلة ومع شدة وطأة الحصار أقدم يهود بني قينقاع على مفاوضة رسول الله ﷺ، وتم الاتفاق على أن يخرجوا من المدينة بذرارهم ونسائهم ^(٣)

(١) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٨

(٢) آل عمران آية ١٣

(٣) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين للخضري ص ١٤٤

وبنزول الرسول ﷺ على رأيهم أمهلهم ثلاث ليال، فخرجوا من المدينة إلى أذرعات بالشام
(١) مخلفين وراءهم ممتلكاتهم لجيش الإسلام

تزوج علي بن أبي طالب بفاطمة ٢ هـ

بعد معركة بدر بشهرين خطب علي رضي الله عنه فاطمة من رسول الله، ولأن عليا لا يمتلك الأموال، ومكانته عند خالقه ورسول الله ﷺ عالية، فعند طلبه الزواج بفاطمة أحس بوضعه رسول الله ﷺ وخاطبه بقوله: " ما جاء بك؟ ألك حاجة؟ " فسكت، فقال: " لعلك جئت تخطب فاطمة؟ " قال: نعم. قال: " وهل عندك من شيء تستحلها به؟ "

قال: لا، والله يا رسول الله

فقال: " ما فعلت بالدرع التي سلحتكها؟ "

قال: عندي والذي نفس علي بيده إنها لحطيمية، ما ثمنها أربعمائة درهم. قال: " قد

زوجتك، فابعث بها، فإن كانت لصداق فاطمة " (٢)

الرسول يواصل الدعوة إلى الإسلام من المدينة

باستقرار رسول الله ﷺ في المدينة ظل لا يكل ولا يمل في دعوة أهلها لاعتناق الإسلام، وذات يوم وبلقائه لجماعة من اليهود خاطبهم بقول خالقه: {قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ

(١) زاد المعاد لابن الجوزي ج ٥ ص ٦٢

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ١٤١

أَيِّدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} (١) كما خاطب عقولهم بقول خالقه ﷻ: لمن الأرض ومن فيها
إن كنتم تعلمون؟

قالوا لله

قال لهم أفلا تذكرون

فقال فمن رب السموات السبع ورب العرش العظيم

قالوا لله

فقال أفلا تتقون

فقال لهم فمن بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون

فقالوا لله

فقال أنى تسحرون

وهكذا ظل يجاورهم طمعاً منه في اعتناقهم للإسلام ديناً لكنهم ظلوا مكابرين في تمسكهم
بدينهم، مع أن الكثير منهم يعلمون أن ما جاء به ﷻ حق وأنه من عند خالقهم.

حوار المسلمين لأهل الكتاب

بتكليف رسول الله ﷺ بمواصلة نشر الإسلام وباستقراره مع معتنقي الإسلام بالمدينة
المنورة لم تقتصر الدعوة لدين الله على رسول الله ﷺ بل شمل معتنقي الإسلام ومما سبق كان
لمعتنقي الإسلام الاجتهاد بدعوة أهل الكتاب - أي يهود يثرب وغيرهم من سكان يثرب
والقرى المجاورة لها - إلى التخلي عن ديانتهم واعتناق الإسلام ديناً ولكون اليهود أهل كتاب

مقدس جاءت توجيهات رب العالمين لأولئك الدعاة منها قوله تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ
الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ
وَإِهْنَأْ وَإِهْكُمُ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} (١)

غزوة أحد ٣/١٠ هـ

استعداد قريش للحرب

سبب غزوة أحد أن قريش كانت قبل معركة بدر لا ترى بمحمد ﷺ ومعتنقي الإسلام
قوة محاربة تشكل خطراً عليهم، وباشتعال معركة بدر وتلقيهم هزيمة نكراء شعروا بمدى
تنامي قواهم، هذا من جانب ومن جانب آخر إثر هزيمتهم في معركة بدر تصاعدت نبرات
الحقد في صفوف كفار قريش عامة، ومن قتل من أسرهم خاصة تجاه محمد ﷺ ومن آمن
برسالته، وحتى يأخذوا بثأرهم من جانب ومن جانب آخر يقضوا على الخطر الداهم الخطر
الديني والحربي - أي الإسلام ومن اعتنقه - ومن هذه المرتكزات أدير النقاش في دهاليز
صانعي القرار من كبار مشركي قريش في كيفية القضاء على دولة الإسلام ودعاتها، وكان
حينها أكثرهم تحملاً للأخذ بالثأر عبد الله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن
أمية وهؤلاء لم يتوانوا في إذكاء حماس قومهم في أخذ الثأر، وكان لهم ما أرادوا وذلك باتفاق
سادة قريش على إعادة الكرة في حرب جيش الإسلام، ساعدهم على هذا التوجه تخصيص
أموال القافلة التي أفلتت من رسول الله ﷺ وأنصاره، وهذه القافلة عمل كل من فقد من
أسرته أو أسر أو جرح في موقعة بدر على إيقافها نفقة للحرب القادمة؛ وهؤلاء خاطبوا

أصحاب القافلة بقولهم: "يا معشر قريش إن محمداً قد وترككم، وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه؛ لعلنا أن ندرك منه ثأراً بمن أصيب منا" (١)

وباستجابة أصحاب القافلة لمقترح أولئك، وهنا خاطب الله أصحاب القافلة والمتربصين بمعتني الإسلام الدوائر بقوله: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ} (٢)

وبرصدهم لهذه القافلة لنفقات الحرب أعدوا جيشاً مكوناً من ثلاثة آلاف مقاتل، وهؤلاء أعدوهم من قريش، وأعراب كنانة، وتهامة، والأحباش ولشحنهم مقاتليهم أخذوا معهم بعض النسوة كزوجة أبي سفيان هند بنت عتبة،

وزوجة عمرو بن العاص،

وزوجة الحارث بن هشام فاطمة بنت الوليد وأخريات.

استشارته لأصحابه

بتحرك جيش قريش صوب المدينة المنورة ووصول أخبارهم إلى رسول الله ﷺ استشار رسول الله ﷺ المسلمين في هذا الشأن، فانقسموا إلى فريقين الأول رأى أن يبقى جيش الإسلام في المدينة فإن دخل جيش الكفار المدينة قاتلوهم، ومن رجال هذا الرأي رسول الله ﷺ وكبار المهاجرين والأنصار (٣) وعبد الله بن أبي ابن سلول. أما الرأي الثاني فقد تجسد في خروج الجيش الإسلامي من المدينة المنورة ومواجهة قوات قريش، مثل هذا الرأي سواد

(١) الأمم والملوك للطبري ج ٢ ص ٥٨

(٢) الأنفال آية ٣٦

(٣) زاد المعاد لابن قيم الجوزية ج ٣ ص ٢٢١

الشباب، خاصة في فئات المتحمسين للجهاد ممن لم يشاركوا في معركة بدر. كما أن من أصحاب هذا الرأي شخصيات من كبار الصحابة (١) ومن شاركوا في معركة بدر، ومن غيرهم وفي هذا الصدد من المتحمسين للحرب حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وهذا خاطب رسول الله ﷺ بقوله: والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم طعامًا حتى أجالدهم بسيفي خارج المدينة (٢).

ولأن أصحاب هذا الرأي هم الأغلبية نزل رسول الله ﷺ عند رأيهم.

إعداده لجيش الإسلام

شرع رسول الله ﷺ بالإعداد لمواجهة قوات قريش وذلك في شحذه لهمم للمسلمين عبر الترغيب للجهاد؛ وبين لهم ما أعدده الخالق للمجاهدين وأثناء تجهيزه للقوات الإسلامية وتدفق الشباب إليه بغية مشاركتهم في الجهاد رد ﷺ صغار السن، ومنهم أسامة بن زيد، وزيد ابن ثابت، وعبد الله بن عمر وغيرهم وباكتمال تجهيزاته وقبل خروجه من منزله واصطفاف الناس له خاطبهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير بقولهما: استكرهتم رسول الله ﷺ على الخروج فردوا الأمر إليه. وبندم أصحاب الرأي بالخروج من المدينة لمواجهة جيش قريش أبدوا لرسول الله ﷺ حين خرج بأنهم نادمون على مخالفته الرأي، وذلك بقولهم: ما كان ينبغي لنا أن نخالفك فاصنع ما شئت إن أحببت أن تمكث بالمدينة فافعل. فرد عليهم بقوله: "ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه".

(١) غزوات الرسول وسراياه لابن سعد ج ١ ص ١٨

(٢) فتح الباري لابن حجر ج ٧ ص ٣٤٨

وخرج ﷺ من مدينته بجيش إسلامي تعداده ألف مجاهد، وقبل أن يصل جيش الإسلام إلى أحد انسحب ابن سلول برفقة ثلاثمائة رجل عائداً بهم إلى المدينة المنورة؛ بحجة أن رسول الله ﷺ لم ينزل عند رأيه أثناء أخذه المشورة وأخذ يقول: "عصاني وأطاع الولدان، ومن لا رأي له" وبالمنافقين نزل قوله تعالى {وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَاتْلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ فِتْنَالًا لَا تَبْعَانَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ} (١) هذا وكان بانسحابهم قد استاء بقية الجيش الإسلامي من تصرفاتهم.

وانقسم رأيهم إلى رأيين:

الأول رأى قتال المنسحبين كون تصرفهم يعد خيانة. والرأي الثاني رأوا تركهم والتفرغ لمواجهة قوات قريش. وبالرغم من انسحاب ثلث الجيش واصل الرسول ﷺ برجاله السير إلى أحد، وهناك عسكر بجيش الإسلام بسفح الجبل، وحتى يحمي ظهر جيشه أمر ﷺ عبد الله بن جبير على رأس خمسين رجلاً من الرماة أن يبقوا على رأس الجبل ثم قسم جيشه إلى ثلاثة ألوية

الأول لواء المهاجرين جعله بيد علي بن أبي طالب

الثاني لواء الأوس جعله بيد أسيد بن حضير

الثالث لواء الخزرج جعله بيد الحباب بن المنذر

هذا ما كان منهم وأما ما كان من قوات قريش فمع وصولهم لجبل أحد فقد كان على ميمنة جيشهم خالد بن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل. على الميسرة، وصفوان بن أمية على

المشاة. وبقدوم هذا الجيش بصحبة شخصيات من نساءهم وهؤلاء النسوة أخذن يشحذن همم جنود قريش بقولهن:

وَيَهَا بِنِي عَبْدِ الدَّارِ ❀❀❀ وَيَهَا حُمَاةَ الأَدْبَارِ
ضَرْباً بِكُلِّ بَتَارِ

وتارة ينشدن:

إِنْ تُقْبَلُوا نَعَانِقِ ❀❀❀ وَنَفْرُسِ السَّنَارِقِ
أَوْ تُدْبَرُوا نُفَارِقِ ❀❀❀ فَرَاقِ غَيْرِ وَأَمِيقِ

وقبل التحام الجيشين عمد كل فريق إلى تنظيم قواته، وحينها استل رسول الله ﷺ سيفاً بيده وخاطب المجاهدين بقوله: "من يأخذ مني هذا السيف بحقه" (١) فبسطوا أيديهم كل إنسان منهم يقول: أنا، أنا. فقال من يأخذه بحقه فأحجم القوم، فقال له أبو دجانة ما حقه يا رسول الله؟ قال: "تضرب به في العدو حتى ينحني" فقال: يا رسول الله أنا آخذه بحقه فأعطاه إياه: فأخرج أبو دجانة عصا به حمراء فربط بها رأسه - وكان هذا شأنه أثناء مواجهاته للقتال - ثم أخذ يتبخر بين الصفوف، وبمعاناة رسول الله ﷺ له قال: "إِنَّ هَذِهِ لَمَشِيَّةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا المَوْطِنِ" (٢)

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ١٧١

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٢٣٤

اصطدام الجيشان

وقبل أن يتواجه جيش معتتقي الإسلام وجيش مشركي مكة بدأ القتال بطلب قريش المبارزة وذلك ببروز طلحة بن أبي طلحة العبدري ^(١) وهذا بعد أن استل سيفه ركب على جمه وتوسط ميدان المعركة طالباً مبارزة المسلمين، فما كان من الزبير بن العوام إلا أن برز إليه ^(٢) وبالتقاء الفارسين وتصادمهما كان النصر حليف الزبير بن العوام، وذلك سرعان ما أرداه قتيلاً ولما رأى هذا الحال المسلمون فرحوا لفوز صاحبهم وأخذوا يكبرون. أما رسول الله ﷺ فقد أثنى على الزبير بن العوام بقوله: "إن لكل نبي حوارياً وحواري الزبير" ^(٣) ولما رأى مقاتلو قريش مصرع صاحبهم استأوا لحاله. ثم التحم الجيشان، وأزهقت الأرواح، وبيعت النفوس بيع السباح. هذا وبالرغم من قلة جيش الإسلام أمام نظيره إلا أنه أبلى بلاءً حسناً

وخلال المعركة برز الكثير من مقاتلي الإسلام للعيان وذلك بإنزالهم ضربات موجعة قاتلة في صفوف أعدائهم لعل أبرزهم أبو دجانة فبوضعه العصاة الحمراء على رأسه وتقلده لسيف رسول الله ﷺ أخذ ينشد:

أنا الذي عاهدني خليلي ❀❀❀ ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم الدهر في الكيول ❀❀❀ أضرب بسيف الله والرسول

(١) الأمام والملوك الطبري ج ٢ ص ٨٤٠

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٨٤٠

(٣) زاد المعاد لابن قيم الجوزية ج ٣ ص ١٧٢

ثم نزل على قوات قريش نزول الصواعق؛ أخذًا فيهم ضربًا وقتلًا (١).

وكان لعلي بن أبي طالب في هذه المعركة بصمات جليلة؛ فمع ضرباته القاتلة لمقاتلي قوات قريش تمكن من قتل طلحة بن أبي طلحة، وهذا كان حاملا لواء جيش قريش وبمقتل هذا حمل اللواء أخوه عثمان بن أبي طلحة فكان له حمزة بن عبد المطلب بالمرصاد وهذا سرعان ما بتر حمزة يده فأخذ اللواء أبو سعيد بن أبي طلحة، وهذا تمكن من قتله سعد بن أبي وقاص وهكذا كلما حمل لواء المشركين يتصدى له أحد جيش الإسلام وباشتعال لهيب المعركة واشتدادها استبسل جيش الإسلام في قتال جيش المشركين رغم قلة عددهم، مستمدين النصر من خالفهم.

هزيمة جيش الإسلام

بتفاني القوات الإسلامية في مواجهتها لقوات قريش، انكسرت قوات قريش وبتقهقرهم ومعاينة الرماة لانتصار جيشهم تآقت أنفسهم للنزول من على الجبل وجمع غنائم الحرب، وبهذا خالفوا أمر نبيهم ﷺ - بالبقاء في سفح الجبل - فنزل معظمهم ولم يثبت في الموقع إلا قائدهم مع بعض الرجال.

بالرغم أن رسول الله ﷺ حذرهم من مغادرة موقعهم. وإن وصل الحال إلى معاينتهم للجيش الإسلامي تتخطفه الطير. لكن تلك الوصية تلاشت أثناء فترة ضعف الإنسان أمام متاع الدنيا الزائف؛ أو لحكمة أرادها رب العالمين الشاهد بمخالفتهم لوصية قائدهم ورسولهم ﷺ ومن ثم النزول من الجبل.

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٥

وحين ذاك كان لفرسان قريش بقيادة خالد بن الوليد عدم تفويت فرصتهم الذهبية، وذلك سرعان ما صعّدوا الجبل وانقضوا على من تبقى في الجبل من الرماة، ثم التفوا على جيش الإسلام وتمادوا فيهم طعناً وقتلاً مما أدى إلى ارتباك الجيش الإسلامي، وسقوط الكثير من القتلى ومن ثم تحول نصرهم المحتوم إلى هزيمة نكراء.

ومع هذا الظرف العصيب وتألم الرسول ﷺ لحال قواته أخذ ينادي المتقهقرين من ساحة المواجهات: **يَا عباد الله يَا عباد الله**. فأقبل إليه نحو ثلاثين مجاهداً. وكان خلال هذه المواجهة قد أصيبت رباعية الرسول ﷺ، وشج وجهه، وتدفق دمه الشريف إلى وجهه، وبمعانات الرسول ﷺ لألم الهزيمة وألم جراحه قال: "كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم، وهو يدعوهم إلى الله عز وجل" (١)

وخلال هذا الظرف العصيب وبإصرار جيش قريش على الفتك برسول الله ﷺ وأصحابه برز للعيان الموقف المشرف لبعض مقاتلي جيش الإسلام، وذلك ببذل مهجهم رخيصة في سبيل إبقاء رسول الله ﷺ حياً؛ وذلك بجعل أجسادهم دروعاً واقية لرسول الله ﷺ (٢) أمام الضربات الموجهة له، ومن أبرز أولئك الرجال علي بن أبي طالب

وأبو طلحة وأبو دجاجة وسعد بن أبي وقاص

وعبد الرحمن بن عوف

ومصعب بن عمير وغيرهم

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ٣ ص ١٧٨

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٢

كما كان للمرأة المسلمة حضوراً في هذه المعركة، وذلك بقيام أم عمارة مع جماعة من مقاتلي الإسلام من اعتراض ابن قمئة، وبمحاربتها له وجهت له العديد من ضربات سيفها، لكن درعه حال بين جسده وبين تلك الضربات، بالمقابل تمكن هذا الرجل من جرحها في العنق وبمداومة قتالها أصيبت بالعديد من الجروح، لكنها ظلت صابرة في ساحة الوغى.

وما زاد الطين بلة على القوات الإسلامية في تلك اللحظات الحاسمة من الاقتتال انتشار شائعة بمقتل الرسول ﷺ، وقيل بأن أحد الرجال كان يصرخ: "ألا إن محمداً قد قتل" تلك الصرخة بقدر ما ألحقت الضرر بجيش الإسلام

من تحطيم عزيمتهم، وهداً لأركانهم؛ إلا أنه كان الضرر الأكبر في جيش قريش؛ وذلك لاكتفائه حسب الشائعات بمقتل الرسول ﷺ وانسحابه من ميدان المعركة مكللاً بالنصر..

وبانصراف هؤلاء تفقد جيش الإسلام لقتلاه فوجدهم قد بلغوا سبعين شهيداً^(١) وبالمقابل بلغ عدة القتلى من المشركين ٢٣ رجلاً، وكان بين قتلاهم حنظلة بن أبي سفيان أما جيش الإسلام فقد كان أبرز شهدائهم عم الرسول ﷺ حمزة بن عبد المطلب، وهذا البطل أثناء القتال تربص به وحشي غلام جبير بن مطعم وإلى أن لاحت له فرصة رماه بحرته فأرداه قتيلاً، وذلك أن هند زوجة أبي سفيان نتيجة للحقد الذي ملأ صدرها على حمزة جراء من قتل من أسرتها في معركة بدر كانت قد أوكلت مهمة قتل حمزة لوحشي؛ وبمقتله أقدمت على التمثيل بجسده، وذلك بجذع أنفه، وأذنيه، كما شقت بطنه وأخرجت كبده ولاكتها في أسنانها، ثم رمت بها^(٢). وبمعاناة الرسول ﷺ لجثة عمه وهي ممثلة تألم كثيراً لحاله. وخلال دفنه ﷺ لجثت قتلى جيشه كان يجمع بين الرجلين من القتلى في ثوب واحد ثم يقول "أيهم

(١) فتح الباري لابن حجر ج ٧ ص ٣٧٤

(٢) الأمام والملوك الطبري ج ٢ ص ٧٠

أكثر أخذًا للقرآن" (١). فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد وقال: "أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة". وأمر ﷺ بدفنهم في دمائهم، ولم يغسلوا، ولم يصل عليهم" ثم انصرف وقواته عائداً إلى المدينة، وفي الطريق لقيته حمنة بنت جحش فنعى لها استشهاد أخيها عبد الله بن جحش فاسترجعت واستغفرت له، ثم نعى لها استشهاد خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له، ثم نعى لها استشهاد زوجها مصعب بن عمير فصاحت وولولت فقال رسول الله ﷺ: "إن زوج المرأة منها ليمكن" (٢).

وبعودة رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة مهزومين أخذ كل من اليهود والمنافقين وعلى رأسهم عبد الله بن أبي ابن سلول يسخرون منهم، وبشاشة ابن سلول ومن كان على شاكلته وبالصبح الباكر أراد رسول الله ﷺ أن يبعث العزم في صفوف رجاله، ويرسل رسالة مفادها أن جيش الإسلام وإن تلقى ضربات مميتة إلا أن قدميه ما زالت ثابتة في صد عدوان الظلمة هذه الرسالة تجسدت في إصداره الأوامر لمن حضر القتال في معركة أحد بأن يخرج في طلب العدو فامتثل المجاهدون لأمره، وخرجوا رغم الأهمية وحمل اللواء علي بن أبي طالب بأمر من الرسول ﷺ، وهؤلاء وصلوا إلى موقع يقال له حمراء الأسد، وهناك عسكر بهم رسول الله ﷺ، وبالمساء أمرهم بإشعال النيران وذلك بغية أن يتبدى للمشاهد كثرتهم وكان للرسول ﷺ ما أراد فقد مر بهم معبد وتوهم بكثرتهم، وبلحاقه بأبي سفيان وقوات قريش وهم فرحون بما حققوه من نصر، خاطب أبو سفيان معبداً بقوله: "ما وراءك يا معبد قال: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط، يتحرقون عليكم تحرقاً قد اجتمع إليه من كان تخلف عنه في يومكم، وندموا على ما صنعوا فلهم من الحنق عليكم شيء، لم أر مثله قط. قال: ويملك

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ١١٥

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٠١

ما تقول فقال: والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل. قال: فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال: فأنا أنهاك عن ذلك" (١) وبوصول الرسالة إلى قوات قريش ما كان منهم إلا أن واصلوا سيرهم إلى مكة أما رسول الله ﷺ وقواته فقد ظلوا في حمراء الأسد ثلاثة أيام ثم عادوا إلى المدينة.

موقفه من جرم أعدائه وأصحابه

بتكليف رب العالمين لمحمد بن عبد الله ﷺ بنشر الإسلام وخلال قيامه بذلك في مكة وإلى أن غادرها إلى موطنه الثاني في المدينة المنورة ظل ﷺ مثابراً بتبليغ رسالة ربه فكان لعامة قريش مواقفهم المتباينة ما بين تكذيب، وإيذاء له، وللضعفاء الذين اتبعوه، وبديمومة إيذاء قريش له ولأنصاره ولأنه في ذلك الظرف كان ضعيفاً لا حول له ولا قوة فهل بعد رحيله من مكة إلى المدينة المنورة كان ذلك الإيذاء قد تعمق في نفسه ومن ثم أصبح دافعاً للانتقام من كل أولئك. هل بعد انتصاره على جيش مشركي مكة بيدرو ووقوع الكثير من أبناء كبار رجال قريش أسرى بقبضة يده عاملهم بمثل معاملتهم لأنصاره، من سب، وشتم، وتعذيب، وإيذاء؛ ولأن محمد بن عبد الله ﷺ بعثه رب العالمين رحمة للعالمين فباستقراره بالمدينة المنورة وبناء النواة الأولى لدولة الإسلام، لم يأمر ببناء سجن يكون أداة لمعاينة أعدائه أو المرتكبين للأخطاء من معتنقي الإسلام إنما كان رسول رب العالمين ﷺ قدوة في تحمل جرائم مشركي قريش ومساحتهم، فكيف بأخطاء من نطقت لسانه بالشهادتين وها هو عبد الله بن سلول وخلال إعداد الرسول ﷺ لجيش بغية مواجهة عدوان جيش قريش. وتحت مبرر أن الرسول ﷺ لم ينزل على رأيه انسحب بجزء من جيش الإسلام، ممن ينصاعون لتوجهاته، وتحت ذلك الظرف العصيب هل اعتبر رسول الله ﷺ ابن سلول وكبار متبعيه بأنهم خونة، مجرمي حرب؛ ومن ثم

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ج ١ ص ٤٤٩

الموت مصيرهم، أو زجهم بالسجن، وهنا تتجلى عظمة الرسول القائد محمد ابن عبد الله ﷺ وعظمة الدين الذي يدعو إليه وذلك بالصبر على أولئك، ومسامحتهم، ومن ثم تواصله في العمل على إحياء ضمايرهم وزرع الخوف من عقاب خالقهم لا عقابه ﷺ.

تزوجه بزینب بنت خزيمة ٤/٢ هـ

زينب بنت خزيمة تتسب لبني هلال بن عامر بن صعصعة، وكانت تلقب بأُم المساكين؛ وذلك لرقة قلبها، وعطفها عليهم وهذه كانت زوجة لعبد الله بن جحش، وباستشهاد هذا الصحابي في معركة أحد أراد رب العالمين لزينب أن تكون من أمهات المؤمنين، وذلك بأن تزوجها رسول الله ﷺ ففي السنة الرابعة من هجرته ﷺ إلى يثرب في شهر صفر تزوج رسول الله ﷺ بزینب بنت خزيمة؛ وكانت متزوجة قبله ﷺ بعبد الله بن جحش، بوفاته في غزوة أحد عوضها خالقها برسول الله ﷺ.

تزوج عثمان بن عفان بأم كلثوم ٣ هـ

تزوج عثمان بن عفان برقية بنت رسول الله ﷺ سنة اثنتين من الهجرة ودخل بها، وماتت يوم جاء البشير بانتصار جيش الإسلام في معركة بدر. ثم تزوج عثمان بأم كلثوم بنت رسول الله ﷺ ودخل بها في شهر ربيع الأول.

التغريب بالرسول وقتل الدعاة ٤/ هـ

الدعوة إلى الإسلام لم تخص بمحمد بن عبد الله ﷺ، ولم تقتصر عليه ﷺ بل فتح الباب بالدعوة لدين الله لأصحابه أثناء حياته بل ولكل مسلم على مر الزمن " بلغوا عني ولو آية" (١) فمع بداية السنة الرابعة للهجرة النبوية أقبل على رسول الله ﷺ في المدينة المنورة

(١) صحيح البخاري ج ٣ ص ١٢٧٥

رھط من عضل والقارة مدعين أن قومهم قد اعتنقوا الإسلام؛ ولجهلهم بتعاليمه ناشدوا رسول الله ﷺ أن يرسل لهم بعض أصحابه كي يفقهوهم بالدين، فاستجاب الرسول ﷺ لطلبهم (١) وبعث معهم ستة من الصحابة وقيل عشرة منهم زيد بن الدثنة، وعاصم ابن ثابت، ومرثد بن أبي مرثد، وباصطحاب أولئك الرھط لصحابة رسول الله ﷺ واصلوا سيرهم إلى منطقة الرجيع وهناك ظهرت نوايا أولئك الرھط خبيثة، وذلك بإطلاع هذيل عليهم وهؤلاء ما كان منهم إلا أن أعدوا قواتهم وانقضوا على الصحابة وقتلواهم، عدا حبيب بن عدي، وزيد بن الدثنة فقد أخذوهما أسيرين، وباعوهما في مكة المكرمة.

إبادة جماعة من دعاة الإسلام ٤/٢ هـ

في شهر صفر من السنة الرابعة للهجرة قدم على المدينة المنورة أبو البراء عامر بن مالك الملقب بملاعب الأسنة - وهذا يعد من أبرز شخصيات بني عامر - وبلقائه برسول الله ﷺ دعاه إلى الإسلام. فرفض اعتناق الإسلام، لكنه أبدى تعاطفاً بالدين الإسلامي. بقوله لرسول الله ﷺ: "لو بعثت معي رجلاً من أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك.

فقاله ﷺ: أخشى عليهم أهل نجد. قال أبو البراء: أنا لهم جار. فبعث المنذر بن عمرو في أربعين رجلاً، فيهم الحارث بن الصمة، وحرام بن ملحان أخو بني عدي بن النجار، وعروة ابن أسماء بن الصلت السلمبي ونافع بن ورقاء الخزاعي، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر (٢) وبمغادرتهم للمدينة ووصولهم إلى بئر معونة بعثوا حرام بن ملحان برسالة رسول الله

(١) المستدرک للحاکم ج ٣ ص ٢٤٥

(٢) تاریخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٢٢٦

ﷺ إلى عامر بن الطفيل لعله يعتنق الإسلام باطلاع هذا على مضمون الرسالة اشتط غضباً

وأمر بقتل حامل الرسالة ظلماً وعدواناً^(١) ولم يكتف عند هذا الحد إنما حث قبيلته

بني عامر في البطش بالدعاة، لكن القوم لم يستجيبوا له إكراماً لملاعب الأسنة، فما كان منه إلا أن استنفر قبائل بني سليم في قتل الدعاة فاستجابت له رعل، وعصية، وذكوان وهؤلاء أنزلوا ضرباتهم المميتة في دعاة الإسلام واستشهد جميعهم عدا رجلين كانا متأخرين عن المجزرة وبإقبالهما ومشاركتها في الجهاد قتل أحدهما، بينما تمكن الآخر عمرو بن أمية الضمري من النجاة من سيوف القوم وليعود إلى رسول الله ﷺ بخبر استشهاد أصحابه

^(٢) وبينما هو في الطريق وقبل دخوله المدينة وجد رجلين من بني كلاب وكان الرسول ﷺ قد أجارهما فاعتقد أنهما من بني عامر وتذكره لمجزرة أصحابه سرعان ما أجهز عليهما، وبدخوله المدينة وإخباره لرسول الله ﷺ باستشهاد أصحابه وقتله للرجلين حزن الرسول ﷺ ومعتنقي الإسلام كثيراً على فقدهم لأصحابهم، كما تألم الرسول ﷺ لقتل الرجلين وأبدى دفع ديتها^(٣)

غزوة بني النضير ٤/٣ هـ

بنو النضير أحد بطون اليهود المجاورين لقبيلتي الأوس والخزرج، باستقرار الرسول ﷺ في المدينة وتأسيسه لدولة الإسلام لم يضق ذرعاً باليهود، وذلك لإمكانية تعايش الإسلام مع أي ديانة، وهنا تجسد تعايش الرسول ﷺ ومعتنقي الإسلام معهم وذلك بتبني الرسول

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٢٦

(٢) زاد المعاد لابن قيم الجوزية ج ٣ ص ٢٢١

(٣) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٢١

وبموافقتهم لوثيقة تتضمن تعايش معتنقي الإسلام واليهود على أراضي المدينة بسلام وتعاون ومع ذلك أخذ يهود بني النضير يتواصلون مع قادة قريش وذلك تعاوناً معهم وفي ما يخدم مصالحهم وبما يفضي إلى النيل من الإسلام ومعتنقيه، وبقتل عامر بن أمية الضمري للرجلين خطأً ذهب رسول الله ﷺ برفقة بعض أصحابه إلى يهود بني النضير يستعين بهم على دفع دية القتيلين، بعرضه ﷺ طلبه عليهم أحسنوا استقباله بقولهم له " نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت " (١) لكنهم سرعان ما عمدوا إلى الغدر به. وذلك عندما رأوه ﷺ جالساً بجوار أحد منازلهم كلفوا عمرو بن جحاش بقتل الرسول ﷺ؛ وذلك من خلال أمره بإلقاء صخرة عليه ﷺ وحين ذاك وإذا بخالقه ﷺ يطلعه على هذه المؤامرة (٢) فما كان منه ﷺ إلا أن انسحب من بين مرافقيه. وبعودة مرافقيه أخبرهم عن نية اليهود بالغدر به بشروع اليهود بمحاولة قتل الرسول ﷺ واستيائه من غدرهم بوثيقة التعايش أرسل إليهم بالخروج من يثرب وأمهلهم عشراً (٣) وبالرغم من غدر اليهود تلقوا الدعم المعنوي من قبل زعيم المنافقين عبد الله بن أبي سلول وبهذا الصدد نزل قوله تعالي (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولُنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ) (٤) وتلويح المنافقين لبني النضير بالمناصرة وجدوا فيهم متنفساً وآثروا البقاء في حصونهم متحصنين بها ومن هنا بعث

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٤٦

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٥٧

(٣) فتح الباري لابن حجر ج ١ ص ٥٢

(٤) الحشر آية ٩-١٢

حيي بن أخطب رسالة لرسول الله ﷺ: إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك. فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن جمع المسلمين وجهزهم وخرج بهم في هذه السنة أي الرابعة للهجرة ونزل بجيشه بجوار حصونهم. وشرع بمحاصرهم وأثناء الحصار رأى جيش الإسلام تضيق الخناق على يهود بني النضير وذلك عبر قطع بعض أشجارهم، ونتيجة لتذمر اليهود من هذا الفعل، واعتباره خارج عن العادات المتعارف عليها نزل قوله تعالى ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ (١) باشتداد وطأة الحصار على يهود بني النضير، وإحجام كل من بني قريظة وحلفائهم من غطفان والمنافقين عن نصرتهم طلبوا من رسول الله ﷺ أن يرفع عنهم الجيش مقابل أن يغادروا البلاد بممتلكاتهم ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ وَلَوْ لَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢) فسمح لهم بذلك. وقبل أن يفارقوا منازلهم وأرضهم عمد الكثير منهم إلى تدمير منازلهم، ثم خرجوا منها متجهين صوب خيبر، وهناك استقر بعضهم والبعض اتجه صوب بلاد الشام وبمغادرة يهود بني النضير شرع رسول الله في تقسيم أموالهم ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ

(١) الحشر آية ٥

(٢) الحشر آية ١-٧

وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (١) ورأى رسول الله أن يخصص قسما كبيرا من تلك الغنائم لفقراء المهاجرين؛ لكونهم أجبروا على مفارقة ممتلكاتهم وبلادهم في سبيل إعلاء راية التوحيد.

تحريم الخمر

كانت الخمر في العصر الجاهلي وإلى بعثة رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ من المشروبات المألوفة، والمعتادة بل وصل شرب الخمر لدى الفئات المستنيرة والمتيسرة إلى درجة التفاخر بشرها. وفيها كثيرا ما تفاخر الشعراء

ومن هذه المكانة كانت لدى الكثير من الناس بمثابة الحرفة والارتزاق، وذلك بتصنيعها وتسويقها {تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا} (٢) وبالرغم أن للخمر حينها كان لها فوائد إلا أن أضرارها جسيمة؛ كون من يستغرق في شربها تعمل على ذهاب عقله، ومن ثم قد يرتكب أخطاء جسيمة، وبحيث يلحق الضرر بنفسه، أو بالآخرين، ومن ذلك الواقع جاء الإسلام بتحريمها، وبمراحل - إذ حرص أولا على معالجة النفوس التي أصبحت مدمنة عليها ثانيا جاء التحريم القطعي لها وفي المرحلة الأولى خاطب رب العالمين عقول المدمنين بها

{يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها إثم كبير ومنافع للناس} (٣) وهنا شربها أناس من معتنقي الإسلام وأقلع عنها آخرون ولأن الخمر مسكر ومذهب لعقول؛ بعض شاربيها أثناء

(١) الحشر آية ٦-٧

(٢) النحل آية ٦٧

(٣) البقرة آية ٢١٩

تأديتهم للصلاة بقراءتهم للقرآن وقعوا في أخطاء اضافة إلى أضرارها تجاه شاربها، أو من قد يلحق بهم الضرر نتيجة لغياب العقل أثناء السكر. مما سبق كان التحريم الجزئي للخمر

وذلك بنزول قوله تعالى: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ} (١) وخلال هذه المرحلة خف شرب الخمر ولم يقلع كافة معتنقي الإسلام عن شربها المرحلة الثانية التحريم الكلي لشاربي الخمر

وفي هذه المرحلة نزل قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ - وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (٢). كما بين رب العالمين سبب تحريم الخمر بقوله تعالى (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} (٣).

محاولة غورث بن الحارث الغطفاني قتل رسول الله

بوصول الأخبار لرسول الله ﷺ بأن بني محارب وبني ثعلبة من غطفان قد بيتوا النية لمحاربة رسول الله ﷺ، وبهذا الخبر أخذ ﷺ جمعاً من رجاله وانطلق صوبهم، وبوصول خبره إليهم فضلوا عدم المواجهة، وتفرقوا في قمم الجبال. وخلال تلك الأحداث أبدى غورث الغطفاني لرجاله عن عزمه على قتل رسول الله ﷺ؛ وذلك مع أول فرصة يرى فيها رسول الله ﷺ منفرداً - أي بعيداً عن أصحابه - وذات يوم بنزول جيش رسول الله ﷺ في واد كثير الأشجار وتفرقهم تحت ظلال الأشجار بغية أخذ قسط من الراحة، رأى رسول الله ﷺ

(١) النساء آية ٤٣

(٢) المائدة آية ٩٠

(٣) المائدة آية ٩

جالسا لحالة تحت ظلال شجرة وسيفه معلقاً فيها. وبهذه الفرصة سارع في اخذ سيف رسول الله ﷺ وخاطبه بقوله: من يمنعك اليوم مني يا محمد؟

فقال له " الله "

وحينها بارتباك غورث وسقوط السيف منه إلى الأرض وأخذه من قبل رسول الله ﷺ

صاح فيه: " من يمنعك مني اليوم؟" (١)

قال: لا أحد.

ولأن رسول الله ﷺ رحمة للعالمين لم يبطش بغورث، ولم يجبره على اعتناق الإسلام، بل آمنه على حياته، وأبدى له بأنه بإمكانه اللحاق بقومه بتفضل رسول الله ﷺ عليه عاهده على أن لا يحارب ضده ثم قفل راجعاً إلى قومه يخبرهم بتكرم رسول الله ﷺ عليه.

تفضله على جابر بن عبد الله

خلال عودة رسول الله ﷺ وجيشه إثر عودتهم من غزوة ذات الرقاع. وخلال الطريق بمشاهدته لجمل جابر بن عبد الله وهو متعب، لا يمشي إلا بصعوبة، وكان الجمل قد بلغ به العمر مداه.

قال لجابر بن عبد الله: " أتبعنيه يا جابر؟

قال: بل أهبه لك يا رسول الله" (٢)

(١) الخصائص الكبرى للسيوطي ج ١ ص ٣٥٥

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٩٩

قال له رسول الله: لا بل بعنيه. فساومه رسول الله ﷺ على مبلغ من المال. وبرضى جابر بن عبد الله يبيع جملة لرسول الله ﷺ اشترط على رسول الله ﷺ أن يظل الجمل بقبضته؛ وذلك بغية أن يحمله إلى المدينة المنورة فوافق رسول الله ﷺ على شرطه.

وبوصول الجميع المدينة المنورة جاء جابر بالجمل إلى قرب بيوت رسول الله ﷺ وأمرهم بأن يخبروا رسول الله ﷺ بمقدمه. وبرحمة رسول الله ﷺ بجابر أعطى عمارة بعض الدراهم وقال له: أعط هذه الدراهم لجابر وقل له يأخذ جملة فإنه لا حاجة لي به " (١).

تزوجه بأمر سلمة ٤/١٠ هـ

في آخر شهر شوال من السنة الرابعة للهجرة تزوج رسول الله ﷺ بهند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومي، وكانت في الثلاثين من عمرها، وهذه كانت زوجة لابن عمها أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد.

غزوة بني المصطلق وتحريم رقهم

ناصر بنو المصطلق العداء لمعتنقي الإسلام، وذلك بمساعدتهم لقريش في حربهم للمسلمين في غزوة أحد، وهزيمة جيش الإسلام بتلك الغزوة تصاعد عداء بني المصطلق للمسلمين عبر شروع القبيلة مع قائدها الحارث بن ضرار بتعبئة الرجال للإنقضاض على دولة الإسلام. بوصول هذه الأخبار إلى رسول الله ﷺ سرعان ما جمع رجاله وسار بهم صوبهم، ولقيهم ﷺ على ماء يقال له المريسع، وباشتباك الجيشين دارت الدائرة على بني المصطلق، واستولى جيش الإسلام على ممتلكاتهم، هذا وكان قد سقط الكثير منهم أسرى في قبضة جيش الإسلام، ومن ضمن الأسرى جويرية بنت زعيم بني المصطلق، وهذه وقعت

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٩٩

بيد ثابت بن قيس، فكاتبته وتحررت من رق العبودية. وتمشيًا مع تعاليم الإسلام السمحة والتي تدعو إلى الارتقاء بالإنسان وتحريره من أي امتهان لكرامته، وعلى رأسها العبودية، أقدم رسول الله ﷺ على التزوج من برة "جويرية" بنت الحارث، بتزوجه منها أصبحت أم المؤمنين، وأصبح أسرى بني المصطلق أصهارًا للرسول ﷺ، ومن هنا صعب على الجيش الإسلامي أن يظل بنو المصطلق أسرى بأيديهم، فما كان منهم إلا أن حرروهم من قيد الأسر، ومن رق العبودية وهؤلاء ما كان منهم إلا أن بادروا باعتناق الإسلام.

الرسول يغفر لابن سلول

بانتهاه رحى الحرب التي اندلعت بين جيش الإسلام وبني المصطلق، ومع عودة جيش الإسلام إلى المدينة وخلال الطريق تشاجر سنان بن وبر الجهني مع جهجاه بن مسعود الغفاري عند ماء المريسع، وكادا أن يقتتلا، فصرخ الجهني بالأنصار مستغيثًا، وبالمقابل صرخ جهجاه بالمهاجرين مستغيثًا، وكان بجوارهما خليط من المهاجرين والأنصار، فأوشكت الفتنة أن تشعل بين الطرفين؛ وبحكمة رسول الله ﷺ سرعان ما فض النزاع بعد أن قال لهم: "يا معشر المسلمين الله الله أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، بعد أن هداكم الله إلى الإسلام، وألف بين قلوبكم، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارًا" (١) هذا الحدث وصل حينها إلى سمع زعيم المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول فقال: أوقد فعلوها قد نافرونا، وكاثرونا، في بلادنا والله ما عدنا وجلايب قريش هذه إلا كما قال الأول سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنا الأعز منها الأذل" (٢) وفي هذا الصدد يقول رب العالمين {يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا

(١) العجائب في بيان الأسباب لابن حجر ج ٢ ص ٧٢٢

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٢٩

يَعْلَمُونَ} (١) ثم أقبل ابن سلول على جمع من قومه وهؤلاء كانوا سماعين له وخاطبهم بقوله: هذا ما فعلتم بأنفسكم؛ أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير بلادكم، وبسماع زيد بن أرقم لكلامه سرعان ما نقله إلى رسول الله ﷺ وعنده عمر بن الخطاب. فقال عمر يا رسول الله مر به عباد بن بشر بن وقش فليقتله. فقال رسول الله ﷺ: " فكيف يا عمر إذا تحدث الناس إن محمدا يقتل أصحابه (٢)؟ لا ولكن أذن بالرحيل " وكان ذلك في ساعة لم يكن لرسول الله ﷺ أن يرتحل فيها وذلك ابتغاءً منه في انشغال جيش الإسلام عن موضوع الفتنة وبهذا الحدث جاء أسيد بن حضير إلى رسول الله ﷺ وبعد أن سلم عليه قال له: يا رسول الله لقد رحلت في ساعة مبكرة ما كنت تروح فيها فقال رسول الله: أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟ قال وأي صاحب يا رسول الله؟ قال عبد الله بن أبي. قال وما قال؟ قال زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعرز منها الأذل. قال أسيد فأنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت، هو والله الذليل، وأنت العزيز. ثم قال يا رسول الله أرفق به، فو الله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظّمون له الخرز ليتوجوه، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكًا. وأما ابن سلول فمع وصول خبره إلى رسول الله ﷺ سارع بالتوجه إلى رسول الله ﷺ وحلف له بالله أنه ما قال ما نقله زيد ولا نطق به.

ومما شد من أزر ابن سلول أن له شرفاً ومكانة لدى قومه، ومن هؤلاء بسماعهم لقسم ابن سلول خاطبوا رسول الله ﷺ بقولهم: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أخطأ.

(١) المنافقون آية ٨

(٢) صحيح مسلم ج ٨ ص ١٩

فأنزل الله على رسوله ﷺ سورة المنافقون {إذا جاءك المنافقون} إلى آخر الآيات هذه التطورات بوصولها إلى عبد الله بن عبد الله بن أبي وهذا كان على جانب كبير من الصلاح، بل ويعد من أحد كتاب الوحي توجه إلى رسول الله ﷺ

فقال: يا رسول الله إنه قد بلغني أنك تريد قتل عبدالله بن أبي، فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمروني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبدالله بن أبي يمشي في الناس فأقتله؛ فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار.

فقال رسول الله ﷺ "بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا" (١)

الافتراء على أم المؤمنين عائشة وفوائده

عندما قرر رسول الله ﷺ غزو بني المصطلق اصطحب معه زوجته عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها، وبتمكن جيش الإسلام من النصر- على بني المصطلق، وإذن الرسول ﷺ للجيش بالعودة إلى المدينة المنورة صادف أن عائشة كانت قد خرجت لقضاء حاجتها، ويعودتها للمعسكر افتقدت عقدها، فما كان منها إلا أن عادت للبحث عنه، ويرجعها للمعسكر وجدته قد غادر المكان؛ فباتت في مكانها على أمل أن يفتقدوها، وحين ذاك كان صفوان تلك الليلة من وراء المعسكر، وعند الصباح رآها فعرفها، فما كان منه إلا أن أناخ بعيه وابتعد عنه حتى تصعد عليه ثم أقبل بها إلى جيش الإسلام، في وقت الظهرية هذا وكان في صفوف القوات الإسلامية الكثير من ضعفاء الإيوان، ومن المنافقين، ومن هؤلاء عند مشاهدتهم لزوجة رسولهم ﷺ بصحبة صفوان مقبلين ظنوا أنها ارتكبا الفاحشة. ومن منطلق ظنهم أطلقوا لألستهم العنان بالنيل من عرض رسول الله ﷺ ظلماً، وعدواناً،

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٣٠١

وبوصول جيش الإسلام المدينة وتواصل القليل والقال في أم المؤمنين، وصل الخبر إلى رسول الله ﷺ وبإصابة عائشة بالمرض كان يدخل عليها ويسأل عن حالها، لكنها افتقدت ملاطفته ﷺ بها، وهي حينها لا تعلم بما يدار عنها، بينما كان رسول الله ﷺ متأماً من نفسي- هذه الشائعة، ولعدم علمه بحقيقتها ظل ظنه بزوجه وبصفوان خيراً. وتآلم عائشة من المرض الذي حل بها أخبرتها أم مسطح بما يدور عليها من حديث فأظلمت الدنيا بعينيها من شدة ألم ما سمعت، ثم طلبت من الرسول ﷺ أن تمرض في بيت أبيها؛ فأذن ﷺ لها.

وأما رسول الله ﷺ وبالرغم أنه نبي وعدم معرفته بحقيقة الشائعة لحكمة يريد خالقه، بتألمه من رواج الشائعة احتار فيما يفعل، واستشار شخصيات من أصحابه في هذا الشأن، فمنهم من قال: أهلك لا نعلم عنهم إلا خيراً. ومنهم من قال " لم يُضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك ^(١) فخاطب رسول الله ﷺ جارية عائشة بريرة بقوله: " هل رأيت من شيء يريبك " ^(٢) فأكدت له أنها ما تعلم عنها إلا خيراً وصلاًحاً فما كان منه إلا أن صعد المنبر وقال: " يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي فو الله ما علمت على أهلي إلا خيراً ^(٣) . وأما عائشة فمنذ وصلت إليها الشائعة ظلت باكية لا يكف لها دمعا، وبطول تألم الرسول ﷺ وحيرته في أمر الشائعة، وأثناء زيارته لها في منزل أبيها خاطبها بقوله: " أما بعد يا عائشة فقد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك

(١) مسند البزار ج ١٨ ص ١٧٣

(٢) المصدر السابق ج ١٨ ص ١٧٣

(٣) صحيح البخاري ج ٦ ص ٢٦٨٢

الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله، وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بالذنب ثم تاب تاب الله عليه (١) بسماها لزوجها طلبت من والديها

أن يردا على رسول الله ﷺ.

فقالا لها: لا ندري والله ما نقول.

فقالت: "والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في نفوسكم، وصدقتم له، فإن قلت لكم إن بريئة والله يعلم أي بريئة

لا تصدقوني بذلك، ولئن أعترف لكم بأمر والله يعلم أي بريئة لتصدقوني، وإني والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف {فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون}.

ثم تحولت عنهم مضطجعة على فراشها لأن رسول الله ﷺ لا يعلم الغيب، ولم يطلعه خالقه على حقيقة الحدث في حينها، كما أوردنا ظل يعاني من ألسنة أصحاب القلوب المريضة، وإلى ما بعد الشهر نزل عليه ﷺ

وحي السماء، مبرئاً عائشة مما نسب إليها، وذلك عبر آيات قرآنية تتلى في سورة النور (إنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْآفَاكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَافِرُونَ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (٢)

(١) مسند إسحاق بن راهويه ج ٢ ص ٥١٦

(٢) النور آية ١١-١٤

وبنزول هذه السورة والتي تضمنت تبرئة عائشة رضي الله عنها، ووضع الروادع لكل من يروج الشائعات الكاذبة، أو يرتكب جريمة الزنا، كانت تلك التبرأة بمثابة البلسم لعائشة وزوجها ﷺ وأما رسول الله ﷺ بنزول الوحي إليه خاطب زوجته بقوله: "يا عائشة أما الله فقد برأك" (١) بسماها لرسول الله ﷺ ورغبتها بمعاتبته طلبت من أمها أن تشكر رسول الله ﷺ ونتيجة لطول معاناتها وتألمها من جفاء زوجها ﷺ فعندما أمرتها أمها بأن تقوم لزوجها ﷺ قالت "والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله الذي أنزل براءتي" (٢) فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن خرج من منزل أبي بكر وتلا على الناس الآيات القرآنية التي نزلت عليه، ثم إنه أنزل عقوبة الجلد في من أفصح باتهام عائشة رضي الله عنها بالزنا، وهم حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاة، وحمنة بنت جحش وهذا التشريع أصبحت أعراض المسلمين والمسلمات مصانة وذلك للخوف من العقوبة في الدنيا قبل الآخرة وتلقي الثلاثة للعقوبة واستغفارهم برئت ذمهم. ومن الجدير ذكره أن مسطحاً كان من أقرباء أبي بكر، وكان فقيراً لا يمتلك لنفسه حيلة، ونتيجة لإطلاق لسانه في عرض عائشة امتنع أبو بكر من الإنفاق عليه، وكان قبل ذلك يتعهده بفضله وبعد توبته حث رب العالمين أبا بكر أن لا يكف يده عن التصديق عليه {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (٣) وحينها ما كان من أبي بكر إلا أن امثل لأوامر خالقه وذلك بديمومة التصديق على قريبه.

(١) مسند إسحاق بن راهويه ج ٢ ص ٥١٦

(٢) زاد المعاد لابن القيم الجوزية ج ٣ ص ٢٢٩

(٣) النور آية ٢٢

غزوة الأحزاب - الخندق ٥/١٠ هـ

بالرغم من هزيمة قريش لجيش الإسلام في أحد لم يطب لهم الحال، ومما زاد من تأجيجها معايشتهم لنمو دولة الإسلام في المدينة المنورة، وعلى نفس الصعيد مع شروع يهود بني النضير في محاولة قتل الرسول ﷺ ونقضهم لوثيقة التعايش ومن ثم إجلائهم عن المدينة، ومنذ تلك اللحظات هؤلاء لم يهدأ لهم بال، وظلت نيران الحقد على محمد ﷺ ومن آمن برسالته تتأجج. فمع السنة الخامسة من الهجرة النبوية أقدم كبار رجالهم كسلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وهوذة بن قيس الوائلي وآخرون على تأليب القبائل بغية القضاء على محمد ﷺ ومن اعتنق الإسلام ديناً^(١) وتوجههم لمكة المكرمة وتحفيزهم لقريش في القضاء على أولئك كان لهم ما أرادوا؛ إذ سرعان ما استجابت لأولئك قريش وتواعدوا لذلك كما استجابت لهم كل من قبيلة غطفان، ومرة، وفزارة، وأشجع، وباتفاق الجميع

لتحديد الزمان والمكان بغية القضاء على الإسلام كان للجميع التوجه إلى المدينة المنورة في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة النبوية، في جيش تعداده عشرة آلاف مقاتل، يترأسهم أبو سفيان.

استشارته لأصحابه

بوصول خبر جيش الأحزاب لرسول الله ﷺ ما كان منه إلا أن جمع كبار شخصيات معتنقي الإسلام من أصحاب الرأي وشاورهم في كيفية التصدي لعدوانهم؛ وتمخض التشاور في البقاء داخل المدينة المنورة والتحصن بها، وعلى أن يحفروا خندقاً لا يسمح لدخول القوات المعادية المدينة، وبرسوهم على هذا الرأي خرج رسول الله ﷺ بقواته إلى جبل السلع

(١) الثقات لابن حبان ج ١ ص ٢٦٤

وجعلوه من خلفهم، ثم شرعوا في حفر الخندق من أمامهم، وتم الحفر على النحو التالي كل عشرة من الرجال يحفرون أربعين ذراعاً (١). وأقبل المسلمون على حفر الخندق بهمة عالية، شاركهم في الحفر رسول الله ﷺ وأثناء الحفر واجهت سلمان الفارسي صخرة شديدة الصلابة؛ فأخذ الرسول ﷺ المعول من يد سلمان الفارسي وضربها ثلاث ضربات، وفي كل ضربة كان الشرر منها يتطاير فيبين الرسول ﷺ للحاضرين أن رب العالمين أوحى له أن في الضربة الأولى سيفتح الله على معتنقي الإسلام اليمن، وفي الضربة الثانية الشام، والبصرة، والثالثة بلاد المشرق (٢). وخلال الحفر من الحديث الذي دار بين العاملين بحفر الخندق أنه ذكر رجال من المهاجرين بأن سلمان الفارسي منهم، فرد عليهم رجال من الأنصار بأنه منهم بسماح الرسول ﷺ لحديثهم قال: "سلمان منا أهل البيت" (٣) باجتهاد المسلمين في حفر الخندق ولما كان من الضرورة الملحة احتياج بعض المسلمين لقضاء حوائجهم أقدموا على الاستئذان من رسول الله ﷺ على ترك العمل وبعد قضاء حوائجهم يعودون للحفر، وكان من بين العاملين في حفر الخندق شخصيات ابتلوا بالنفاق، وهؤلاء كانوا يفارقون العمل دون علم الرسول ﷺ ومما سبق نزل قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٤) وبتفاني المسلمين في عملهم أكملوا حفر الخندق.

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيتمي ج ٦ ص ١٨٩

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩١

(٣) التقاة لابن حبان ج ١ ص ٢٧٠

(٤) النور آية ٦٢

فرض جيش الأحزاب المحصار

بوصول جيش الأحزاب المدينة المنورة ونيته الإطباق على جيش الإسلام وإفنائته، كان لهم الخندق بالمرصاد. وبدعم تمكنهم من اقتحامه ظلوا معسكرين حوله، فارضين المحصار على جيش الإسلام وأما المسلمون فبمشاهدتهم للقوات المعادية لم يرتعوا لكون حب الجهاد في سبيل الله قد عشعش في قلوبهم.

{وَمَا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} (١)

وأثناء المحصار على رسول الله ﷺ ومعتنقي الإسلام حاول بعض فرسان قريش اقتحام الخندق، كعمرو بن ود، وهذا كان مشهودا له بالشجاعة، والإقدام، وحينها برز إليه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وبالرغم من صغر سن علي وبعد كر وفر تمكن من قتل خصمه. ومع شدة التضيق على محمد ﷺ ومعتنقي الإسلام لم يتوان الرسول ﷺ في شحذ همم أصحابه، مبدئياً لهم أن مع العسر يسراً، وأن النصر مع الصبر، وأن خالقهم سيمكنهم من نشر دينه فكان حالهم كما قال تعالى {وَمَا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} وأما المنافقون فكان حالهم قول خالقهم {وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا} (٢) ووصل الحال ببعض المنافقين إلى الانسحاب من الجيش الإسلامي، العودة إلى منازلهم، مبررين انسحابهم بقولهم: "بيوتنا عورة" وفي حقيقة الحال {ما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا} (٣)

(١) الأحزاب آية ٢٢

(٢) الأحزاب آية ١٢

(٣) الأحزاب آية ١٣

نقض بني قريظة للعهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ

ومع تضيق الحصار على جيش الإسلام، وتحاذل المنافقين كان لحيي بن أخطب النضيري إقناع زعيم بني قريظة كعب بن أسد بنقض العهد الذي بينه وبين رسول الله ﷺ (١)، بوضوئه إلى دار كعب وطلبه الإذن بالدخول أبي أن يفتح له الباب، ومما دار بينهما من نقاش

فناداه حيي: ويحك يا كعب! افتح لي

قال: ويحك يا حيي: إنك امرؤ مشئوم، وإني قد عاهدت محمداً فليست بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلا وفاء، وصدقاً.

قال: ويحك افتح لي أكلمك.

قال: ما أنا بفاعل.

قال: والله إن أغلقت دوني إلا عن جشيتك؛ أن أكل معك منها، فاحفظ الرجل، ففتح له. فقال: ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر، وبيحر طام، جئتك بقريش على قاداتها وساداتها حتى أنزلتهم بمجتمع الآسيال من رومة ويغطفان على قاداتها وساداتها، حتى أنزلتهم بذبب نقمى إلى جانب أحد، قد عاهدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً، ومن معه، فقال له كعب: جئتني والله بذل الدهر، وبجهام، قد هراق ماؤه فهو يبرق ويسرق ليس فيه شيء، ويحك يا حيي! فدعني وما أنا عليه، فأني لم أر من محمد إلا صدقاً، ووفاء. فلم يزل حيي بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً: لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك. فنقض كعب بن أسد عهده، وبتسرب هذا الخبر ووضوئه إلى رسول الله ﷺ كلف

(١) سنن البيهقي الكبرى ج ٩ ص ٢٣٢

سعد بن معاذ للتحقق من صحته، وهذا سرعان ما عاد إلى رسول الله ﷺ مخبراً إياه بصحة نقض بني قريظة للعهد. وتوالي الضربات الموجعة لجيش الإسلام من جراء مواصلة قوات الأحزاب الحصار، وتحاذل المنافقين، ونقض العهد من بني قريظة تلك الظروف العصيبة التي مر بها رسول الله ﷺ وأصحابه أفضت برسول الله ﷺ إلى إبداء رأيه للأنصار بمحاولة عزل غطفان عن جيش الأحزاب؛ مقابل مصالحتهم على ثلث ثمار المدينة. وشاور سعد بن معاذ وسعد بن عباد في هذا الخصوص وباستماع سعد بن معاذ وسعد بن عباد

لمقترح الرسول ﷺ " قالوا: يا رسول الله شيء تحب أن تصنعه، أم شيء أمرك الله به، أو شيء تصنعه لنا؟

قال: بل لكم، رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة

فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم. فقال سعد بن معاذ: قد كنا نحن وهم على الشرك ولا يطمعون أن يأكلوا منا ثمرة إلا قرئى أو بيعاً، فحين أكرمنا الله بالإسلام نعطيهم أموالنا! ما نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم."

فنزل رسول الله ﷺ عند رأيها

بوادر النصر على جيش الإسلام

بمعاناة جيش الإسلام وبلوغ القلوب الحناجر إثر عدوان الأحزاب، واليهود عليهم وإذا ببوادر النصر تلوح للأفق لمتمي الإسلام؛ وذلك من خلال نعيم بن مسعود الغطفاني وهذا اعتنق الإسلام دون علم قومه وكان من أصحاب الرأي وعبر ملاحظته لواقع الجيش الإسلامي واستشعار واجبه في نصرته، قدم على رسول الله ﷺ وأخبره بإسلامه، كما استرشده بكيفية خدمته لجيش الإسلام فقال له ﷺ: "إنما أنت رجل واحد فخذل عنا ما استطعت،

فإنما الحرب خدعة" (١) فخرج إلى بني قريظة وبقدومه رحبوا به، وتجاذب معهم طرفاً من الحديث وأثناء النقاش أبدى لهم تخوفه من تماسك جيش الإسلام، واحتمال فوزه والتالي باحتمال انتصار جيش الإسلام

وانسحاب جيش قريش سيجدون أنفسهم تحت رحمة جيش محمد ﷺ وهنا أبدى لهم أن الصواب أخذهم رهائن من قريش. كي، لا تتركهم قريش، ويصبحوا فريسة لجيش الإسلام فنزلوا عند رأيه (٢)

وبمغادرته لبني قريظة وصل إلى زعماء جيش قريش، وأبدى لهم أن بني قريظة ندموا على نقضهم العهد الذي بينهم

وبين محمد ﷺ، وأنهم اتفقوا مع رسول الله ﷺ على تسليم الرهائن الذين سيحصلون عليهم من قبل قريش وغطفان (٣)

ثم حذرهم من تسليم أي رجل ليهود بني قريظة، وبخروجه من عندهم توجه إلى غطفان وقال لهم نحو ذلك، وهكذا انطلت الحيلة على الجميع، وبثبات جيش الإسلام ومناشدتهم لخالقهم بأن يزيل عنهم الكربة، ودخول الوهن في صفوف جيش عدوهم، وبطول الحصار كانت إرادة الخالق في كسر شوكة هؤلاء عبر تنويع ذاك الوهن، بنزول رياح شديدة في ليلة مظلمة أفضت إلى اقتلاع خيامهم وهنا كان لقادة قريش التخلي عن ميدان المعركة، والعودة بقواتهم إلى مكة المكرمة وبالصباح الباكر وبعد بضعة عشر يوماً من الحصار على محمد ﷺ

(١) زاد المعاد لابن قيم الجوزية ج ص ٢٤١

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ١١١

(٣) زاد المعاد لابن قيم الجوزية ج ص ٢٤١

وأنصاره أنفك الحصار، بانسحاب القوات الباغية وعودتهم إلى ديارهم، وكفى الله المؤمنين القتال.

غزوة بني قريظة ٥/١٠ هـ

تحدثنا أنفاً أن بني قريظة كانت تسكن المدينة المنورة جنباً إلى جنب مع الأوس والخزرج ونتيجة لنقضهم العهد على مسلمي المدينة أثناء غزوة الأحزاب عزم رسول الله ﷺ على حرهم، فعقب انسحاب جيش الأحزاب وعودة الرسول ﷺ وجيشه من جبل سلع إلى عقر ديارهم، أمر أن يؤذن في الناس: "ألا لا يصلين أحد العصر- إلا في بني قريظة" (١) وبهذا النداء امتثل المسلمون لرسولهم ﷺ وبخروجهم صوب بني قريظة

أدركت المسلمين صلاة العصر، فبعض الناس صلاحها في الطريق معتقدين أن قصد الرسول ﷺ من النداء حث المسلمين على استعجال الخروج للحرب، ومنهم من فهم أن النداء ملزم للصلاة في بني قريظة، وبالتالي صلوا هناك، وبعرض الرأيين على رسول الله لم يعب أحداً.

وكان رسول الله ﷺ قد خرج بجيش تعداده ثلاثة آلاف مجاهد، ولوائه بيد علي بن أبي طالب، وهنا سرعان ما وصل خبرهم إلى بني قريظة وهؤلاء فضلوا البقاء في حصونهم والتحصن بها على المواجهة، بوصول رسول الله ﷺ ورجاله فرض عليهم الحصار وإلى خمسة وعشرين ليلة (٢) وقيل خمسة وعشرين يوماً، وخلال الحصار دبّ الوهن في قلوب يهود بني قريظة ومما دار من نقاشهم رأي كعبه بن أسد ومما ورد عنها: "يا معشر يهود قد نزل بكم من

(١) الأحكام الكبرى للإشيلي ج ١ ص ٣٣٥

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ١١٦

الأمر ما ترون، وإني عارض عليكم خلافاً ثلاثاً فخذوا أيها شتمتم قالوا: وما هي؟ قال: نتبع هذا الرجل ونصدقته، فو الله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل، وأنه للذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره قال: فإذا أبيتم علي هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد ﷺ وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد؛ فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه، وإن نظهر فلعمري لنجدن النساء والأبناء قالوا: نقتل هؤلاء المساكين! فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإن أبيتم علي هذه فإن الليلة ليلة السبت وإنه عسى أن يكون محمد ﷺ وأصحابه قد آمنونا فيها فانزلوا لعننا نصيب من محمد ﷺ وأصحابه غرة قالوا: نفسد سبتنا (١) وهؤلاء فضلوا البقاء على ما هم عليه هذا ومع ازدياد معاناة يهود بني قريظة عند ذلك أبدى سعد بن معاذ رضي الله عنه في رغبته بالحكم على بني قريظة فتيمنت اليهود به خيراً لكنه رأى أن يقتل مقاتليهم

وتسبى نساءهم وذراريهم. (٢)

تبرئة اليهودي من السرقة

ذات يوم أقدم طعمة بن أبيرق على سرقة درع جاره قتادة بن النعمان، وبسرقة الدرع وضعه بجراب وكان في الجراب بقايا من الدقيق وبانطلاق طعمة بالدرع صوب منزل اليهودي زيد بن السمين بغية إخفاء الدرع لديه، وأثناء الطريق تساقط الدقيق من ثقب كان على الجراب بلا علم طعمة.

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٩٨

(٢) كنز العمال للمتقي الهندي ج ١٠ ص ٧٣٩

فالتمس صاحب الدرع عند طعمة، فحلف له بعدم أخذه. فاتبعوا آثار الدقيق فوصلوا إلى منزل اليهودي زيد، وهناك وجدوا الدرع، وبتهامه لسرقة الدرع أبدى لهم بأنه لم يسرقه، ولا يعرف بسرقة، وإنما سلمه إياه طعمة كأمانة لديه. وهنا قام طعمة وأقاربه بإنكار ما ذكره اليهودي واتهموه بالسرقة، ولم يكتفوا عند هذا الحد بل ذهبوا إلى رسول الله ﷺ وأبدوا له أن طعمة بريء وأن السارق اليهودي، وناشدوه أن يدافع عن طعمة، ولأن رسول الله ﷺ لا يعلم الغيب ركن إلى حديثهم وهم بالدفاع عن طعمة، ومعاقبة اليهودي، وهنا كانت عناية رب العالمين برسوله ﷺ واليهودي المسكين وذلك بنزول قوله تعالى (وَ لَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا^(١)

{وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا^(٢)

ولمغبة من يرتكب جريمة ويرمي بها بريئاً وإن كان يهودياً ولا يدين بالإسلام قال فيه خالقه {وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا^(٣) وبعدالة الإسلام أدين المسلم المذنب، وحرر اليهودي من التهمة.

(١) النساء آية ١٠٧-١٠٩

(٢) النساء آية ١١٣

(٣) النساء آية ١١٢

تزوج بزينب بنت جحش وأبعاد هذه الزيجة ٥ هـ

أتى محمد ﷺ بن عبد الله بمنهج رباني ينطوي على أوامر ونواهي تكفل إعادة البشر- المنحطين من قبل أبناء جلدتهم إلى الكيفية التي أَرادها لهم خالقهم؛ وذلك من كرامة، وعزة، وريادة. فزيد بن حارثة كما مر بنا آنفاً في ظل نظام الغاب كان عبداً لخديجة بنت خويلد لا حولاً له ولا قوة، وبيعتة الرسول ﷺ واعتناقه لدين الإسلام حرر من العبودية، وأصبح لا يقل شأنًا عن أبناء جلدته من سادات قريش، حينها بل بلغ من حب الرسول ﷺ له أن تبناه وأصبح يعرف بابن رسول الله ﷺ، وبرغبته بالزواج تزوج بزينب بنت جحش، والتي كانت حينها تعد من علية القوم، فأما أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم عمه رسول الله ﷺ، وبزواج زيد العبد المملوك سابقاً بامرأة ذات حسب ونسب في ذلك الزمن أمر لا يعقل، بل يعد ضرباً من الخيال، لكنه الإسلام والذي ألزم معتنقيه باتباع أوامر خالقهم، ومن أوامره صون كرامة الإنسان، وهنا زيد أصبحت كرامته مصانة، ومكانته عالية، فبرغبته بالزواج من زينب ذهب رسول الله ﷺ إلى والدها خاطباً له إياها، وبسماحهم لرسول الله ﷺ وحينها كان حالهم يرغبون زوجاً لا يبتهم من سادات قومهم، أو من أبرز رجال الإسلام، لكن ما وسعهم أن يقولوا والخاطب لزيد رسول الله ﷺ، وأمامهم قول خالقهم { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا } (١)

وامتثل ثلاثتهم -أي والد العروس، وأم العروس، والعروس - لطلب رسول الله ﷺ وزفت زينب إلى زوجها زيد بن حارثة، وبالرغم من ذلك لم يطب الحال لزينب بنت جحش بهذا الزواج، ولعدم الانسجام بين الزوجين وتأجج الخلاف بينهما كثيراً ما اشتكى زيد زوجته

لرسول الله ﷺ، وبعزمه على تطليقها حثه رسول الله ﷺ بعدم تطليقها من قوله له: " اتق الله وأمسك عليك زوجك " (١)

لكن الخلاف بلغ بينها ذروتها، وأوحى الله لنبيه ﷺ بأن مصيرهما سيكون الطلاق، وأن عليه أن يتزوج بها بعد تطليقها، ولئن واقع المسلم

كان امتداداً للعصر الجاهلي في تلك الفترة

يحرّم زواج الوالد بزوجة ابنه بالتبني؛ ورب العالمين يريد لهذه القاعدة أن تزول أمر رسوله محمد بن عبد الله ﷺ بأن يتزوج بزینب بنت جحش، وبهذا الأمر الرباني أصبح رسول الله ﷺ ملزماً بأمر خالقه، لكن الحياء في قلبه قد أخذ مداه، كيف له بمواجهة الناس على كسر هذه العادة التي ألفوها، ومن هنا كثيراً ما تردد عن الإفصاح بأمر خالقه، وهنا نزل فيه قول خالقه {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ} (٢)

لكنه ﷺ أخيراً بطلاق زينب من زيد امثال لأمر خالقه، وتزوج ﷺ من زينب بنت جحش، وهنا أبطل عادة الجاهلية بتحريم زواج الأب لزوجة ابنه بالتبني بعد طلاقها، أو موت زوجها.

قال تعالى {فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا} (٣).

(١) صحيح البخاري ج ٦ ص ٢٦٩٩

(٢) الأحزاب آية ٣٧

(٣) الأحزاب آية ٣٧

اعتناق ثمامة للإسلام ٦/١ هـ

السرية التي انطلقت إلى بطن بني بكر بن كلاب بتمكنها من تحقيق هدفها عادت إلى المدينة المنورة، وبقبضتها سيد بني حنيفة ثمامة بن أثال الحنفي، وهذا قد كان بأمر من مسيلمة الكذاب قد بيت النية على قتل رسول الله ﷺ، بأسره في تلك السرية تم أخذه إلى رسول الله ﷺ وبربطه على سارية من سواري المسجد، بمعاينة الرسول ﷺ لثمامة خاطبه بقوله: " ما ذا عندك يا ثمامة؟

فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكرك، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت.

فتركه رسول الله ﷺ حتى كان الغد ثم قال له: " ما عندك يا ثمامة " (١)؟

فرد عليه بمثل ذلك. وبعد الغد أقبل رسول الله ﷺ على ثمامة

وقال له: ما عندك يا ثمامة؟

فقال: عندي ما قلت لك.

فقال رسول الله: أطلقوا ثمامة (٢).

وهنا ما كان من ثمامة بن أثال الحنفي إلا أن ذهب فاغتسل ثم دخل المسجد، وأشهر إسلامه بقوله: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، كما خاطب رسول الله ﷺ بقوله: والله، ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب

(١) السيرة لابن كثير ج ٤ ص ٩٢

(٢) شرح مشكل الآثار للطحاوي ج ١١ ص ٤٠٣

الوجه إليّ، والله ما كان على وجه الأرض دين أبغض إليّ من دينك، فقد أصبح دينك أحب الأديان إليّ ثم أبدى لرسول الله ﷺ بأنه يريد أن يعتمر فسمح له رسول الله ﷺ بالذهاب.

خصوصيات بيوت رسول الله ﷺ

بتزوج رسول الله ﷺ لأكثر من امرأة ومن ثم تعدد منازلها، وبذلك التعدد ودخول الإسلام رجال فقراء لا حول لهم ولا قوة، ومن هنا كان لهؤلاء المساكين وغيرهم قصد بيوت رسول الله ﷺ وبدخولهم بيوت الرسول ﷺ وبلا استئذان؛ وبحياء الرسول ﷺ في مطالبتهم بالاستئذان جاءتهم توجيهات خالقهم وذلك في عدم دخول بيوت رسولهم ﷺ إلا بعد أن يستأذنوا منه وإذا دخلوا بيوته ﷺ وتناولوا طعامه عليهم أن لا يبقوا في بيوته مستأنسين

بالحديث، إما معه أو مع أزواجه ﷺ { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَتَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خُفِّفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا } (١)

ثم إن رب العالمين وضع ضوابط لنسوة الرسول ﷺ في خصوص من يسمح له بالتردد عليهن وتناول الطعام، وتجادب الحديث، وبكل استئناس ثم رخص لهن في آبائهن، وأبنائهن، وإخوانهن، وبني إخوانهن، وأبناء أخواتهن، وما ملكت أيماهن.

صلح الحديبية ٦/١١ هـ

ابتداءً من السنة الأولى للهجرة النبوية وإلى أواخر السنة السادسة نتيجة لاستبسال الرسول ﷺ ومعتنقي الإسلام في دعوة الناس لاعتناق الإسلام؛ ازداد عدد المسلمين، وأصبحت الدولة الإسلامية في مأمن، ومع نهاية السنة السادسة للهجرة وذات يوم خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد والمسلمون مجتمعون فأخبرهم بأنه ﷺ رأى في نومه: أنه برفقة أصحابه دخل المسجد الحرام آمنين، محلقين رءوسهم، ومقصرين. فاستبشر المسلمون برؤيا رسولهم خيراً، واستعدوا للخروج معه ﷺ، ولما قرر رسول الله ﷺ الذهاب إلى المسجد الحرام خرج بصحبة زوجته أم سلمة من المدينة المنورة في ألف وأربعمائة مسلم متجهاً إلى مكة المكرمة بغية تأدية العمرة (١) ولما وصل رسول الله ﷺ ذي الحليفة أحرم منها، وحتى يبدي لأعداء الإسلام صدق توجهه ساق معه الهدى ولم يحمل من السلاح إلا السيوف في قراها.

موقف قريش من عمرة الرسول ﷺ

بوصول أخبار رسول الله ﷺ وأصحابه إلى قريش لم يطب لهم الحال، واعتبروا دخول المسلمين مكة المكرمة بمثابة العار عليهم (٢)، وبمناقشتهم لهذا الحال أفضت آرائهم إلى منع المسلمين من تأدية العمرة، وتحسباً لدخول رسول الله ﷺ وأصحابه، مكة المكرمة عنوة أرسلوا خالد بن الوليد برفقة مائتي فارس بغية استطلاع أخبار محمد ﷺ وأصحابه هذه التجهيزات وصلت إلى رسول الله ﷺ عبر بشر بن سفيان الخزاعي بقوله: يا رسول الله هذه

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٩٥

(٢) الثقات لابن حبان ج ١ ص ٣١١

قريش قد سمعت بمسيرك، فخرجوا معهم العوذ المطافيل ^(١) قد لبسوا جلود النمرور، وقد نزلوا بذي طوى، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم، قد قدموها إلى كراع الغميم؛ فقال رسول الله ﷺ: "يا ويح قريش، لقد أكلتهم الحرب، ما إذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرین، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش فو الله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة" ^(٢) ثم كان له تغير مسار طريقه فاتجه صوب الطريق التي تفضي إلى الحديبية "وأما قريش كانت قد بعثت بخالد بن الوليد وبرفقة مائة فارس وذلك لمنع محمد ﷺ وأصحابه من دخول مكة المكرمة، وهؤلاء وصلوا إلى كراع الغميم في الطريق الرئيسي التي تفضي إلى مكة، وهناك تربص خالد بن الوليد برسول الله ﷺ وأصحابه وذلك عساهم أن يفتكوا برسول الله ﷺ ومن معه، لكن عناية رب العالمين كانت الحارسة لرسوله وأصحابه، فبوصول أخبارهم إلى رسول الله ﷺ عبر بشر بن سفيان كما ذكرنا آنفاً وهذا كان قد أرسله رسول الله ﷺ ليعرف موقف قريش من زيارة المسلمين لبيت الله مكة المكرمة غير مسار طريقه، وباطلاع قوات استطلاع قريش لعدول النبي عن الطريق المفضية إليهم عادوا إلى مكة مخبرين ساداتها بما حدث، وحينها رأت قريش أن ترسل لرسول الله ﷺ بوفد من خزاعة، وبرئاسة بديل بن ورقاء، فوصل هذا الوفد إلى رسول الله ﷺ وسمع منه ﷺ أن الغرض من القدوم إلى مكة المكرمة ما هو إلا بغية زيارة بيت الله، ثم العودة وبسلام؛ بسماح الوفد لرسول الله ﷺ عادوا إلى قريش وقالوا لهم: يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد إن محمداً لم يأت لقتال؛ وإنما جاء زائراً هذا البيت. بسماح

(١) العوذ: الناقة الحديث التتاج والمطافيل: الإبل مع أولادها

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٣٣٣

قريش للوفد قالوا: وإن كان جاء ولا يريد قتالاً فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبداً ولا تحدث بذلك عنا العرب. ثم قاموا بإرسال مكرز بن حفص بن الأخيف لمفاوضة رسول الله ﷺ بوصول هذا إلى رسول الله ﷺ أخبره بأن غرض الزيارة تعظيم بيت الله الحرام، ثم العودة إلى المدينة المنورة وهذا بسماحه لرسول الله ﷺ عاد إلى قريش وأخبرهم بما دار بينه وبين رسول الله ﷺ لكن قريشا سارعت بإرسال ممثلها الحليس بن علقمة سيد الأحابيش وقبل أن يصل هذا الرجل إلى رسول الله ﷺ ووصول نبأ مقدمه خاطب رسول الله ﷺ أصحابه بقوله: إن هذا من قوم يتألهون، فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه" (١)

بوصوله ومعاينته للإبل المعلمة بالقلائد منتشرة بالوادي، أدرك أن رسول الله ﷺ وأصحابه ما أتوا مكة إلا بغية زيارة بيت الله، وتعظيمه، وحينها ما كان منه إلا أن ألغى مقابلة الرسول ﷺ وعاد إلى مكة المكرمة وأخبرهم بما رأى.

فقالوا له: اجلس إنما أنت أعرابي ولا علم لك. فاشتط غضباً

وخاطبهم بقوله: يا معشر قريش والله ما على هذا حالناكم، ولا على هذا عاقدناكم، أيصد عن بيت الله من جاء معظماً له، والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد.

فقالوا له: مه كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به.

ثم كان لزعماء قريش بعث عروة بن مسعود الثقفي سيد الطائف

وبوصول هذا الرجل إلى رسول الله ﷺ أعرب له عن إصرار قريش على عودته مع أصحابه من حيث أتوا. فلما سمع منه رسول الله ﷺ بين له أنه أتى مع أصحابه بغية تأدية

العمرة، لكن الرجل أبدى للرسول ﷺ أن من الصواب عدم مواجهته لقومه ومما دار بينها: " قوله لرسول الله ﷺ: يا محمد أجمعت أشواب الناس ثم جئت بهم إلى ييظتلك لتفضها بهم، إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمرور يعاهدون الله لا تدخلها عليها عنوة أبداً وأيم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً... أي محمد أريت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك، وإن تكن الأخرى فيإني والله لأرى وجوها، وإني لأرى أشوابا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك (١). ولما انتهى من حديثه رد عليه أبو بكر الصديق بغلظة مبدياً له أن معتني الإسلام سيقدمون أرواحهم فداءً للرسول ﷺ إذا ما حمي الوطيس، ودارت الدائرة عليهم. ويساعه من تصميم الرسول ﷺ وأنصاره من مواصلة سيرهم إلى مكة وتأدية العمرة عاد إلى قريش قائلاً لهم: يا معشر قريش إني قد جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما أريت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه، ولقد أريت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً فروا رأيكم. بسامع سادة قريش لمبعوثهم كان لهم التمسك بمنع رسول الله ﷺ وأصحابه من قدوم مكة المكرمة. وأما رسول الله ﷺ بمعايته لإصرار قريش في صده وأصحابه عن زيارة بيت الله الحرام رأى بأن يرسل لهم من طرفه بسفير لعلهم يوافقون ببلوغهم بيت الله الحرام، فكان لهذه المهمة خراش بن أمية الخزاعي (٢) بوصوله مكة المكرمة أقدم رجال منهم بعقر بعيره ثم هموا بقتله لولا أن حال دون مبتغاهم الأحابيش، وبإخلاء سبيله عاد إلى رسول الله ﷺ وأخبره بما حصل. كما كان لقريش أن أرسلت أربعين رجلاً منهم إلى معسكر رسول الله ﷺ وأوصتهم بأن يقذفوا أصحاب رسول الله ﷺ بالنبل، والحجارة، وهؤلاء بالرغم من مباغتهم لأصحاب

(١) صحيح البخاري ج ٢ ص ٩٧٤

(٢) سيرة بن هشام ج ٢ ص ٣١٣

رسول الله إلا أنه قُبض عليهم، بتسليمهم لرسول الله ﷺ كان له أن عفا عنهم، وأحلى سبيلهم. وبالرغم من ذلك العداوة الموجه تجاه رسول الله ﷺ وأصحابه إلا أن رسول الله رأى بأن يبعث لهم أحد معتنقي الإسلام بغية أن يعدلوا عن عدوانهم، ويسمحوا له ﷺ وأصحابه بدخول مكة فكلم عمر بن الخطاب بأن يقوم بالمهمة فاعتذر له، وباعتذاره اقترح على رسول الله ﷺ بأن يرسل إليهم عثمان بن عفان، فنزل رسول الله ﷺ عند رأيه وبوصول عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى مكة وإخبارهم بما أتى إليه عرضوا عليه أن يطوف بالبيت الحرام، لكنه رفض الطواف إلا بعد أن يطوف رسول الله ﷺ، ورأت قريش أن تحتجز عثمان بن عفان لديها كما أنها احتارت في أمرها فإن سمحت للرسول ﷺ وأصحابه من دخول مكة المكرمة تخشى أن تسقط هيبتها أمام معتنقي الإسلام والقبائل، وإن اختارت المواجهة فرسول الله ﷺ وأصحابه أصبحوا قوة لا يستهان بها وأما رسول الله وأصحابه بتأخر عثمان بن عفان وشيوع الخبر بأن قريش قتلته قال رسول الله ﷺ: " لا نبرح حتى نناجز القوم " (١) ثم دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة فاستجابوا له، وبايعوه على الثبات في مواجهة العدو وعدم الفرار.

وأسميت هذه البيعة ببيعة الرضوان، ولصدق هؤلاء مع ربهم ورسوله قال عنهم خالقهم: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ} (٢) بوصول أخبار البيعة لمسامع قريش أصبح بنظرهم التفاوض هو الحل لكلا الطرفين، لذلك أرسلوا سهيل بن عمير إلى رسول الله ﷺ بوصول وبعد نقاش مطول اتفقا على الصلح والذي يتضمن أربعة بنود الأول: أن لا يعتمر الرسول ﷺ وأصحابه هذا العام على أن تسمح لهم قريش العام المقبل، شرط عدم حمل السلاح إلا السيوف في قرابها، وأن يبقوا في مكة ثلاثة أيام، ثم يغادروها.

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٢٥

(٢) الفتح آية ١٨

الثاني: الهدنة بين الطرفين لعشر سنين.

الثالث: أن لا تلتزم قريش برد من يأتيها من عند محمد ﷺ وبالمقابل يلتزم الرسول ﷺ برد من يأتيه من قبل قريش.

الرابع: من أحب أن يدخل في عقد الرسول ﷺ وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه.

وهنا كلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب بكتابة ما اتفقا عليه.

فقال رسول الله ﷺ لعلي: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم

فقال سهيل معترضاً: لا أعرف هذا ولكن أكتب باسمك اللهم.

فقال رسول الله ﷺ: اكتب باسمك اللهم فكتبها

ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو.

فقال سهيل: لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك.

فقال ﷺ: والله إني لرسول الله ﷺ وإن كذبتُموني، أكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ﷺ سهيل بن عمرو اصطلاحاً على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس، ويكف بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه وإن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه لا أسلال، ولا أغلال، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وإن محمداً يرجع عن مكة عامه فلا يدخلها، وأنه إذا كان عام قابل خرج

أهل مكة فدخلها بأصحابه، فأقام بها ثلاثاً معه سلاح الراكب السيوف في القرب، لا يدخلها غيرها" (١) وباكتمال كتابة الصلح اغتم المسلمون من شروط بنود الوثيقة؛ معتبرياً بمحففة وظالمة في حقهم، وبالرغم من أن ظاهر الوثيقة مححفة بحق المسلمين إلا أن متطلبات تلك الفترة تتطلب من الرسول ﷺ ومعتنقي الإسلام الصبر (٢)، وتقديم المزيد من التضحيات وهنا قبلوها على مضض، ولم يتجرأ أحد على مناقشة الرسول ﷺ بشأنها عدا عمر ابن الخطاب قال لرسول الله ﷺ: "يا رسول الله ألسنا على الحق وهم على الباطل؟

رد عليه ﷺ بقوله: "بلى"

. فقال أليس قتالنا في الجنة وقتلاهم في النار؟

قال ﷺ: "بلى".

قال فعلام نعطي الدنية في ديننا؟

فقال ﷺ: "يا ابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني الله أبداً" (٣).

فانطلق عمر إلى أبي بكر فقال له مثل ما قال لرسول الله ﷺ فرد عليه بقوله: إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبداً وقبل عودة الرسول ﷺ وأنصاره إلى المدينة المنورة إثر فراغهم من الصلح أمرهم الرسول ﷺ أن يلقوا رؤوسهم، وينحروا الهدي فلم يمثثوا لأمره؛ لا عصياناً بل واقع حالهم المتدمر من تمادي قريش في ظلمهم، وبدخول الرسول ﷺ على زوجته أم سلمة

(١) روح المعاني الألويسي ج ٢٦ ص ١١٧

(٢) نيل الأوطار للشوكاني ج ٨ ص ١٣٠

(٣) دلائل النبوة للأصفهاني ج ١ ص ١٢٨

وحديثه ﷺ لها بها آل إليه الناس، قالت: "له يا نبي الله أحب ذلك أخرج ولا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقا فيحلقك"

فخرج ﷺ وبمشاهدة المسلمين لعمل رسولهم ﷺ ما كان منهم إلا أن قاموا واحتلقوا ونحروا.

الرسول يلتزم ببند الصلح

بما أن الإسلام في كل زمان ومكان يوجه معتنقيه إلى مكارم الأخلاق ويلزم معتنقيه بتنفيذ العهود {وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا} (١) وعلى خلفية الصلح الذي تم بين رسول الله ﷺ وممثل قريش حدث أن أقبل على رسول الله ﷺ من مكة المكرمة أبو جندل بن سهيل وهذا نتيجة لاعتناقه الإسلام كان قد قيده أبوه، ومنعه من الهجرة إلى المدينة المنورة فتمكن من الفرار من قريش، واللحاق برسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة، وبوصوله إلى رسول الله ﷺ أصبح رسول الله ﷺ ملزماً بتسليمه إلى والده، ومن ثم إعادته إلى قريش مما يعني ديمومة معانته، دون جرم اقترفه إلا أن يقول ربي الله، هذا وبمشاهدة سهيل لقدم ولده طالب رسول الله ﷺ أن يمثل لما اتفقا عليه، ويسلمه أبا جندل وحين ذاك صاح أبو جندل: "بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أْتَرُدُّونِي إِلَى أَهْلِ الشِّرْكِ فَيَفْتِنُونِي فِي دِينِي فَرَدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِهِ: "يَا أَبَا جَنْدَلٍ اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجًا وَمُخْرَجًا إِنَّا قَدْ عَقَدْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ صُلْحًا فَأَعْطَيْنَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَأَعْطَوْنَا عَلَيْهِ عَهْدًا وَإِنَّا لَنْ نَعْدِرَ بِهِمْ" (٢)

(١) الاسراء آية ٣٤

(٢) مسند أحمد ج ٢١ ص ٢١٩

ومن الفارين بدينهم في هذه الفترة امرأة تدعى أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط بوصولها إلى المدينة وقدم أخويها عمارة والوليد ومطالبة الرسول ﷺ بأن يسلمها لهما احتار الرسول ﷺ في أمرها، خاف أن يفتنوها بدينها، ولأنها امرأة لا حول لها ولا قوة وفيها وفي أمثالها جاءت الأوامر الربانية تنص بعدم إرجاعها إلى الكفار {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مِهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُونَهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ أَلْوَا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (١)

كما سبق وامتثالاً للأمر الرباني لم يسلم رسول الله ﷺ ابنة عقبة لأخويها ولأن الإسلام دين رب العالمين وعدالة رب العالمين مطلقة فمع توجيه رب العالمين لرسوله ﷺ بنقض العهد في ما يخص النساء صوتاً لهن إلا أنه ألزم رسول الله ﷺ والمسلمين في خصوص النساء المتزوجات؛ بأن يختبروا صدق إيمانهن، ثم بعدم تسليمهن لذويهن أن يعيدوا الأموال التي أنفقها أزواجهن أثناء الزواج بهن إليهم. وذات يوم بتمكن أبو بصير عتبة بن أسد الثقفي بالإفلات من قبضة قريش الحديدية ليلحق بمسلمي المدينة المنورة فاراً بدينه من إيذاء قريش وحينها ما كان من قريش إلا أن أرسلت رجلين إلى رسول الله ﷺ يطالبانه بتسليم الرجل وبوصول الرجلين ما كان بوسع الرسول ﷺ إلا تسليم الرجل، فخاطب رسول الله ﷺ بقوله: أتردني إلى الكفار يفتنونني في ديني بعد أن خلصني الله منهم. فقال له رسول الله ﷺ: "اصبر يا أبا بصير واحتسب فإن الله جاعل لك ومن معك من المستضعفين من المؤمنين فرجاً

ومخرجا (١) فامتثل لحديث رسول الله ﷺ وسلم نفسه للرجلين وأثناء الطريق تمكن من قتل أحد الرجلين بينما الآخر فر منه ناجياً بنفسه، وعاد إلى رسول الله ﷺ وأخبره بكيفية نجاته كما أعرب للرسول ﷺ بأن ذمته ﷺ قد برأت منه لكن عدالة الإسلام ولو على حساب أبنائه تجسدت في التزام الرسول بينود الصلح، وبالتالي كان للرسول ﷺ عدم قبول أبي بصير بأن يمكث بالمدينة المنورة فخرج من المدينة واستقر على طريق قوافل قريش المتجهة للشام، وهناك لحق به بعض معتنقي الإسلام الفارين من مكة بدينهم وبعض الأعراب، ونتيجة اضطهاد المسلمين في مكة، وتعذيبهم، ومصادرة أموالهم، ومروراً بتضييق الخناق عليهم عبر الوثيقة التي اضطر الرسول ﷺ أن يوقعها رأى أبو بصير ومن معه أن يثأروا لأنفسهم من قريش عبر مهاجمة قوافلهم التجارية (٢) وبملاحظة قريش للخطر الداهم الذي حل بهم ناشدوا رسول الله ﷺ في إلغاء البند الملزم له ﷺ بتسليم من يأتيه من قريش وأن يقبل إيواء من يأتيه منهم وأما أصحاب رسول الله ﷺ والذين رأوا أنهم في اتفاق صلح الحديبية قد ظلموا ومما أبداه لهم رب العالمين في امكانية دخولهم مكة فاتحين عبر الجهاد قوله تعالى: {هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِجَّهٗ وَلَوْ لَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمُ أَنْ تَطَّوُّوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} (٣) ومما سبق بين رب العالمين للمتذمرين من صلح الحديبية والمتحمسين لقتال مشركي قريش أنهم في حالة أقدموا على مقاتلة قريش بوصولهم إلى مكة واشتباك الطرفين وبلا علم منهم سينزلون ضرباتهم القاتلة في

(١) سنن البيهقي الكبرى ج ٩ ص ٢٢٧

(٢) المغني لابن قدامة المقدسي ج ١٠ ص ٥٠٩

(٣) الفتح آية ٢٥

صفوف مقاتلي قريش، وفي صفوف الكثير من الرجال المعتنقين للإسلام سرًا، وهذا ما لا يرضاه الله ورسوله ﷺ، ولا يرضونه، باطلاع أولئك المتذمرين على ما بينه لهم خالقهم في ما وراء صلح الحديبية زال عنهم ما كان في صدورهم، وازدادوا إيمانًا بالله ورسوله ﷺ

مراسلته للملوك والأمراء

أتاح صلح الحديبية لرسول الله ﷺ والمسلمين التفرغ لنشر الإسلام، وحين إذن كان أمام رسول الله ﷺ الكثير من قبائل عرب شبه الجزيرة العربية معتنقة للوثنية، وأما البلدان المجاورة لها فكانت للديانة النصرانية لها حضور مع تناثر معتنقي اليهودية، والمجوسية، وعباد الكواكب فباتفاق الرسول ﷺ وقريش على المسالمة شرع رسول الله ﷺ بتوسيع دائرة الإسلام عبر الأراضي المتاخمة لشبه الجزيرة العربية، وذلك بإرساله ﷺ الرسائل إلى مختلف زعماء تلك المناطق، يدعوهم ﷺ إلى التخلي عن دياناتهم واعتناق دين رب العالمين دين الإسلام جديرًا ذكره حينها أن معظم الشام وإقليم المغرب العربي كانتا خاضعةً للنفوذ الروماني وأما الأراضي المقابلة لها شرقًا بلاد الرافدين فكانت خاضعة للنفوذ الفارسي، بل وصل نفوذهم إلى اليمن وقبل أن يكتب رسول الله ﷺ الرسائل كان قد أخذ له ﷺ خاتم من فضة، منقوش عليه ثلاثة أسطر السطر، الأول محمد، السطر الثاني رسول، السطر الثالث الله. وهذا أصبح ختم الرسول.

رسالته إلى النجاشي ملك الحبشة

من الرسائل التي بعثها رسول الله ﷺ رسالته إلى الملك النجاشي ملك الحبشة، وهذا الملك كما مر بنا كان قد استضاف ضعفاء المسلمين الذين وفدوا إلى أرضه، وذلك فرارًا بدينهم من أذى سادة قريش بهجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة عاد أربعون من المهاجرين من الحبشة ولحقوا برسول الله ﷺ في المدينة المنورة بينما بقى بقية المهاجرين تحت رعاية ملك الحبشة آمنين بأراضيهم بمراسلة رسول الله ﷺ إلى الملوك والأمراء بغية دعوتهم لاعتناق الإسلام

ذهب برسالته ﷺ إلى ملك الحبشة عمرو بن أمية الضمري، وفحوى الرسالة: "بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد:

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعو إلى الله وحده لا شريك له، والموالاتة على طاعته، وأن تتبعني، وتؤمن بالذي جاءني، فأني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت، فاقبل نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى" (١) ويرى المؤرخون القدامى أن نص رسالة رسول الله ﷺ للنجاشي هي: "بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول الله إلى النجاشي، الأصحح عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى، وأمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبه ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الإسلام، فأني أنا رسوله فأسلم تسلم، {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} فَإِن آبَيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ النَّصَارَى مِنْ قَوْمِكَ" (٢) وباطلاع النجاشي على فحوى رسالة رسول الله ﷺ رد على رسالة رسول الله بقوله "بسم الله الرحمن الرحيم. إلى محمد رسول الله من النجاشي أصحمة، سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته، الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد:

(١) دلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ٣٠٩ هذه الرسالة يرى صحتها بعض المؤرخون المعاصرون

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ١٠٥

فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيها ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت تُفَرُّوقاً، إنه كما قلت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قربنا ابن عمك وأصحابك، فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصداً، وقد بايعتك، وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين.

رسالته إلى المقوقس ملك مصر

وجه رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس أمير مصر- من قبل قيصر- الروم، وكان المقوقس وأقباط مصر على النصرانية بوصول حاطب إلى ملك مصر- والاسكندرية جريح ابن مينا وقبل أن يستلم الملك رسالة رسول الله ﷺ خاطبه حاطب بقوله: إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك ولا يُعتبر بك. قال: هات. قلت: إن لك ديناً لن تدعه إلا لما هو خير منه، وهو الإسلام الكافي بعد ما سواه، إن هذا النبي دعا الناس إلى الله فكان أشدهم عليه قريش، وأعداهم له اليهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، وكل من أدرك نبياً فهو من أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، فأنت ممن أدركت هذا النبي ولسنا ننهك عن دين المسيح.

ثم سلمه رسالة رسول الله ﷺ وبفض الرسالة وجد فيها التالي

" بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتكَ الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط، {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا

وَبَيْنَكُمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا
فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} (١)

بفهمه لفحوى الرسالة خاطب حاطبًا بقوله: إني قد نظرت في أمر هذا النبي، فوجدته لا يأمر بمزهود فيه. ولا ينهي عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكاذب، ووجدت معه آية النبوة بأخراج الخبء والأخبار بالنجوى، وسأنظر.

هذا؛ باطلاعه على رسالة رسول الله ﷺ كبر رسول الله ﷺ في نظره، وللتعبير عن إجلاله لرسول الله ﷺ أرسل له بهدية وجاريتين الأولى مارية الثانية سيرين وباستلام الرسول ﷺ للهدية تزوج بمارية القبطية بينما أهدى سيرين لحسان بن ثابت.

رسالته إلى ملك الفرس

أرسل رسول الله ﷺ رسالته مع عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس، وباطلاع هذا على مضمون الرسالة اشتط غضبًا، ومزق الرسالة. وبوصول خبره إلى رسول الله ﷺ دعا عليه بتمزيق ملكه.

رسالته إلى ملك الروم هرقل

بعث رسول الله ﷺ دحية بن خليفة الكلبي برسالته إلى ملك الروم هرقل، فانطلق دحية برسالة رسول الله ﷺ إلى أن وصل إلى عظيم بصرى فسلمه الرسالة على أن يسلمها لهرقل، وذلك حسب توجيه الرسول ﷺ. وبوصول هذه الرسالة إلى ملك الروم هرقل جاء فيها: "بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع

الهدى، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين (١)
 { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا
 يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } (٢)
 ويتمعنه في محتواها استشعر مضمون ما ورد فيها.

رسالته إلى حاكم البحرين

بعث رسول الله ﷺ رسالة إلى حاكم البحرين مع العلاء بن الحضرمي، وباطلاع المنذر بن
 ساوي على مضمون رسالة رسول الله ﷺ رد برسالة لرسول الله: "أما بعد، يا رسول الله، فإني
 قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه، ودخل فيه، ومنهم من
 كرهه، وبأرضي مجوس ويهود، فأحدث إلى في ذلك أمرك".

بوصول هذه الرسالة إلى رسول الله واطلاعه عليها رد عليه بقوله: "بسم الله الرحمن
 الرحيم. من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوي، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا
 إله إلا هو، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد، فإني أذكرك الله عز وجل، فإنه من ينصح
 فإنما ينصح لنفسه، وإنه من يطيع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح
 لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيراً، وإني قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا
 عليه، وعفوت عن أهل الذنوب، فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلم نغزلك عن عملك" (٣)

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٠١

(٢) آل عمران آية ٦٤

(٣) الاكتفاء بها تضمنه من مغازي رسول الله، سلمان الكلاعي ج ٢ ص ٣١٦

رسالته إلى صاحب اليمامة

أرسل رسول الله ﷺ رسالة إلى هوزة بن علي صاحب اليمامة عبر الصحابي سليط بن عمرو العامري، وبوصول هذه الرسالة لهوزة واطلاعه على فحواها والتي تدعوه إلى اعتناق الإسلام ديننا استحسن رسالة رسول الله ﷺ، وبعد إكرامه لحامل الرسالة كتب لرسول الله "ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أتبعك" ولم تقتصر رسائل رسول الله ﷺ على أولئك الستة بل وصلت إلى الكثير من أمراء العرب، فمنهم من أعجب بمضمون الرسالة مع احتفاظه بدينه، ومنهم من أبدى استعداده للإسلام، ومنهم من ازداد عناداً وتكبراً ككسرى الذي مزق رسالة رسول الله ﷺ، وشر حليل بن عمرو الغساني الذي أمر بقتل رسول رسول الله ﷺ الحارث بن عمر الأزدي.

غزوة خيبر ٧/١ هـ

يهود خيبر سكنوا مدينة خيبر، وهذه مدينة حصونها منيعة، ومزارعها خصبة، تقع شمال المدينة المنورة وكانت حصون خيبر مكونة من ثمانية حصون مبنية بالحجارة وهي:

حصن ناعم. حصن القموص حصن أبي الحقيق. حصن الشق. حصن النظاة. حصن السلام. حصن الوطيح. حصن الكتيبة جدير ذكره أن يهود خيبر كان لهم دوراً أساسياً في تحزيب الأحزاب، ومن ثم توجه جيش الأحزاب صوب المدينة المنورة بغية القضاء على الرسول ﷺ ومعتنقي الإسلام في غزوة الخندق ونتيجة لصلح الحديبية أتيح للمسلمين تأديب يهود خيبر، وبرغبة رسول الله ﷺ الانطلاق إلى خيبر وعلم المنافقين من معتنقي

- يرى الكثير من العلماء أن الرسائل التي كتبها رسول الله ﷺ إلى الملوك والأمراء لم تثبت

بسند صحيح عدا رسالته لهرقل

الإسلام بإمكانية سقوط خيبر ومن ثم الحصول على الغنائم أبدوا لرسول الله ﷺ رغبتهم المشاركة في محاربة يهود خيبر { سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَازِمَ لِتَأْخُذُوا هَا ذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا } (١).

ففي شهر محرم من السنة السابعة من الهجرة خرج رسول الله ﷺ على رأس جيش مكون من ألف وأربعمائة مجاهد بعد أن استعمل على المدينة المنورة سباع بن عرفطة الغفاري (٢) بمسيرة جيش الإسلام إلى قرب حصون خيبر دعا الرسول بقوله: " اللهم رب السموات وما أضلن، ورب الأرضيين وما أقلن، ورب الشياطين وما أظللن، ورب الرياح وما ذرين؛ أسألك خير هذه القرية، وخير أهلها، وأعوذ بك من شرها، ومن شر أهلها، وشر ما فيها" (٣) ثم إن رسول الله ﷺ نزل بجيشه قرب حصن نطاة، وهناك خاطب حُباب بن المنذر رسول الله ﷺ بقوله: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل أنزلكه الله، أم هو الرأي في الحرب؟ قال: " بل هو الرأي "

فقال: يا رسول الله، إن هذا المنزل قريب جدًا من حصن نطاة، وجميع مقاتلي خيبر فيها، وهم يدرون أحوالنا، ونحن لا ندري أحوالهم، وسهامهم تصل إلينا، وسهامنا لا تصل إليهم، ولا نأمن من بياتهم، وأيضا هذا بين النخلات، ومكان غائر، وأرض وخيمة، لو أمرت بمكان خال عن هذه المفاسد نتخذة معسكرًا، وبإعجاب رسول الله ﷺ برأيه قال له: " الرأي ما أشرت " كل هذا يجري ويهود خيبر لا علم لهم. ويتغير موقع جيش الإسلام ومع الصباح

(١) الفتح آية ١٥

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٢٩٨

(٣) المصدر السابق ج ٤ ص ٢٩٩

الباكر وخروج عمال خيبر بمساحيهم ومكاتلهم فوجئوا بجيش الإسلام، فعادوا إلى منازلهم صائحين محمد والخميس (١) مفضلين التحصن بحصونهم على المواجهة، وحين ذاك قال رسول الله ﷺ: "الله أكبر خربت خيبر. إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين" (٢) وفي ذلك الحال برز للعيان مكانة علي بن أبي طالب؛ وذلك عبر إحالة فتح الحصون إليه وقبل شروعه في قتال خيبر قال فيه رسول الله ﷺ: "لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يجب الله ورسوله، ويحب الله ورسوله" (٣) هذه المنزلة العلية تمنها صحابة الرسول، وباتوا يتحدثون أي رجل يحضى بها، وبالصبح الباكر منحت هذه المنزلة العلية لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه. وبتحمس علي للجهد ورغبته في مناجزة يهود خيبر قال له رسول الله ﷺ: "انفذ على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله، لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم" (٤) وكان اليهود كما أوردنا قد فضلوا التحصن بحصونهم على المواجهة. بوصول علي بن أبي طالب إلى حصن ناعم وخروج بطل يهود خيبر المعد بألف فارس مع ذويه من قاطني حصن ناعم دعاهم علي إلى اعتناق الإسلام، إلا إنهم لم يستجيبوا وفضلوا القتال وبرز من صفوفهم الحارث، وكان هذا الرجل شديد البأس، مشهوراً بالشجاعة. فبرز إليه علي بن أبي طالب وبتصادمها سرعان ما سقط الحارث قتيلاً وهنا برز فارس يهود خيبر مرحب وهو يقول:

قد علمت خيبر أنى مرحب

- (١) مسند الشافعي ج ٢ ص ١٧٥
 (٢) صحيح البخاري ج ٢ ص ١٠٩٦
 (٣) صحيح البخاري ج ٤ ص ٧٣
 (٤) مسند احمد بن حنبل ج ٥ ص ٢٣٨

شاكى السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

فرد عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله:

أنا الذي سمتني أمي حيدر

كليث غابات كرية المنظره

أوفيهم بالقاع كيل السندر

وسرعان ما تصادم البطلان، ولتتمكن علي من صرع صاحبه وبتمكنه من قتل صاحبه برز ياسر أخو مرحب بغية الثأر لأخيه، فبرز إليه من جيش الإسلام الزبير بن العوام، وتمكن الزبير من قتل خصمه ثم دارت مواجهات بجوار هذا الحصن " حصن ناعم خسر فيه اليهود بعض رجالهم وأمام استبسال جيش الإسلام سقط هذا الحصن بأيدي المسلمين، وذلك بعد أن فر منه اليهود إلى حصنهم الآخر وظل جيش الإسلام يتابع قتال اليهود والتضييق عليهم في حصونهم حتى تابعت سقوط حصونهم، وفتحت حصونهم عنوة عدا حصن الوطيح، وحصن سلام، فقد مكث جيش الإسلام يحاصرهما لأربعة عشر يومًا؛ ولعدم خروج اليهود عزم رسول الله ﷺ النية بأن ينصب عليهم المنجنيق فلما استشعر زعماء اليهود بأنهم هالكين؛ طلبوا من رسول الله ﷺ الصلح، وذلك بأن يحقن دماءهم، مقابل الخروج من خير وأرضها بذرارهم. ثم كان لليهود خير مطالبة رسول الله ﷺ بالتركهم عليهم وذلك بالبقاء في حصونهم ومنازلهم مقابل أن يعطوه شطرًا من محاصيل زراعتهم (١) فقبل رسول الله الصلح وبهذا الصلح، تم اكتمال فتح خير. وقدم في سبيل ذلك جيش الإسلام ستة عشر شهيدًا. وبالمقابل

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص ٣٣٧

سقط من يهود خيبر أكثر من ثمانين رجلاً. وكان جيش الإسلام في هذا الفتح قد سقطت بيده غنائم عظيمة، ومن تلك الغنائم صحائف اليهود المقدسة، وبالرغم من عداة اليهود وخبثهم تجاه رسول الله ﷺ والمسلمين لم يأمر الرسول ﷺ بإتلاف تلك الصحف. ومن الأسرى الذين وقعوا بأيدي جيش الإسلام صفية بنت حبي بن أخطب، وهذه كانت زوجة لسلام بن مشكم اليهودي، ثم خلفه عليها كنانة بن أبي الحقيق، وبمقتل هذا الأخير في تلك المواجهات وأسر صفية حررها رسول الله ﷺ من رق العبودية، ثم تزوج بها وخلال هذه الغزوة أهدت امرأة سلام بن مشكم زينب بنت الحارث لرسول الله ﷺ شاة مسمومة ويقبول رسول الله ﷺ للهدية ووشك تناوله قطعة اللحم إلا وأعلمه خالقه بأنها مسمومة (١).

وبامتناع رسول الله ﷺ من تناولها إلا أن بشر بن البراء بن معرور كان قد أكل من تلك اللحم وتوفي متأثراً بالسم. وأما رسول الله ﷺ فبعلمه للسم استدعى زينب، وبمسألتها عن جرمها أبدت بأنها تريد أن تمتحنه أهو نبي، أم يدعي النبوة. وبصدق هذه المرأة واعتناقها الإسلام على إثر تأكدها من نبوة رسول الله ﷺ ولأن الإسلام يجب ما قبله تركها رسول الله ﷺ ولم يحاسبها على مقتل صاحبه.

من الوفود القادمة إلى رسول الله

من الوفود القادمة على رسول الله ﷺ :

وفد دوس

باعتناق الطفيل بن عمرو الدوسي للإسلام كان له أن عاد إلى بلده، وظل يرغب قومه في اعتناق الإسلام، لكنهم لم يستجيبوا له، فغادرهم متجهاً إلى رسول الله ﷺ. وبمقابلته شكا

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٤٣٦

قومه إليه، ثم طلب من رسول الله ﷺ أن يدعو عليهم فقال له رسول الله ﷺ: " اللهم أهدى دوسًا " فكانت إرادة رب العالمين أن شرح الله صدرهم للإسلام وحينها قدم وفدهم إلى رسول الله ﷺ المكون من السبعين أو الثمانين رجلاً وقيادة الطفيل بن عمرو الدوسي، وبوصولهم المدينة المنورة ومقابلتهم لرسول الله ﷺ أبدوا له حالمهم وانشرح صدورهم باعترافهم بالإسلام دينًا.

مصالحة يهود فدك لرسول الله

بوصول رسول الله ﷺ وجيشه إلى خيبر كان ﷺ قد أرسل مُحِيصَةَ بن مسعود إلى يهود فدك يدعوهم إلى اعتناق الإسلام، وبوصول مُحِيصَةَ إلى يهود فدك وترغيبهم باعترافهم بدين رب العالمين فضل يهود فدك عدم التسرع بإعطاء الرجل موقفهم؛ وذلك حتى يتبين لهم ما تصل إليها الأمور في خيبر وبتحقيق جيش الإسلام النصر على يهود خيبر ووصول خبر مصالحتهم رسول الله ﷺ على إعطائه شرطًا من منتجات محاصيلهم بتلك التطورات أقبل يهود فدك إلى مصالحة رسول الله ﷺ مقابل إعطائه شرطًا من أموالهم.

حرمة قتل الناطق بالشهادة أثناء القتال

في الشهر التاسع من السنة السابعة للهجرة لكف رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الليثي بقتال بني عُوال، وبني عبد بن ثعلبة بالمَيْقَعَة، وقيل كلفه بالذهاب إلى الحُرَقَات (١) من جُهَيْنَةَ، في مائة وثلاثين رجلاً، وبوصول القوات الإسلامية إلى أعدائهم شنوا عليهم القتال، وخلال المعركة رفع أسامة بن زيد سيفه على يَمِيكَ بن مِرْدَاس قاصدًا قتله لكن هذا الرجل قبل أن يصل سيف أسامة بن زيد عليه أعلن اعتناقه للإسلام، لكن أسامة ظن أنه لم يعلن إسلامه إلا خوفًا من الموت؛ فقام بقتله ثم بانتصار القوات الإسلامية على أعدائهم عادوا إلى

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٣١٦

مقر دولتهم المدينة المنورة وبوصولهم المدينة وإخبارهم رسول الله ﷺ بأحداث المواجهة
وبسماعه ﷺ لأسامة عن قصة الرجل

الذي قتله بعد إشهاره لاعتناق الإسلام

تألم رسول الله لمقتله، وخاطب أسامة

ابن زيد بقوله: " أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟ " (١)

فقال: إنها قالها متعوذاً.

قال: " فهلا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب؟ ".

عمرة القضاء ٧/١١ هـ

نتيجة لصلح الحديبية الذي أبرم بين رسول الله ﷺ وقريش رجع رسول الله ﷺ ومن كان
معه إلى المدينة المنورة وعلى أن يعتمروا في العام القابل، ولفوات تلك العمرة عوض عنها
رسول الله ﷺ وذلك بخروجه بالمسلمين وعلى رأسهم من كانوا معه من أهل الحديبية،
وبلغوا في هذا الخروج ألفين عدا النساء والصبيان، خرج هؤلاء من المدينة المنورة في ذي
القعدة من السنة السابعة للهجرة النبوية قاصدين مكة المكرمة، بغية تأدية العمرة. ولخوف
رسول الله ﷺ وأصحابه من غدر قريش حمل وأنصاره السلاح من سيوف، ودروع، ورماح
وبخروجه ﷺ من المدينة المنورة أحرم للعمرة من ذي الحليفة، وهناك لبي ولبي معه المسلمون
" لبيك اللهم لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك لبيك... " ثم باقترابه من
مكة المكرمة جهز مائتين فارس يبقوا ببطن يأجج؛ وذلك حتى يكونوا صمام أمان لأصحابه
إن أقدمت قريش على الغدر بأصحابه؛ ثم دخل ﷺ مكة المكرمة بسلاح الراكب: السيوف في

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٢٠

أغمادها وأما قريش بوصول رسول الله ﷺ إلى مكة كانوا قد خرجوا إلى الجبل الذي يقع شمال الكعبة (قعيقان) ومنهم من احتشد حول دار الندوة؛ وذلك لمشاهدة المسلمين وحينها كان قد انتشرت شائعات بأن رسول الله ﷺ ومعتنقي الإسلام في يثرب قد أصابهم الأمراض، وأنهم في عسر من أمرهم وأما رسول الله ﷺ وأصحابه بوصولهم إلى بيت الله الحرام اضطلع برداءه وأخرج عضده اليمنى (١) ثم قال " رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة " (٢) ثم استلم الركن وخرج يهول ويهول أصحابه معه، حتى إذا وراه البيت منهم استلم الركن اليماني ومشى حتى استلم الركن الأسود، ثم هروا كذلك ثلاثة أشواط، والمسلمون يطوفون معه، بدخول رسول الله ﷺ مكة المكرمة كان عبد الله بن رواحة برفقته ﷺ وقائدا لزام ناقته، كل ذلك ومشركو قريش يشاهدون رسول الله ﷺ ومعتنقي الإسلام يؤدون مناسك العمرة، ثم بعد ذلك كان لرسول الله ﷺ وأنصاره السعي بين الصفا والمروة، وكان رسول الله ﷺ يسعى وهو راكبًا على راحلته ثم كان له عند المروة قوله: " هذا المنحر، وكل فجاج مكة منحر " ثم نحر هديه، وحلق رأسه، ثم كان له أن أمر مائتي رجل بأن يذهبوا إلى أصحابهم المرابطين ببطن يأجج وبحيث يأتي أولئك لتأدية مناسكهم، ويحلوا محلهم، وبحسب ما اتفق عليه في صلح الحديبية مكث رسول الله ﷺ في مكة ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع أقبل إلى رسول الله ﷺ سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى وقال له: " نشدك العهد إلا ما خرجت من أرضنا " فأغلظ عليها سعد بن عبادة برده، لكن رسول الله ﷺ أسكته وأمر أصحابه بالرحيل عن مكة.

(١) الإضطباع الذي يؤمر به لطائف الكعبة أن يدخل الرداء تحت إبطه الأيمن ويرد طرفه على

يساره وييدي منكبه الأيمن ويغطي الأيسر

(٢) الأمم والملوك الطبري ج ٢ ص ١٤٢

تزوج الرسول بأمر حبيبة بنت أبي سفيان ٧/١١ هـ

أم حبيبة رملة وقيل هند بنت أبي سفيان اعتنقت الإسلام رغماً عن أبيها، وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبد الله بن جحش لكن هذا فارق الإسلام، واعتنق النصرانية بفراقها أرسل الرسول ﷺ في طلب زوجها، وباستجابتها أمهرها نجاشي الحبشة بأربع مائة درهم.

تزوج الرسول بميمونة بنت الحارث ٧/١١ هـ

أثناء توجه رسول الله ﷺ إلى مكة المكرمة بغية تأدية عمرة القضاء تزوج بميمونة بنت الحارث وقد زوجه إياها عمه العباس بن عبد المطلب، وأصدقها عن رسول الله ﷺ أربع مائة درهم وكانت أرملة وبمغادرة رسول الله ﷺ مكة المكرمة ووصوله المدينة المنورة بنى بها كما كان لزوجته رملة بنت أبي سفيان في هذا الشهر ووصولها المدينة قادمة من الحبشة وبوصولها بنى رسول الله ﷺ بها.

الرحمن يؤدب نسوة رسوله

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيْلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا } (١)

اعتناق خالد بن الوليد وعمرو بن العاص للإسلام ٨/٢ هـ

على إثر هزيمة قريش في غزوة الأحزاب كان لعمر بن العاص بن وائل بن هشام بن سعيد تمنعه في مسيرة الإسلام، ومعتنقيه، فوجد دولة الإسلام في تنامي، وبكرهه لاعتناق الإسلام كان خوفه الأكبر أن يأتي اليوم الذي يفتح فيه رسول الله ﷺ مكة المكرمة؛ ومن ثم اعتناق ساكنيها لدين رب العالمين، ومن منطلق تلك التخوفات على إثر هزيمة الأحزاب أفصح عمرو ما بداخله على بعض من الذين يشاطرونه الرأي من رجال قريش، ومما دار بينهم وبحسب ما أبداه عمرو بن العاص: "لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي، ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون والله أني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكرًا وإني قد رأيت أمراً فما ترون فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا، فلن يأتينا منهم إلا خير قالوا: إن هذا الرأي قلت: فاجمعوا لنا ما نهديه له وكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الآدم فجمعنا له آدمًا كثيرًا ثم خرجنا حتى قدمنا عليه (١).

فو الله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية الضمري لو قد دخلت على النجاشي وسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه فإذا فعلت ذلك رأيت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول الله محمد قال: فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع فقال: مرحباً بصديقي أهديت إلي من بلادك شيئاً؟ قال: قلت: نعم أيها الملك قد أهديت إليك آدمًا كثيرًا قال: ثم قربته إليه فأعجبه واشتهاه ثم قلت له: أيها

الملك إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا فأعصيه لأقتله فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا قال: فغضب ثم مديده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه ثم قلت له: أيها الملك والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله! قال: قلت: أيها الملك أكذاك هو؟ قال: ويحك يا عمرو وأطعني واتبعه فإنه والله لعل الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده قال: قلت: فأتباعيني له على الإسلام؟ قال: نعم فبسط يده فبايعته على الإسلام ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه وكتمت أصحابي إسلامي.

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسم وإن الرجل لنبي أذهب والله فأسلم فحتى متى قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم قال: فقدمنا المدينة على رسول الله ﷺ فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ثم دنوت فقلت: يا رسول الله إني أبايعك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ولا أذكر ما تأخر قال: فقال رسول ﷺ: " يا عمرو وبايع فإن الإسلام يجب

ما كان قبله، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها " قال: فبايعته ثم انصرفت. (١)

غزوة مؤتة ٥/ ٨ هـ

مع بعثة رسول الله ﷺ كانت أراضي الشام تحت استعمار الروم، وعندما بعث رسول الله ﷺ كتابه إلى عظيم بصرى بواسطة الحارث بن عمير الأزدي تعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني، وهذا كان عاملاً على أرض البلقاء من أرض الشام من قبل قيصر- الروم، وبمرور

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣١١

حامل الرسالة من أرضه أمر بالقبض عليه، ثم ضرب عنقه، وكان من المتعارف عليه آنذاك أن حاملي الرسائل لهم الأمان، ولا يجوز قتلهم. وبوصول خبر مقتل الحارث إلى رسول الله ﷺ تألم لمقتل صاحبه، وشرع بتجهيز جيش قوامه ثلاثة آلاف مجاهد بغية تأديبه وأمر رسول الله ﷺ عليه زيد ابن حارثة، وأوصى زيد وجيشه بحالة استشهاد زيد يتزعم قيادة الجيش جعفر بن أبي طالب، وإن قتل جعفر يقود الجيش عبدالله بن رواحة، كما أوصاهم بأن يدعوا أعداءهم إلى الإسلام فإن أبو يقاتلوهم.

وباستعداد جيش الإسلام لمغادرة المدينة والتوجه صوب بلاد الشام قال لهم رسول الله ﷺ اغزوا بسم الله في سبيل الله، من كفر بالله لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تقتلوا وليدًا، ولا امرأة، ولا كبيرًا فانيًا ولا منعزلًا بصومعة، ولا تقطعوا نخلاً، ولا شجرة، ولا تهدموا بناءً".

ثم بتحريك جيش الإسلام أخذ عبد الله بن رواحة يقول لكني اسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرع تقذف الزبدا، أو طعنة بيد حران مجهزة بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا حتى يقال إذا مروا على جدتي أرشده الله من غاز وقد رشدا،^(١) وظل جيش الإسلام يواصل سيره إلى أن وصل معان من أرض الشام.

تشاور الجيش الإسلامي

بوصول جيش الإسلام معان وصلتهم الأخبار بأن هرقل قد خرج لهم بجيش تعداده مائة ألف، مع من انضم إليه من لحم، وجذام، وبلقين، وبهراء وأنهم قد نزلوا بمآب من أرض البلقاء. وبساع الجيش الإسلامي لهذه الأخبار احتار في أمره فمن المعتاد أن يقاتل جيشًا يائله في العدد، أو يزيد عنه ضعفين أو ثلاثة، أما أن يصل إلى مائة ألف مقابل ثلاثة آلاف فهذا يدعو إلى الحيرة والارتباك، وهنا أخذوا يتناقشون في ما عساهم أن يفعلوا، فمنهم من رأى أن

(١) الأمم والملوك، الطبري ج ٢ ص ١٤٩

يبقى الجيش في معان وعلى أن يرسلوا لرسول الله ﷺ يخبرونه بعدد قوات عدوهم حتى يتخذ القرار المناسب، سواءً بمدتهم بالرجال أو يأمرهم بما يراه مناسباً. بهذا الرأي أبدى عبد الله بن رواحة لهم رأيه بقوله: "يا قوم والله إن التي تكرون للتي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد، ولا قوة، ولا كثرة ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسينين إما ظهور وإما شهادة" (١) وتداول النقاش بين الشخصيات المجاهدة استقر الرأي على مواجهة أعدائهم رغم فارق العدد

تصادم الجيشين

باتفاق كبار رجال جيش الإسلام على مواصلة السير وقاتل أعدائهم واصل الجيش الإسلامي سفره صوب عدوه، وفي قرية شارف إحدى قرى البلقاء من أرض الشام التقى الجيشان، وبالرغم من الفارق العددي المهول آل جنود الإسلام على أنفسهم إلا مواجهة أعدائهم وإن أفضى بهم الحال إلى الاستشهاد بهذه العزيمة حمل راية الجيش زيد بن حارثة وانكب مع أصحابه صوب قتال قوات الروم، وأخذت الأرواح تزهق، والنفوس تباع في ساحة الوغى بيع السماح، وبالرغم من استبسال القوات الإسلامية وللفارق الكبير في العدد تساقطت قوات الإسلام ما بين قتيل وجريح، وعلى رأس هؤلاء زيد بن حارثة، حب رسول الله ﷺ باستشهاده أخذ الراية جعفر بن أبي طالب، وبقلب لا يلين أخذ يضرب بسيفه أعداءه ضربات موجعة، قاتلة، وأثناءها بترت يده اليمنى؛ فأخذ الراية ببساره فبترت، فتناول الراية بعضديه، وظل حاملاً لها لكنه استشهد، فأخذ الراية عبد الله بن رواحة، وإقدامه على ساحة الوغى وفارق العدد المهول، وتساقط أصحابه أمام عينيه قتلى، وارتباك في ما عساه أن يفعل أخذ يردد أبيات شعرية منها يا نفس إن لم تقتلي تموتي، هذا حمام الموت قد صليت وما تمنيت

(١) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي ج ٢ ص ٤٨١

فقد أعطيت، إن تفعلها فعلها هديت. وظل يقاتل حتى استشهد. بسقوط راية الإسلام من يد الشهيد أخذها رجل من بني عجلان يدعى ثابت ولأن رسول الله ﷺ لم يحدد رجل بعد الثلاثة رجال لقيادة الجيش ومما سبق صاح ذلك الرجل في المجاهدين يا معشر- المسلمين، اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت. قال: ما أنا بفاعل، وهنا سرعان ما أتفق على خالد بن الوليد.

باستلامه للراية أخذ على عاتقه مواجهة أعدائه، والعمل على سحب قوات الدولة الإسلامية حتى لا يهلكوا عن بكرة أبيهم؛ نتيجة لما أوردنا آنفاً فارق العدد المهول، وخلال القتال تحطمت على يد هذا البطل تسعة أسياف ولم يبق في يده إلا سيف يمانى، ونتيجة لبراعة هذا المقاتل وخبرته في القتال تمكن من سحب قواته من بين قوات الروم، لينجوا من بين موت محقق، ومن ثم يكون النصر حليف قوات الروم. وقبل أن تطير أخبار هؤلاء إلى مدينة الرسول ﷺ أوحى الله لرسوله ﷺ بنتائج المعركة فقام في أصحابه وأخبرهم باستشهاد الثلاثة القادة وعيناه تذر فان الدموع، ثم واصل حديثه "حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم" (١)

وفادة رسول فزوة بن عمرو الجذامي لرسول الله ﷺ

كان هذا الرجل من كبار رجال العرب، وكان قائداً للرومان وعامله لهم، على من يليهم من أرض العرب، ونتيجة لرصده الدين الإسلامي ورجاله، أعجب بهم، ثم كان له اعتناق الإسلام ديناً، وهنا أرسل لرسول الله ﷺ رجلاً يخبره باعتناقه للإسلام، هذا التطور لم يعجب الرومان إذ بوصولهم خبر إسلام صاحبهم قاموا بالقبض عليه، ثم خيروه

ما بين التراجع عن اعتناق الإسلام أو قتله؛ وبتمسكه بدين الإسلام نفذوا تهديدهم فقتلوه، ثم صلبوه على ماء يقال له عفراء من أراضي فلسطين.

القائد في حضرة رسول الله

أمر رب العالمين معتنقي الإسلام بأن يتعاملوا مع رسوله محمداً بن عبد الله ﷺ بقوله يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١)

فتح مكة ٨/٩ هـ

سبب الغزوة

صلح الحديبية الذي عقد بين قريش ورسول الله ﷺ من بنوده أنه من يجب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، ومن يجب أن يدخل في عقد رسول الله وعهده دخل فيه، ومن هنا دخل بنو بكر في عقد قريش وعهدهم وبالمقابل كان دخول خزاعة في عقد رسول الله ﷺ وعهده، وبحسب هذا البند أصبح الاعتداء على أي من القبيلتين أي خزاعة وبنو بكر هو اعتداء على الفريقين، مما سبق أصبح صلح الحديبية ملزماً لرسول الله ﷺ وقريش هذا وكان بين بني بكر وخزاعة حروب وعداوات منذ ما قبل ظهور الإسلام، وبدخول الطرفين في إطار قريش والمسلمين، أصبحا آمنين ومتعايشين بسلام، لكن هذا السلام لم يعمر طويلاً إذ أقدم بنو بكر بالاعتداء على بني خزاعة، تماشياً مع تأرهم القديم، وذلك بخروج نوفل ابن معاوية

في جماعة من قومه في شهر شعبان سنة ٨ هـ بإغارتهم ليلاً على بني خزاعة (١) على ماء يقال له الوتير، وباشتباك الطرفين أصابوا من خزاعة الكثير من الرجال ثم إنه بهذه الغارة كان لرجال من قريش المشاركة فيها، فبظلمة الليل وشدة المواجهة أحازوا خزاعة إلى الحرم وبالرغم من حرمة الحرم قال بنو بكر: "يا نوفل إنا قد دخلنا الحرم إلهك إلهك" (٢) فرد بقوله: لا إله اليوم يا بني بكر، أصيبوا نأركم، فلعمري إنكم لتسرقون في الحرم أفلا تصيبون نأركم فيه: وبالرغم من حرمة الحرم، إلا أن بكرًا لم تحترم الحرم، وقاتلت خزاعة، به وقتلت منهم، وبهذا الاعتداء الذي حلّ ببني خزاعة دخلوا مكة ولجؤوا إلى دار بُديل بن ورقاء الخزاعي، كما ذهبوا إلى رجل كان مولى لهم يقال له رافع وتوجه عمرو بن سالم الخزاعي إلى رسول الله ﷺ في المدينة المنورة وبدخوله وجد رسول الله ﷺ جالسا بالمسجد بين أصحابه، فأنشده يقول:

يا رب إني ناشد محمدا ❀❀❀ حلف أبينا وأبيه الأتلدا
 قد كنتم ولدا وكنا والدا ❀❀❀ ثمت أسلمنا فلم تنزع يدا
 فانصر هداك الله نصر- اعتدا ❀❀❀ وادع عباد الله يأتوا مددا
 فيهم رسول الله قد تجردا ❀❀❀ أن سيم خسفا وجهه تربدا
 في فيلق كالبحر يجري مزبدا ❀❀❀ إن قريشا أخلفوك الموعدا
 ونقضوا ميثاقك المؤكدا ❀❀❀ وجعلوا لي في كداء رصدا
 وزعموا أن لست أدعوا أحدا ❀❀❀ وهم أذل وأقل عددا
 هم بيتونا بالوتير هجدا ❀❀❀ وقتلونا ركعا وسجدا

(١) المعرفة والتاريخ، ليعقوب الفسوي ج ١ ص ٣٠٨

(٢) الأمم والملوك الطبري ج ٢ ص ١٥٣

باستماع رسول الله ﷺ لما حل بهم من ظلم؛ أبدى نصرته لخزاعة بقوله: نصرت يا عمرو بن سالم" (١).

معالجة قريش لنقضها الصلح

باطلاع قريش على هذه المستجدات ندمت على ما بدر منها، وأرسلت أبا سفيان إلى رسول الله ﷺ بغية تقديم الاعتذار، وتمديد الهدنة.

وبهذا القصد خرج أبو سفيان من مكة المكرمة متجها صوب المدينة المنورة وبعد سفر مضني وصل المدينة المنورة وقبل أن يلتقي برسول الله ﷺ قصد ابنته أم حبيبة زوجة رسول الله ﷺ وبعد سلامه عليها هم بالجلوس على فراش كان على الأرض؛ وهنا حالت ابنته عن مبتغاه، وذلك بمسارعتها بطي الفراش باستغرابه واستيائه من تصرف ابنته خاطبها بقوله: يا بنية، أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عني؟ ومع إدراك أم حبيبة لقول خالقها {وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا} (٢)

أبدت له أن الفراش خاص برسول الله ﷺ، وأنها تكره أن يجلس عليه طالما أنه يتخذ من الأصنام آلهة وبوصوله إلى رسول الله ﷺ ومخاطبته بشأن ندم قريش على نقضها لصلح الحديبية، ومما سبق بتألم الرسول ﷺ لما حل بحليفه لم يرد عليه شيئاً ثم ذهب إلى أبي بكر فكلمه أن يكلم رسول الله ﷺ، فقال: ما أنا بفاعل. فأثنى عمر بن الخطاب فكلمه، فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول الله؟ فوالله لو لم أجد إلا الدرَّ لجاهدتكم به، ثم جاء فدخل على علي بن أبي طالب، وعنده فاطمة، وحسن غلام يدب بين يديهما، فقال: يا علي، إنك أمس القوم بي رحماً، وإني قد جئت في حاجة، فلا أرجعن كما جئت خائباً، اشفع لي إلى محمد، فقال: ويحك يا

(١) الأمم والملوك الطبري ج ٢ ص ١٥٤

(٢) العنكبوت آية ٨

أبا سفيان، لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه (١). فألتنفت إلى زوجة علي فاطمة الزهراء واستعطفها في والدها أن تكلم رسول الله ﷺ في شأنه؛ لكنها كسابقيها امتنعت عن محادثة الرسول ﷺ وهنا ما كان على أبي سفيان من خيار إلا العودة من حيث أقبل.

جيش الإسلام يتجه صوب مكة

بعودة أبي سفيان إلى مكة خائباً سارع رسول الله ﷺ في إعداد جيش لفتح مكة وذلك في شهر رمضان من السنة الثامنة من هجرته إلى يثرب، وباكتمال تجهيزه ﷺ للجيش وفي يوم الأربعاء العاشر من شهر رمضان المبارك خرج من عاصمة الدولة الإسلامية على رأس عشرة آلاف من المسلمين قاصداً فتح مكة المكرمة، واستخلف على المدينة أبا رُهم الغفاري، وكان خلال إعداده للجيش قد نبه ﷺ على أصحابه بأنه يريد سرّية توجه الجيش وذلك لمباغثة قريش، بخروج الجيش الإسلامي من المدينة المنورة قال رسول الله ﷺ: "اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها" (٢).

وخلال سير جيش الإسلام صوب مكة المكرمة، وبالرغم من تشديد الرسول ﷺ على أصحابه في ديمومة سرية توجههم، أقدم حاطب بن أبي بلتعة على كتابة رسالة تتضمن تحذير قريش من جيش المسلمين القادم إليهم، ولأن إرادة رب العالمين ثم رسوله ﷺ لا يريد معرفة قريش بقدوم جيش المسلمين إليهم؛ جاءت أخبار السماء إلى رسول الله ﷺ بفعل حاطب. وهناك ما كان من رسول الله ﷺ إلا أن قال لعلي بن أبي طالب والزبير والمقداد: "انطلقوا

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٥ ص ٥١

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٣٢٣

حتى تأتوا روضة خاخ فإن فيها ظعينة (١) معها كتاب فخذوه منها (٢) " فانطلاقا الثلاثة وهناك لقوا المرأة، ومن ثم عادوا بالرسالة لرسول الله ﷺ فقال رسول الله: " ما هذا يا حاطب؟ فقال: لا تعجل علي يا رسول الله. والله إني لمؤمن بالله ورسوله، وما ارتددت ولا بدلت، ولكني كنت امرأاً مُلصقاً في قريش؛ لست من أنفسيهم، ولي فيهم أهل وعشيرة وولد، وليس لي فيهم قرابة يحمونهم، وكان من معك له قرابات يحمونهم، فأحببت إذ فاتني ذلك أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي. فقال عمر بن الخطاب: دعني يا رسول الله أضرب عنقه، فإنه قد خان الله ورسوله، وقد نافق لكن رسول الله ﷺ بتأكده من مصداقية قول حاطب ومن منطلق صبره ﷺ على أصحابه، وديمومة جهده في إحياء ضمائرهم، ومن ثم الخوف من الله لا المخلوقين عفا عن جرم حاطب وفي هذا الحدث نزل قول رب العالمين يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ إِنْ يُتَّفَقُوا عَلَيْكُمْ يَتَّفَقُوا عَلَيْكُمْ أَعْدَاءُ وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣)

بوصول جيش الإسلام إلى الجُحفة لقي رسول الله ﷺ عمه العباس بن عبد المطلب وكان قد خرج من مكة المكرمة برفقة أولاده قاصدا المدينة المنورة ليعلن إسلامه على يد رسول الله

(١) ظعينة امرأة

(٢) تاريخ الإسلام، للذهبي ج ٢ ص ٥٢٥

(٣) الممتحنة آية ١

ﷺ فرحب به وواصل جيش الإسلام مع رسول الله ﷺ السفر والجميع صيام لله متحملين عناء السفر والجوع مقابل مرضاة خالقهم، ومن ثم الحصول على النعيم الدائم في الحياة الثانية؛ الحياة الأبدية. وبلوغ جيش الإسلام الأبناء لقي رسول الله ﷺ ابن عمه أبا سفيان بن الحارث، وابن عمته عبد الله بن أبي أمية، وهذان بالرغم من شدة مؤذاتهما لرسول الله ﷺ ولأن الإسلام يجب ما قبله فباعتناقهما الإسلام عفا رسول الله ﷺ عنها ثم واصل جيش الإسلام سيره وإلى منطقة الكُدَيْد، ولأن الإسلام دين يسر وتحمّل جيش الإسلام مشاق السفر وصيام رمضان وهناك أفطر رسول الله ﷺ، وأفطر معه الناس، وقبل وصول جيش الإسلام إلى مشارف مكة المكرمة ولعدم علم قريش بخبره، ونتيجة لتخوف قريش من نتيجة نقضها لصلح الحديبية وتخوفها من ردة فعل الرسول ﷺ وأصحابه كانت قد أرسلت أبا سفيان برفقة بديل بن ورقاء، وحكيم بن حزام يتقصوا خبر الرسول ﷺ وبلوغهم الطائف رأوا نيران عظيمة، وكانت هذه النيران قد أشعلها جيش الإسلام. وبينما أبو سفيان وصاحبيه محتارون في شأن تلك النيران وهناك كان العباس عم رسول الله ﷺ قد خرج وهو راكبا على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، وليكمل العباس ما دار بينهم من نقاش قال العباس: والله إني لأسير عليها - أي على بغلة رسول الله ﷺ - إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء، وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكرياً. قال: يقول بديل: هذه والله خزاعة، حمشتها الحرب، فيقول أبو سفيان: خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها.

قال العباس: فعرفت صوته، فقلت: أبا حَنْظَلَةَ؟

فعرف صوتي، فقال: أبا الفضل؟

قلت: نعم. قال: مالك؟ فذاك أبي وأمي.

قلت: هذا رسول الله ﷺ في الناس، واصباح قريش والله.

قال: فما الحيلة فذاك أبي وأمي؟، قلت: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة، حتى آتي بك رسول الله ﷺ فأستأمنه لك، فركب خلفي، ورجع صاحبه (١)

قال: فجئت به، فكلما مررت به على نار من نيران المسلمين، قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها قالوا: عم رسول الله ﷺ على بغلته. حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال: من هذا؟

وقام إليّ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال: أبو سفيان، عدو الله؟ الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد، ثم خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ، وركضت البغلة فسبقت، فاقتحمت عن البغلة، فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر، فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان فدعني أضرب عنقه، قال: قلت: يا رسول الله، إني قد أجرته، ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه، فقلت: والله لا يناجيه الليلة أحد دوني، فلما أكثر عمر في شأنه قلت: مهلاً يا عمر، فو الله لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت مثل هذا، قال: مهلاً يا عباس، فو الله لإسلامك كان أحب إليّ من إسلام الخطاب، لو أسلم، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: " اذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت فأتني به " (٢)، فذهبت، فلما أصبحت غدوت به إلى رسول الله ﷺ، فلما رآه

قال: " ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟ "

(١) الأمم والملوك الطبري ج ٢ ص ١٥٧

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٣٣١

قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك؟ لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد.

قال: "ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟" (١)، قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك: أما هذه فإن في النفس حتى الآن منها شيء. فخوفه العباس وحين ذاك ما كان لأبي سفيان إلا أن أعتق الإسلام ديناً.

فقال العباس: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً

قال: "نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن" ثم غادر رسول الله ﷺ الظهران بجيشه متوجها صوب مكة المكرمة وكان قد أمر العباس أن يجبس أبا سفيان عند خطم الجبل بمضيق الوادي؛ وذلك بغية مشاهدته للجيش الإسلامي وهو يمر من أمامه وذلك حتى يستشعر بمدى تناميه، وأنه أصبح لا قبل لقريش به وكان رسول الله ﷺ بقديد قد نظم جيشه كالتالي: أعطى لبني غفار راية، ولبني أسلم لواءين، ولبني كعب راية، ولبني جهينة أربعة ألوية، ولزينة ثلاثة ألوية، ولأشجع لواءين، ولجماعة أسلموا من بني بكر لواء. وخلال مرور تلك القبائل على أبي سفيان وهي حاملة راياتها كان له اندهاشه. وأسئلته لمن تكون؟ فكان العباس كل ما مرت قبيلة يسميها له. حتى مر رسول الله ﷺ بكتيبته الخضراء المكونة من المهاجرين والأنصار وبمعرفته بأنها كتيبة رسول الله ﷺ وحين ذاك أدرك بأن الجيش الإسلامي أصبح قوة لا قبل لقريش به ثم خاطب العباس بقوله: والله يا أبا الفضل لقد أصبح مُلكُ ابن أخيك اليوم عظيماً. وكان أثناء مرور القوات الإسلامية وباستشعار سعد بن عبادة للمظالم التي ارتكبتها

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٥ ص ٦٠

قريش في حق رسول الله ﷺ وضعفاء المسلمين وبمشاهدته لأبي سفيان قال سعد: "اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشاً" فلما سمع أبو سفيان تلك الكلمات وبمرور كتيبة رسول الله ﷺ ذكر له ما قاله سعد بن عبادة وباستماع عثمان وعبد الرحمن إلى مقولة سعد قال لرسول الله: "ما نأمن أن يكون له في قريش صولة ولأن الدين الإسلامي دين الرحمة دين عفو بين رسول الله ﷺ لسعد ولكل ناظم على قريش من جراء ظلمهم بأن الإسلام دين عفو وسلام.

جيش الإسلام يدخل مكة

بعد مغادرة رسول الله ﷺ من أمام أبي سفيان

قال العباس لأبي سفيان: "الجا إلى قومك"

فأسرع أبو سفيان متوجها صوب قومه وبدخوله مكة المكرمة صرخ بأعلى صوته يا معشر-

قريش، هذا محمد، قد جاءكم فيما لا قبل لكم به (١)

فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. فقامت إليه زوجته هند بنت عتبة فأخذت بشاربه فقالت: اقتلوا الحميم الدسم الأحمش الساقين، قُبِحَ من طليعة قوم.

قال أبو سفيان: ويلكم، لا تغرنكم هذه من أنفسكم، فإنه قد جاءكم بما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

قالوا: قاتلك الله، وما تغني عنا دارك؟ قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن فتفرق الناس إلى منازلهم وإلى المسجد الحرام ومع ذلك كان لبعض الرجال عزمهم مقاتلة رسول الله ﷺ وكان على رأس هؤلاء عكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية،

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٣٣١

وسهيل بن عمرو ومن هؤلاء إلى جيش الإسلام فقد وصل بهم رسول الله ﷺ إلى ذي طوى ولأن الله مكن فتح مكة لرسوله ﷺ وقواته بكل يسر وبلا قتال؛ حمد رسول الله ﷺ ربه. ودخل مكة متواضعاً، منحي الرأس، وكان في ذي طوى لواؤه ﷺ أبيض ورايته سوداء، ثم إن رسول الرحمة ﷺ بتنظيمه لجيشه وبدخولهم مكة المكرمة أمرهم أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم وهنا أمر الزبير بن العوام مع شطر من الجيش أن يدخل مكة من أعلاها من كداء، وأمر خالد بن الوليد مع رجاله أن يدخل مكة من أسفلها من المُنَجَّبَةِ،^(١) وأمر أبا عبيدة أن يأخذ بطن الوادي مع رجاله، فذهب كل في طريقه، وبمرور خالد بن الوليد بقواته بالخدمة لقي رجالاً من بني بكر ومن بني الحارث بن عبد مناف ومن هذيل وكانت هذيل قد استنصرت بهم قريش، وكان أولئك قد عزموا على قتال جيش الإسلام، وبتناوش الطرفين قتل خالد بعضهم بينما فر الآخرون. ومن الخدمة وصل خالد بن الوليد إلى الصفا، وهناك وافى رسول الله ﷺ وباطلاع رسول الله ﷺ على ما حصل مع خالد بن الوليد قال له: لم قاتلت، وقد نهيتك عن القتال قال: هم بدأونا بالقتال ووضعوا فينا السلاح، وأشعرونا بالنبل، وقد كفت يدي ما استطعت. فقال رسول الله ﷺ: قضاء الله خير. جدير ذكره أن جيش الإسلام أثناء دخوله مكة كان بحسب أوامر رسول الله ﷺ كما أسلفنا كان قد بيت النية أن يكف يده عن رجال قريش وممتلكاتهم، وأن لا يقاتل إلا من يقاتله، وكان ذلك. فمع دخوله مكة تفرق الناس عائدين إلى منازلهم وإلى المسجد الحرام وهم آمنون على أنفسهم وممتلكاتهم، عدا الفئة التي واجهت خالد بن الوليد وبمقتل أولئك من المشركين وخلال هذا الفتح لم يقتل من جيش الإسلام أحد عدا كُرْز بن جابر الفهري، وخُئَيْس بن خالد بن

(١) الأمام والملوك، للطبري ج ٢ ص ١٥٩

ربيعة^(١). وهذان كان قد خرج من صفوف الجيش ليسلكا طريقا غير طريقه فقتلا. وأما الزبير بن العوام فقد وصل الأخير بقواته إلى الحجون وهناك نصب راية رسول الله ﷺ وضرب له قبة، وظل فيها إلى أن جاءه رسول الله ﷺ. وبهذا النصر- المؤزر لقوى الإسلام وصل رسول الله ﷺ برجاله من المهاجرين والأنصار إلى بيت الله الحرام الكعبة المشرفة فاتحين، وهناك بإحاطة رسول الله ﷺ برجاله من المسلمين كان برفقته من أزواجه زوجته أم سلمة وميمونة رضي الله عنهما، وبلوغ رسول الله ﷺ الكعبة المشرفة كان له ﷺ استلام الحجر الأسود، ثم طوافه بالبيت الحرام، وكان طوافه وهو على راحلته وحينها كان حوالي الكعبة المشرفة ثلاثمائة وستون صنمًا، فجعل رسول الله ﷺ يطعننها بيده ﷺ وهو يردد قول خالقه: {جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا} ^(٢)، {جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ} ^(٣) وبعد طواف رسول الله ﷺ بالكعبة المشرفة استدعى عثمان بن طلحة وأخذ منه مفتاح الكعبة، وفتح بابها وجد ﷺ فيها صورة لإبراهيم وصورة لولده إسماعيل عليهما السلام وهما يستقسمان بالأزلام-وبإنكاره لهذه الحالة - قال: "قاتلهم الله والله ما استقسما بها قط" ^(٤) ثم محى ﷺ ما بها من صور، وسلم مفتاح الكعبة لعثمان بن طلحة ودفع السقاية العباس بن عبد المطلب، وبعد طوافه ﷺ حول بيت الله الحرام وصلاته توجه إلى أهل مكة وكانوا قد اصطفوا أمامه منتظرين بما سيعاملهم فخاطبهم ﷺ بقوله: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو مال أو دم فهو

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٣٣٩

(٢) الإسراء آية ٨١

(٣) سبأ آية ٤٩

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٥٥٠

تحت قدمي هاتين، إلا سِدَانَةَ البيت وسِقَايَةَ الحاج، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد - السوط
والعصا - ففيه الدية مغلطة، مائة من الإبل أربعون منها في بطونها أولاد.

يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم،
وآدم من تراب ثم تلا قول خالقهم: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم
شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير} (١).

ثم قال: "يا معشر قريش ما ترون أي فاعل بكم؟" قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم،
قال: "فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: "لَا تَتَّزِبَ عَلَيْكُمُ" اذهبوا فأنتم الطلقاء (٢)
فانصرف الناس وهم آمنون مطمئنون على أجسادهم، وأرواحهم، وممتلكاتهم.

وبدخول وقت الصلاة أمر رسول الله ﷺ بلال أن يصعد الكعبة ويؤذن. فامتثل لأمر
رسول الله ﷺ ومن أعلى الكعبة دوى صوت بلال بالإذان، وبانصراف أهالي مكة وهم آمنون
على أنفسهم وأموالهم ومع اليوم الثاني كان لرسول الله ﷺ كلمته الموجهة ومما ورد فيها
قوله: "أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام بحرمة الله إلى
يوم القيامة، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دمًا، أو يعضد بها شجرة،
فإن أحد ترخص لقتال رسول الله فقولوا إن الله أذن لرسوله ولم يؤذن لكم، وإنما حلت لي
ساعة من نهار وقد حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب" (٣).

(١) الحجرات آية ١٣

(٢) الأمم والملوك ج ١٦١٢

(٣) صحيح البخاري ج ٢ ص ٢١٦

وبهذا النصر المؤزر لجيش الإسلام واستقرار رسول الله ﷺ والمهاجرين في موطنهم تخوف الأنصار من أن يأنس رسول الله ﷺ لأرضه وأهل بلده، ومن ثم لا يرجع معهم إلى المدينة المنورة ومن تخوفهم وصلت الأخبار إلى رسول الله ﷺ فقال لهم: "المحيا محياكم والممات مماتكم" (١)

الرسول يبايع أهل مكة على اعتناق الإسلام

بتحقيق النصر على مشركي مكة دخل الكثير منهم في الإسلام، كما أنه قبل الفتح كان لكثير من الناس اعتناقهم للإسلام لكنهم ظلوا يخفون إسلامهم خوفاً من بطش رجال قريش، ويدخول رسول الله ﷺ بلده منتصراً هبّ هؤلاء في مقابلة الرسول ﷺ وإشهار إسلامهم. واجتمع الناس لمبايعة رسول الله ﷺ، ومن على الصفا بايع الناس رسول الله ﷺ وبفراغه من مبايعة الرجال أتت النساء لمبايعته وبينهن

هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان وكما مر بنا كانت قد أمرت وحشي بأن يقتل عم رسول الله ﷺ حمزة بن عبد المطلب، ولم تكتفي عند قتله بل مثلت بجسده، ولاكت كبده، بتلك الأعمال البشعة ولأن الإسلام يجب ما قبله من أعمال وجرائم جاءت مع النساء المبايعات لرسول الله ﷺ، لكنها تنكرت أمام رسول الله ﷺ، وذلك خوفاً من محاسبتها بمبايعة رسول الله ﷺ لسنة مكة ﷺ خاطبهن بقوله: "أبايعكن على ألا تشركن بالله شيئاً" ومبايعتهن بذلك قال لهن "ولا تسرقن" فقالت هند: إن أبا سفيان رجل شحيح، فإن أنا أصبت من ماله الهنة (٢)؟ فقال

(١) مسند البزار ج ١٨ ص ١٦

(٢) الهنة الشيء البسيط

أبو سفيان: وما أصبت فهو لك حلال، فضحك رسول الله ﷺ وبمعرفة لها خاطبها بقوله: " وإنك لهند؟ " قالت: نعم، فاعف عما سلف يا نبي الله، عفا الله عنك (١).

فقال: " ولا يزنين ". فقالت هند: أو تزني الحرة؟

فقال: " ولا يقتلن أولادهن ".

فقالت: ريبناهم صغاراً، وقتلناهم كباراً، فأنتم وهم أعلم - وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر - فتبسم رسول الله ﷺ.

وقال: " ولا يأتين بيهتان "

فقالت: والله إن البهتان لأمر قبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق.

فقال: " ولا تعصين في معروف " (٢)

فقالت: والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك.

تعامله مع مشركي مكة خلال الفتح

قاطنو مكة كما مر بنا مع الأيام الأولى للإسلام إذ اقوا رسول الله ﷺ وضعفاء معتنقي الإسلام مختلف صنوف العذاب، بل وصل الحال ببعضهم إلى قتل مستضعفي معتنقي الإسلام كسمية، بتلك الجرائم وملاحقتهم لرسول الله ﷺ وأصحابه من المسلمين وبجيوشهم إلى المدينة المنورة ومن ثم خوضهم لحروب أفضت إلى مقتل الكثير من معتنقي الإسلام، من تلك الجرائم المتصاعدة كيف تعامل رسول الله ﷺ مع أولئك وذلك عندما

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج ٦٠٣٣

(٢) تاريخ الإسلام، للذهبي ج ٤ ص ١٩٨

قويت شوكة الإسلام، ودخوله ﷺ مكة، فهل قابل عدوانهم وظلمهم وجورهم بالمثل؟ هل قتل مقاتليهم وسبى ذراريهم ونسائهم؟ إنها عظمة القائد المستمدة من عظمة الإسلام، فمع وشك دخول قواته ﷺ مكة وتفوق جيشه عددًا وعدة على مشر-كي مكة كان لرسول رب العالمين توجيهاته لقادة الجيش وللجنود بأن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم ومقتضى توجيهه بأن لا يأخذوا ممتلكات مشر-كي قريش، ولا يقتلوا مقاتليهم، ولا يأسروا أولادهم، وبناتهم ولا يستعبدوا أسراهم، بل وصل برسول الرحمة الأمر إلى توجيه رسالة سلام لكل مشر-كي مكة وذلك عبر أبي سفيان تلك الرسالة مفادها من دخل داره فهو آمن... الخ هذه هي عدالة وسماحة الإسلام.

محاولة فضالة بن عمير قتل رسول الله ﷺ

بعد أن أكرم الله رسوله ﷺ والمسلمين بدخول مكة فاتحين، وباعتناق أغلبية ساكني مكة المكرمة للإسلام وذات يوم وبينما رسول الله ﷺ يطوف حول بيت الله بيت النية فضالة ابن عمير بن الملوح بقتل رسول الله ﷺ، وبأخبار الله لرسوله ﷺ بنية فضالة وجه رسول الله ﷺ قوله لفضاله: "أفضالة؟"

قال نعم فضالة يا رسول الله

فقال له رسول الله ﷺ وماذا كنت تحدث به نفسك؟

قال لا شيء كنت أذكر الله

فضحك رسول الله منه ثم قال له: "استغفر الله" ثم وضع رسول الله يده على صدره

وقلبه فسكن (١) وحينها أدرك أن الرسول ﷺ محمي من قبل خالقه، فأسلم وحسن إسلامه.

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ٣٥٢

هدم الأصنام

كما تحدثنا آنفاً بدخول جيش الإسلام مكة المكرمة كان على الكعبة ٣٦٠ صنماً، لكل حي من أحياء العرب صنماً، وبدخول رسول الله ﷺ مكة شرع ويده ﷺ في تدمير الأصنام، وبتطهير بيت الله الحرام من الأصنام أمر رسول الله ﷺ بأن تدمر كل الاصنام التي كانت في داخل المنازل، ثم شرع رسول الله ﷺ بتكسير بقية الاصنام التي كانت حول مكة، وكان الناس قد جعلوها بيوتاً يؤتى إليها لتعظيمها، والطواف حولها، ومطالبتها بجلب المصالح، ودفع المظالم عنهم. ومن أبرز الأصنام التي أمر رسول الله ﷺ بتدميرها العزى، وهذا الصنم كان بموقع نخلة وكانت لقريش وجميع بني كنانة، وأما سدنتها فكانوا بني شيبان، هذا الصنم بعث له رسول الله ﷺ خالد بن الوليد، وذلك لخمس ليال بقين من شهر رمضان المبارك، شهر فتح مكة المكرمة. ومن هدم العزى إلى سواع وهذا الصنم كان لهذيل بمنطقة رهاط، ويقع في شمال شرق مكة المكرمة، ولتدمير هذا الصنم كلف رسول الله ﷺ عمرو بن العاص، وبوصول عمرو إليه دمره وهدم منزله وتدمير سواع كلف رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأشهلي بتدمير مناة، وكان بمنطقة المشلل عند قديد للأوس والخزرج وغسان.

ثم إن رسول الله ظل بمكة المكرمة تسعة عشر يوماً يدعو الناس للإسلام، وبين لهم أمور دينهم.

عناية الرحمن بخولة بنت ثعلبة

خولة بنت ثعلبة^(١) كانت زوجة لأوس بن الصامت، وهذا كان رجلاً مسنناً، بينما زوجته كانت تصغره في العمر، وذات يوم حرم زوجته على نفسه، بقوله: أنتِ عليّ كظهر أمي وهذا الظلم الذي حل بخولة كانت عناية خالقها لها بالمرصاد؛ وهنا لندع خولة تحكي ما دار بينها وبين رسول الله ﷺ وما نزل فيها من آيات قرآنية تقول: "كنت عنده، وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه وضجر، قالت: فدخل عليّ يوماً فراجعته في شيء، فغضب وقال: أنتِ عليّ كظهر أمي. ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل عليّ فإذا هو يريدني على نفسي، قالت: فقلت: كلا، والذي نفس خويلة بيده لا تحلّص إليّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا!. قالت: فوائبني وامتنعت منه، فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف، فألقيته عني. قالت: ثم خرجتُ إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثيابها، ثم خرجت حتى جئت رسول الله ﷺ فجلست بين يديه، فذكرت له ما لقيت منه، وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه. قالت: فجعل رسول الله ﷺ يقول: "يا خويلة، ابن عمك شيخ كبير، فاتقي الله فيه"^(٢). قالت: فوالله ما برحت حتى نزل في القرآن، فتغشى رسول الله ﷺ ما كان يتغشاه، ثم سُري عنه فقال: "يا خويلة، قد أنزل الله فيك وفي صاحبك". ثم قرأ عليّ: "قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوَرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِّنْ نِّسَائِهِمْ مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ

(١) يرى بعض أهل العلم أن قوله تعالى {قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها} قد تكون نزلت في غير خولة لكن الشاهد من الآية سواء نزلت في خولة أو في غيرها أن الله لم يترك النساء تحت رحمة الرجال إنما رفع من قدرهن وذلك في الكثير من الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية

(٢) مسند احمد بن حنبل ج ٦ ص ٤١٠

لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَّيَسَّأَ ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَنْ يَتَّيَسَّأَ فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِيُتُومَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١)

قالت: فقال رسول الله ﷺ: " مره فليعتق رقبة ". قالت: فقلت: والله يا رسول الله ما عنده ما يعتق! قال: " فليصم شهرين متتابعين ". قالت: فقلت: والله إنه شيخ كبير، ما به من صيام. قال: " فليطعم ستين مسكيناً وسقاً من تمر ". قالت: فقلت: يا رسول الله، ما ذاك عنده! قالت: فقال رسول الله ﷺ: " فإننا سنعيه بعرق من تمر ". قالت: فقلت: يا رسول الله، وأنا سأعيه بعرق آخر. قال: " فقد أصبت وأحسن، فاذهبي فتصدّقي به عنه، ثم استوصي بابن عمك خيراً " (٢). قالت: ففعلت.

وفد صداء

بعد انصراف رسول الله ﷺ من الجعرانة سنة ٨ هـ كان قد أرسل قوات إسلامية تتكون من أربعائة من المسلمين، وأمرهم أن يصلوا إلى صداء من أرض اليمن، وبينما تلك القوات معسكرة بصدر قنّاة ووصول خبرهم إلى زياد بن الحارث الصدائي، سارع بالتوجه إلى رسول الله ﷺ وبمقابلته أقنع رسول الله ﷺ بأن يأمر بعودة جيشه وبين له أن باستطاعته إقناع قومه باعتراف الإسلام، باستجابة رسول الله ﷺ له عاد إلى قومه ورغبهم باعتراف الإسلام وباستجابتهم له قدم على رسول الله ﷺ وهدم المكون من خمسة عشر رجلاً، وبايعوه على

(١) المجادلة آية ١-٤

(٢) شذرات الذهبية في أخبار من ذهب ج ١ ص ١٩

الإسلام، ثم رجعوا إلى قومهم، فدعوهم وبفضل الله فشا فيهم الإسلام، وحينها كان لهم وفادتهم الثانية إلى رسول الله في مائة رجل في حجة الوداع.

غزوة حنين ٨/١٠ هـ

بتمكن جيش الإسلام من فتح مكة المكرمة لم يطب الحال لقبائل هوازن وثقيف، وبتغلغل الحقد للإسلام ومن اعتنقه في قلوب أولئك رأوا أن يسعوا في محاربة رسول الله ﷺ ومن اعتنق الإسلام ديناً، فبعد خمسة عشر يوماً من فتح مكة أعدت هوازن وثقيف العدة لقتال المسلمين، ورأى مالك بن عوف سيد هوازن أن يرافق جيشهم أموالهم، ونساءهم، وأبناءهم، وذلك حتى يشدوا من أزرهم، ويمنع جنباؤهم من الفرار فانطلق بالجيش حتى وصل أوطاس وهناك باجتماع الناس إليه وفيهم دريد بن الصمة وهذا رجلاً كان قد بلغ به العمر عتياً، لكنه عُرف بأنه فارس مغوار، وصاحب رأي، فمع وصول مالك بن عوف أوطاس قال دريد: بأي واد أنتم؟ قالوا: بأوطاس، قال: نعم مجال الخيل، لا حزنٌ صرسٌ، ولا سهلٌ ديس، مالي أسمع رُعَاء البعير، ونُهاق الحمير، وبُكاء الصبي، ونُعَاء الشاء؟ (١)

قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس نساءهم، وأموالهم، وأبناءهم، فدعا مالكاً وسأله عما حمله على ذلك، فقال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم، فقال: راعي ضأن والله، وهل يرد المنهزم شيء؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضِحَتْ في أهلك ومالك، ثم سأل عن بعض البطون والرؤساء، ثم قال: يا مالك، إنك لم تصنع بتقديم بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئاً، ارفعهم إلى تمتنع بلادهم وعلياء قومهم، ثم ألق الصبابة على متون الخيل، فإن كانت لك لحق بك من وراءك، وإن كانت عليك ألفتك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك.

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٥٧٣

ولكن مالكا - القائد العام - رفض هذا الطلب قائلاً: والله لا أفعل، إنك قد كبرت وكبر عقلك، والله لتطيعني هوازن أو لا تَكِينَنَّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري، وكره أن يكون لدريد فيها ذكر أو رأي، فقالوا: أطعناك. فقال دريد: هذا يوم لم أشهده ولم يُقْتَبِي:

يا ليتني فيها جَدَعٌ ❀❀❀ أَحْبَبُ فِيهَا وَأَصْغُ
أقود وطفاء الرَّمْعِ ❀❀❀ كأنها شاة صَدَعٌ

ثم مع الأيام الأولى من شهر شوال خرج مالك بن عوف لقتال المسلمين، وبوصول خبرهم للرسول ﷺ خرج إليهم في اثني عشر ألفاً من المسلمين، عشرة آلاف من المدينة، وألفين من أهل مكة المكرمة، واستعار رسول الله ﷺ من صفوان بن أمية مئة درع، وكان هذا ما يزال على الشرك، واستعار أيضاً من عند نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وهو ابن عمه ﷺ ٣٠٠٠ رمح، واستعمل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد بن أبي العيص على مكة أميراً وبهذا الجيش الكبير قال أناس "لن نغلب اليوم من قلة" (١)

ثم إن رسول الله ﷺ اتجه بقواته صوب أعدائهم، وبوصول جيش الإسلام إلى منطقة فيها سدرة خضراء كبيرة يقال لها ذات أنواط - وهذه الشجرة كانت مقدسة لدى العرب - فمن وصل إليها يقوم بتعليق أسلحته عليها، ويذبحون حوالها الشاهد بوصول جيش الإسلام إليها خاطب بعض حديثي الإسلام رسول الله ﷺ بقولهم: اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط.

فقال: "الله أكبر، قلتُم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، قال: إنكم قوم تجهلون، إنها السنن، لتركن سنن من كان قبلكم" (١).

وبوصول خبر الرسول ﷺ إلى مالك بن عوف سارع بتهيئة قواته لمواجهة معتنقي الإسلام، وذلك بتوزيعهم إلى كئائب ونشرها في مختلف وادي حنين، وعلى مضيقه. ومع دخول قوات المسلمين وادي حنين انقضت عليهم قوات هوازن، وثقيف، وأنزلوا فيهم ضرباً وقتلاً، وبالرغم من كثرة جيش الإسلام في هذه المعركة وتصور فئات من المسلمين بأنهم لن يهزموا بعد هذا اليوم نتيجة كثرة عددهم سرعان ما كان النصر - حليف أعدائهم، وباختلال توازن القوات الإسلامية وتلقيهم الضربات القاتلة ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، ثم ولوا مدبرين عن مواجهة أعدائهم { وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرْتُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ } (٢)

وفي تلك اللحظات الحاسمة لم يتبق حول رسول الله ﷺ من مقاتلي الإسلام إلا عدد يسير من المهاجرين والأنصار وحين ذاك صرخ الرسول ﷺ في معتنقي الإسلام بقوله: "إلي عباد الله أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب. ثم قال للعباس وكان جهوري الصوت: "ناد يا أصحاب السمرة" (٣) فصاح هذا بأعلى صوته: يا أصحاب السمرة. وبسماح الذين بايعوا رسول الله ﷺ عام الحديبية عند الشجرة لهذا النداء سرعان ما لبوا نداء رسول الله ﷺ وعادوا صوب أعدائهم، ونزلوا فيهم ضرباً وقتلاً، وحينها كان للكثير من مقاتلي الإسلام تماسكهم

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ٥ ص ٢١٨

(٢) التوبة آية ٢٥-٢٦

(٣) صحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٥٢٣

ومن ثم العودة لمقاتلة أعدائهم، وفي ذلك الظرف العصيب أيد رب العالمين رسوله ﷺ ومعتنقي الإسلام بنصره، وذلك بأن قذف في قلوب أعدائهم الرعب والوهن، فولوا على أدبارهم منهزمين، تاركين ورائهم للقوات الإسلامية ذراريهم، ونساءهم، وأموالهم. وتابعت القوات الإسلامية فيهم قتلاً وأسراً وتمكن مالك بن عوف وبعض قواته من الفرار وتوجه بهم إلى الطائف، ومنهم من لاذ بالفرار إلى سهل أوطاس، ونخلة. وبذلك النصر المؤزر برعاية رب العالمين لرسوله ومعتنقي الإسلام أمر رسول الله ﷺ بحمل الغنائم وسبايا الحرب إلى الجعرانة. جديرٌ ذكره أثناء المعركة قيل بأن خالد بن الوليد قتل امرأة ويمعرفة الرسول ﷺ بشأنها قال لبعض رجاله: "أدرك خالداً فقل له إن رسول الله ينهك أن تقتل وليداً، أو امرأة، أو عسيفاً"^(١) وبالرغم من سقوط قتلى وجرحى من الطرفين إلا أن الخسارة الكبرى وقعت في صفوف المشركين، فقد قتل من ثقيف لحلم ما يقارب السبعين رجلاً كما غنم جيش الإسلام الكثير من مال، وسلاح، وإبل. ثم كان لرسول الله أن توجه ﷺ بقواته صوب الطائف لملاحقة فلول المنهزمين، وعلى رأسهم مالك بن عوف وبوصول قوات الرسول ﷺ إلى الطائف بادر أهلها بإغلاق أبوابها، والتحصن بحصونها. فشرع رسول الله ﷺ بمحاصرتها، وباقتراب جيش الإسلام منها رموهم المحصنين بالنبال مما أدى إلى قتل أناس منهم، وهنا أمر رسول الله ﷺ قواته أن تبتعد قليلاً. ثم بفرض الحصار على الطائف ظل لبضعة عشر يوماً وقيل لبضعة وعشرين يوماً. ثم بدى لرسول الله ﷺ أن يفك الحصار عن الطائف.

(١) سنن النسائي الكبرى ج ٥ ص ١٨٦

تقسيمه لغنائم المعركة

كان قد أحر رسول الله ﷺ تقسيم الغنائم، عسى أن يرجع إليه المنهزمون نادمون تائبون راغبون في دخول الإسلام. ولما لم يتحقق هذا شرع رسول الله ﷺ في تقسيمها وكان الراغبين في التقاسم الأنصار من أهل يثرب، والمهاجرين من أهل مكة -والذين ضحوا بأموالهم بل وكل ممتلكاتهم في سبيل نصرته الرسول ﷺ واللحاق به إلى المدينة المنورة- ثم الأعراب والذين كانوا ما زالوا حديثي عهد بالإسلام، ثم أهالي مكة المكرمة، والذين أيضاً ما زالوا حديثي عهد بالإسلام، وهنا رأى رسول الله ﷺ في تقسيمه للغنائم بأن يقدم العطاء ويجزله للذين دخلوا الإسلام في وقت متأخر من دعوته، وعلى رأسهم أهالي قريش وذلك بغية دخول الإسلام قلوبهم، وتحذره فيها وتوزيعه ﷺ للغنائم تدافع الناس صوب رسول الله ﷺ من أهالي مكة ومن غيرهم من الأعراب متسابقين في الحصول على أخذ ما يمكن أخذه وخلال توزيع رسول الله ﷺ لهم الغنائم وشدة تدافعهم عليه اضطره التراجع إلى شجرة، وبانتزاع رداءه خاطبهم بقوله: "أيها الناس ردوا عليّ ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان لكم عندي عدد شجر تهامة نعماً لقسمته عليكم، ثم ما ألفتيموني بخيلاً، ولا جباناً، ولا كذاباً" (١) ثم قام ﷺ إلى جنب بعير فأخذ من سنامه وبرة فجعلها بين أصبعه ثم رفعها فقال: "أيها الناس والله ما لي من فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس والخمس مردود عليكم" (٢) هذا وكان رسول الله ﷺ قد قسم الغنائم لكل حديثي عهد بالإسلام كما ذكرنا، ولم يعط الأنصار شيئاً لأنه أوكلمهم إلى إيثارهم وتضحياتهم، مقابل تألفه أولئك للإسلام. ولأن النفس البشرية تظل قاصرة؛ عبر بعض الأنصار عن ألمهم وذلك لعدم حصولهم على أي شيء من تلك

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٣٣٦

(٢) موطأ مالك ج ٢ ص ٤٥٧

الغنائم، بل البعض وصل بهم الحد إلى أن قالوا: لقي رسول الله ﷺ قومه وبتوجه سعد بن عبادة إلى رسول الله ﷺ وقال له: يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار وجدوا عليك في أنفسهم.

قال: فيما؟ قال: فيما كان من قسمك هذه الغنائم في قومك، وفي سائر العرب، ولم يكن فيهم من ذلك شيء.

قال رسول الله: فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال ما أنا إلا امرؤ من قومي.
فقال له رسول الله: اجمع لي قومك.

وباجتماع القوم خرج إليهم وقام فيهم خطيباً ومما قاله لهم: "يا معشر- الأنصار ألم أتكم ضللاً فهذاكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم.

قالوا: بلى. قال رسول الله: ألا تجيبون يا مشعر الأنصار؟

قالوا: وما نقول يا رسول الله وبمأذا نجيبك.

المن المنُّ لله ورسوله.

قال: والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم جئتنا طريداً فأويناك، وعائلاً فأسيناك، وخائفاً فأمناك، ومخذولاً فنصرناك.

فقالوا المنُّ لله ورسوله فقال: أوجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام، أفلا ترضون يا معشر- الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاة والبعير وتذهبوا برسول الله إلى رحالكم؟!!

فو الذي نفسي بيده لو أن الناس سلكوا شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار.

اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار. (١)

فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم وقالوا: رضينا بالله رباً ورسوله قسماً. ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرق الأنصار.

عودة وفد هوازن

بعد توزيع رسول الله ﷺ لغنائم الحرب أقبل وفد هوازن، والذي يتكون من أربعة عشر رجلاً يتزعمهم زهير بن صرد، وهؤلاء باقتناعهم بترك آلتهم دخلوا الإسلام عن طواعية وقناعة، وبوصولهم إلى رسول الله ﷺ طلبوا منه أن يتكرم عليهم وذلك بإعادة سباياهم. فاستجاب رسول الله ﷺ والمسلمين لهم وسلموا لهم نساءهم وأولادهم.

الرسول يرجع بفواته إلى مكة المكرمة

بمغادرة الجيش الإسلامي للطائف من المجاهدين الذين أصيبوا برماح أعدائهم بتألمهم من الجروح طالبوا رسول الله ﷺ أن يدعو على أعدائهم بالهلاك. فقال رسول الله: "اللهم اهد ثقيفاً" (٢)

وكما أسلفنا بمغادرة رسول الله ﷺ وأنصاره للطائف واتجاهه صوب مكة المكرمة بغية تنظيم أمورها وعلى أن يرحل إلى عاصمة دولته المدينة المنورة بوصوله ﷺ الجعرانة مع أواخر شهر ذي القعدة من السنة الثامنة من هجرته النبوية أهل بها؛ قاصداً دخول مكة بغية تأدية العمرة وبوصول رسول الله ﷺ مكة المكرمة وتنظيمه لحالها عين عليها عتاب بن أسيد ثم انصرف إلى عاصمة دولته المدينة المنورة.

(١) الأمم والملوك ج ٢ ص ١٧٢

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٣٠٣

وفد عذرة ١/٢ هـ

قدم على رسول الله ﷺ وفد عذرة المكون من اثني عشر رجلاً وفيهم حمزة بن النعمان. وبمقابلتهم لرسول الله ﷺ رد متكلمهم حين سئلوا " من القوم؟ بقوله: "نحن بنو عُدْرَةَ، إخوة قُصَيِّ لأمه، نحن الذين عضدوا قصياً، وأزاحوا من بطن مكة خزاعة وبنو بكر، لنا قرابات وأرحام؛ وبإسلامهم رحب بهم رسول الله ﷺ ثم بين لهم أن دين الله سينتشر، ويصل الشام ثم نهاهم عن الكهانة. وبمكوثهم في المدينة بضعة أيام كان لهم العودة إلى منازلهم.

وفد بلوى ١/٢ هـ

بلوى هي حي من قضاة وهؤلاء ترأس عليهم أبو الضيب رويغ بن ثابت البلوي وصلوا إلى المدينة المنورة بغية مقابلة رسول الله ﷺ وإشهار إسلامهم على يده، وبمقابلتهم لرسول الله ﷺ خاطب رسول ﷺ رويغ بن ثابت البلوي بقوله: رويغ. فرد رويغ بقوله: لبيك. فقال له رسول الله ﷺ: من هؤلاء القوم؟ قال قومي.

فقال له رسول الله ﷺ: مرحبا بك وبقومك.

فقال: يا رسول الله قدموا وافدين عليك، مقرين بالإسلام، وهم على من وراءهم من قومهم.

فقال رسول الله ﷺ: "من يرد الله به خيراً يهده للإسلام" (١).

إسلام كعب بن زهير

كعب بن زهير من أشهر شعراء العرب، ولأنه من الشخصيات الموهوبة في الشعر أطلق للسان العنان وذلك في هجاء رسول الله ﷺ، وبمرور السنين وتمكن رسول الله ﷺ من نشر دين رب العالمين، وبانصراف رسول الله ﷺ من الطائف وبهذا التطور خاف كعب بن زهير من احتمال معاقبة رسول الله ﷺ له خاصة ببلوغه نبأ توعد رسول الله به لكن خالقه أراد له الخير وذلك بتهيئة الأجواء لإسلامه. عبر أخيه بجير بن زهير، وهذا باعتناقه للإسلام كتب لأخيه يرغبه في الإسلام، ويحذره من مغبة هجائه لرسول الله ﷺ. ومن هنا كان لكعب بن زهير السفر إلى المدينة المنورة وبوصوله نزل على رجل من بني جهينة، وهذا كان على صلة به وبإبدائه لصديقه رغبته باعتناق الإسلام، كان لصاحبه أن أخذه إلى مجلس رسول الله ﷺ وهناك وضع يده في يده، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه.

فقال: يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟

قال رسول الله: "نعم" (٢).

بسماع كعب لرسول الله ﷺ قال: أنا كعب بن زهير، فوثب عليه رجل من الأنصار يستأذن ضرب عنقه، فقال ﷺ: "دعه عنك، فإنه قد جاء تائباً نازعاً عما كان عليه" (١).

(١) مسند الطيالسي ج ٢ ص ٣١٤

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٤٢٤

وباعتناقه للإسلام كان له أن أنشد قصيدته المشهورة:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
 مَتَيْمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُجْزَ مَكْبُولُ ❀❀❀
 وما سعاد غداة البين إذ عرّضت
 إِلَّا أَعْنُ غَضِيضِ الطَّرْفِ مَكْحُولُ ❀❀❀
 وما تدوم على العهد الذي زعمت
 كَمَا تَلَوْنُ فِي أَتَوَاهِبِهَا الْعُوقُ ❀❀❀
 ولا تمسك بالود الذي زعمت
 إِلَّا كَمَا تَمْسِكُ بِالْوُدِّ الَّذِي زَعَمْتَ ❀❀❀
 كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً
 وَمَا مَوَاعِيدُهُ إِلَّا الْأَبَاطِيلُ ❀❀❀
 نبئت أن رسول الله أوعدني
 وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَبْدُولُ ❀❀❀
 مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ
 قُرْآنَ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلُ ❀❀❀
 لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم
 أُذْنِبَ وَلَوْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلُ ❀❀❀

وببلوغه قوله:

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ❀❀❀ وَصَارُمْ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُوقُ

وباختتام قصيدته وإعجاب رسول الله ﷺ والسامعين بها وهبه رسول الله ﷺ برده.

وصول وفد بني أسد

مع بداية السنة التاسعة من هجرته ﷺ للمدينة النبوية وصل إلى رسول الله ﷺ وفد بني أسد، وهؤلاء كانوا يسكنون شمال شرق الحجاز، هذا الوفد يتكون من عشرة رجال على رأسهم

ضرار بن الأزور، ووابصة بن معبد، وطليحة بن خويلد ^(١) وبوصولهم المدينة المنورة قالوا لرسول الله ﷺ: أتيناك قبل أن ترسل إلينا. فأنزل الله قوله: {يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِلَّا بِمَا مَنَّا بِاللهِ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} ^(٢)

وفد تـجـيـب

باعتناق رجال من أهالي تـجـيـب الإسلام رأوا أن يقدموا على رسول الله ﷺ في المدينة، وبعزمهم على السفر جمعوا الأموال الفائضة عن حاجات فقرائهم بغية أن يهدوها لرسول الله ﷺ، وهنا كان لثلاثة عشر رجلاً منهم مغادرة بلادهم، وبوصولهم إلى رسول الله ﷺ رحب بهم. ^(٣) ودار بينهم نقاش حول الإسلام وما ينبغي عليهم اتباعه فكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً وبانشرح صدور هؤلاء للإسلام أبدوا لرسول الله ﷺ رغبتهم بالعودة إلى ديارهم. بسماح رسول الله ﷺ لهم بالعودة وقبل انصرافهم أتى إلى رسول الله ﷺ غلاماً كانوا خلفوه في رحالهم، فجاء الغلام، وقال: والله ما أعملني من بلادي إلا أن تسأل الله عز وجل أن يغفر لي ويرحمي، وأن يجعل غناي في قلبي، فدعا له ﷺ بذلك.

(١) الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام د. دجواد علي ج ١٨ ص ٤٦٥

(٢) الحجرات آية ١٧

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ج ٥ ص ١٠٨

وفد طيئ

قدم وفد طيئ على رسول الله بالمدينة، وعلى رأسهم زيد الخيل وبمقابلتهم لرسول الله واعتناقهم للإسلام قال رسول الله عن زيد: " ما ذكر لي رجل من العرب بفضل، ثم جاءني إلا رأيتة دون ما يقال فيه، إلا زيد الخيل، فإنه لم يبلغ كل ما فيه " (١)، ثم سماه بزید الخیر.

وفد بني تميم

وفد بني تميم مكون من أكثر من عشرة رجال، وعلى رأسهم عطارد بن حاجب بن زرارة ابن عدس التميمي، ومنهم الأفرع بن حابس، والزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهم، والحتات بن يزيد، ونعيم بن يزيد، وقيس بن الحارث، وقيس بن عاصم هؤلاء بوصولهم المدينة وقربهم من حجرات رسول الله لم يتأدبوا بحضرة رسول الله

إذ صاحوا أن اخرج إلينا يا محمد (٢).

وبتضجر رسول الله من قلة احترامهم، إلا أنه خرج إليهم فقالوا: يا محمد جئناك نفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا. وبنهاية الحوار كان للوفد اعتناق الإسلام.

وفد عبد القيس

هؤلاء بقدمهم على رسول الله قال لهم من القوم؟

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٠٢

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٥ ص ٥١

قالوا: من ربيعة

فقال لهم: "مرحبا بالوفد".

غير خزايا ولا ندامي

قالوا: يا رسول الله: إن بيننا وبينك المشركين من مضر وإنا لا نصل إليك إلا في أشهر

الحرام فحدثنا بجميل (١)

إذا أخذنا به دخلنا الجنة، وندعو إليه من وراءنا.

فقال: امركم بأربع وأنهاكم عن أربع (٢): الإيمان بالله

وهل تدرّون ما الإيمان بالله؟

فقالوا: الله ورسوله أعلم

قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وإن تعطوا

الخمسة من المغنم (٣) ثم كان لهؤلاء إشهار إسلامهم.

وفد بني حنيفة

قدم وفد بني حنيفة على رسول الله ﷺ وفيهم مسيلمة الكذاب، وبالمدينة كان لهم مقابلة

رسول الله ﷺ بينما تأخر عنهم مسيلمة ليحفظ لأصحابه رحالهم. وبمقابلتهم لرسول الله ﷺ

كان لهم الهداية باعترافهم بالإسلام ديناً. وإكرام رسول الله ﷺ لهم أبدوا له أن صاحبهم مسيلمة

(١) المصدر السابق ج ٥ ص ٥٦

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٥ ص ٥٦

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ج ١٨ ص ١٠١

عند رحالهم فأمر له ﷺ بمثل ما أمر به للقوم، ثم كان للوفد عودتهم إلى بلادهم، فلما انتهوا إلى اليمامة، ارتدّ عدوّ الله مسيلمة وتنبأ، وقال: إني أشركت في الأمر معه. وقال للوفد مدلساً عليهم: ألم يقل لكم: "أما إنه ليس بشركم مكاناً؟"

، ما ذاك إلا لما كان يعلم أنّي أشركت في الأمر معه. ثم جعل يسجع لهم السّجعات، مضاهاة للقرآن، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله " - بالنّبوة.

وكتب لرسول الله ﷺ: من مسيلمة رسول الله إلى محمّد رسول الله، فأما بعد؛ فإني أشركت في الأمر معك. وإنّ لنا نصف الأرض ولقريش نصفها، ولكنّ قريشاً قوم لا يعدلون.

فرد عليه رسول الله ﷺ: "من محمّد رسول الله، إلى مسيلمة الكذاب، السّلام على من أتبع الهدى. أما بعد؛ فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين" (١).

من مواقف المنافقين

لم يزل الكثير من المنافقين على حالهم التذمر من الإسلام، ومن رموز معتنقيه، فبعد عودة رسول الله ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة معززاً بنصر رب العالمين ذاك النصر الذي تمّ تحقيقه لم يستسيغه المنافقون من سكان مدينة الرسول ﷺ وما جاورها؛ فقلوبهم رغم سعة الإسلام ظلت منغلقة على حالها، متعلقة بمتاع الحياة الفانية، لا يرون إلا ما يسعدهم، ويزيد من نماء أمواتهم والبعض منهم كل ما شاهد توسع دائرة الإسلام كلما امتعص حاله وفي حالهم

نزلت على رسول الله ﷺ الكثير من الآيات القرآنية (٢)

(١) السيرة لابن هشام ج ٥ ص ٣٠٣

(٢) انظر المصحف الشريف.

اعتناق عدي بن حاتم الطائي للإسلام

يُرسَل رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى ديار طيء، بغية هدم صنمهم الفلَس، وقبل أن تصل سرية علي إلى طيء فر منها عدي بن حاتم الطائي إلى بلاد الشام، وكان حينها على الديانة النصرانية، بوصول علي بن أبي طالب طيء كان له هدم صنمهم الفلَس، ثم عاد إلى المدينة المنورة بابنة الرجل المشهور بالكرم حاتم الطائي، وهذه كانت مسنة، وبلقائها برسول الله ﷺ خاطبته بقولها: يا رسول الله هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن عليّ من الله عليك.

فقال: ومن وافدك؟

قالت: عدي بن حاتم.

قال: الذي فر من الله ورسوله" (١)

ثم ما كان من رسول الله ﷺ إلا أن وجه علي بن أبي طالب بإكرامها، وهذا سارع بكسوتها كما أعطها نفقة تغنيها عن حاجة السؤال والسفر.

وبهذا الكرم كان لابنة حاتم مغادرة المدينة. ولقاء أخيها

في بلاد الشام وهناك عاتبته على فراره دونها،

ثم قالت له: أرى أن تلحق بمحمد سريعاً

فإن كان نبياً كان للسابق فضله، وإن كان ملكاً كنت في عز وأنت أنت" (٢)

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٣٧٨

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ١ ص ٣٤٤

باستماع حاتم لأخته نزل عند مشورتها، فمع مغادرته لبلاد الشام ووصوله المدينة المنورة قابل رسول الله ﷺ ثم عرفه بنفسه، وهنا رحب رسول الله ﷺ بوفادة عدي بن حاتم الطائي وباستضافته إلى منزله الكريم دار بينه وبين ضيفه نقاش مطول، ثم كان لحاتم اعتناقه للإسلام وبذلك أنزله رسول الله ﷺ عند رجل من الأنصار. ويإسلام ابن حاتم وتدبره في كلام رب العالمين وحديث رسوله حسن إسلامه.

غزوة تبوك ٧ / ٩ هـ

ما أن كلف محمد بن عبد الله ﷺ بنشر الإسلام إلا وقد كن للروم تواجد كبير في الكثير من أراضي العرب فمن وقت مبكر تمكن الروم بقوة جيوشهم وغياب العرب كدولة أو دول منظمه من استعمار الكثير من أراضي واسعة من بلدان كل من الشام، ومصر، وبلاد المغرب العربي وبما أن دولة الإسلام في المدينة المنورة بدت تتبلور ويتسع نطاقها من هنا كان للروم تخوفهم الكبير؛ وذلك بأن تكون هذه الدولة النامية على حساب ممالكهم ومصالحهم، من هنا كان لهم رصد كل تحركاتها، ومن ثم العمل على وأدها، ومن تلك التوجهات بلغ رسول الله ﷺ أن الروم مع قبائل عربية كلخم وجزام تجمعوا للمسلمين بغية القضاء عليهم، وأن طلائعهم قد وصلت إلى أرض البلقاء.

اعداده لجيش الإسلام

بوصول أخبار تلك التوجهات العدائية لرسول الله ﷺ ما كان من خيار أمامه ﷺ إلا الاستعداد لمواجهةهم، جدير ذكره أن الأوضاع الاقتصادية حينها لم تكن لصالح دولة الإسلام؛ إذ كان الناس خلال تلك الأيام في عسرة من العيش، إضافة إلى ارتفاع شدة الحرارة، ومع ذلك دعا رسول الله ﷺ معتنقي الإسلام إلى الجهاد، ورجب المسورين في بذل أموالهم في سبيل الله، وفي سبيل مرضاة خالقهم باستجابتهم لرسول الله ﷺ لم ييخلوا في بذل أموالهم، ومهجهم، ومن أولئك عثمان بن عفان فقد أنفق في هذه المعركة ما يقابل ألف درهم، وألف بعير، ومقابل هذا السخاء قال فيه رسول الله ﷺ: " اللهم ارض عن عثمان فيني عنه

راض" (١) ولأن الناس في تلك الأيام كانوا يعانون من جذب الأمطار، ومجاعة، وشدة في الحر تباطأ أناس في تلبية نداء رسول الله بالاستعداد للحرب {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (٢)

وخلال ذلك الظرف العصيب برز المنافقون للعيان وأخذوا يشبطون من عزم الناس للجهاد بقولهم لا تنفروا في الحر {فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ} (٣) ومن الناس من قدم اعتذاره للرسول ﷺ طالباً منه السماح بعدم المشاركة؛ في الحرب كالرجل الذي اعتذار لرسول الله عن المشاركة في الجهاد؛ زاعماً أنه يخشى على نفسه الفتنة من بنات بني الأصفر {وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أئذَنْ لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} (٤)

وبتخاذل المنافقين وأمراض القلوب عن الجهاد، وإعداد عدته، ومع ذلك تسابق أولوا الفضل من معتقي الإسلام في بذل أموالهم لإعداد الجيش، ومن جملة هؤلاء عثمان بن عفان،

(١) السيرة النبوية لابن هاشم ج ٥ ص ١٩٧

(٢) التوبة آية ٣٨-٤١

(٣) التوبة آية ٨١

(٤) التوبة آية ٤٩

وأبو بكر، وعمر بن الخطاب، وآخرون كُثُر وأقبل على رسول الله ﷺ رجال لا يمتلكون نفقات المشاركة في الجهاد لكنهم يرغبون بمشاركة إخوانهم في الجهاد باذلين أرواحهم في سبيل الله رخيصة، وبعرض أنفسهم على رسول الله ﷺ وافتقار رسول الله ﷺ للمال والراحلة قال لهم: " لا أجد ما أحملكم عليه " فانصرفوا بالحالة التي وصفها خالقهم {وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَرْنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ} (١) ومقابل تلك المهمة العالية تجسد موقف عبد الله بن أبي ابن سلول المتخاذل في عسكرته بأصحابه وحلفائه بجوار المدينة كما تخلف عن رسول الله رجال لا يشك في صدق إسلامهم أمثال كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، وأبو خيثمة.

الرسول يتجه بقواته صوب تبوك

بعد إكماله ﷺ لإعداد جيش الإسلام خرج بجيشه من المدينة المنورة في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة النبوية وكانت قواته تقارب الثلاثين ألفاً من معتقي الإسلام، وتوجه بهم صوب الشام جدير ذكره أن أبا ذر الغفاري كانت نفسه قد حدثته بأن يتخلف عن ركب رسول الله ﷺ وبمغادرة رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة متجهين صوب الشام سرعان ما أخذ متاعه ولاحق برسول الله ﷺ، وبقربه من قوات رسول الله ﷺ خاطب رجل رسول الله ﷺ بقوله: يا رسول الله إن رجلاً يمشي على الطريق وحده فقال رسول الله ﷺ كن أبا ذر " وباقترابه قال أناس يا رسول الله إنه هو أبو ذر فقال رسول الله ﷺ: " رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده " (٢) وبمسيرة جيش الإسلام بعدة أيام توجه أبو خيثمة إلى زوجته، وكانتا تعيشان في خيمتين داخل بستان، وبوصوله إليهما وجد أنها هيئت له مكاناً بارداً،

(١) التوبة آية ٩٢

(٢) السيرة لابن هشام ج ٥ ص ٢٠٤

وطعاماً شهياً فقال: "رسول الله في الشمس، والريح، والحر، وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهياً، وامرأة حسناء، في ماله مقيم ما هذا والله بالنصف. ثم قال والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألق برسول الله (١)" وسارع في تجهيز عدته وراحلته وانطلق عازماً للحاق برسول الله، وأما رسول الله ﷺ وأنصاره فخلال مسيرتهم أخذتهم المشقة من شدة الحرارة، ونقص شديد في توفير مياه الشرب والزاد، وللتغلب على العطش الشديد والذي أنك قواهم أخذوا ينحرون إبلهم لينفضوا أكرشها ويشربوا ماءها، وبهذه المشقة واصلوا سيرهم إلى أن بلغوا تبوك وهناك لم يجدوا مقاتلين، فظل فيها رسول الله ﷺ وجيشه بضع عشر- ليلة، كان خلالها رسول الله ﷺ يقصر الصلاة، ويجمع الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء وذلك تخفيفاً لأصحابه وخلال هذه الفترة خطب رسول الله ﷺ في أصحابه بقوله: "أيها الناس، أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الممل ملة إبراهيم، وخير السنن سنن محمد، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأمور عواقبها، وشر الأمور محدثاتها، وأحسن الهدى هدى الأنبياء، وأشرف القتل قتل الشهداء، وأعمى الضلالة بعد الهدى، وخير الأعمال ما نفع، وخير الهدى ما أتبع، وشر العمى عمى القلب، واليد العليا خير من اليد السفلى، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى. وشر المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة يوم القيامة. ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا نزراً، ومنهم من لا يذكر الله إلا هجراً. ومن أعظم الخطايا اللسان الكذوب.

وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله، وخير ما ألقى في القلب اليقين، والارتياح من الكفر. والنياحة من عمل الجاهلية، والغلول من جمر جهنم، والسكر كنّ من النار. والشعر من إبليس... وشر المكاسب كسب الربا، وشر المال أكل مال

اليتيم، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من شقي في بطن أمه، وإنما يصير أحدكم إلى موضوع أربع أذرع والأمر إلى آخره، وملاك العمل خواتمه، وشر الرؤيا رؤيا الكذب، وكل ما هو آت قريب. وسباب المؤمن فسوق، وقتل المؤمن كفر، وأكل لحمه من معصية الله، وحرمة ماله كحرمة دمه. ومن يتأل على الله يكذبه، ومن يعف الله عنه، ومن يكظم الغيظ يأجره الله، ومن يصبر على الرزية يعوّضه الله. ومن يتبع السمعة يسمع الله به ومن يصبر يضاعف الله له، ومن يعص الله يعذّبه. " ثم استغفر الله ثلاثاً (١)

ثم قفل مع أصحابه راجعين إلى مقر دولتهم المدينة المنورة، وذلك بعد مصالحته أيلة وجرباء وأذرح من أراضي الشام.

تعامله مع المخلفين

بعودة جيش الإسلام وقائده محمد بن عبد الله ﷺ إلى مقر دولتهم المدينة المنورة سارع المخلفون بتقديم اعتذاراتهم لرسول الله ﷺ، لتخلفهم عن المشاركة في غزوة تبوك، ولأن غزوة تبوك جاءت في أيام عصبية وذلك لشحة الأمطار، وجفاف المراعي، ومن هنا بفرض الجهاد على معتنقي الإسلام كان لرب العالمين تمييزه لرسول الله ﷺ وللمؤمنين من المخادعين والمنافقين {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} (٢)

وكما ذكرنا آنفاً بالرغم من تلك المشقة سارع رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من التفاني في نشر الإسلام، وتقديم الأرواح، والممتلكات، رخيصة في سبيل الدفاع عن دينهم، مقابل الحصول على مرضاة خالقهم، وذلك في إعداد العدة والتهيئة لمحاربة الروم، ومن أولئك الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه أناس حبسهم العذر عن المساهمة في الجهاد، وذلك

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٥ ص ١٨

(٢) آل عمران ١٧٩

لفقرهم، وعدم امتلاكهم للزاد والراحلة {وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ} كما قال عنهم خالقهم: {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمُرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ} (١)

وهؤلاء لم ينقص أجرهم، بل كتب الله لهم الأجر، وذلك لنيتهم الصادقة ومن نيتهم الصادقة أشاد بهم نبيهم بقوله: "إن أقواما بالمدينة خلفنا ما سلكنا شعبا، ولا واديا إلا وهم معنا فيه، حسبهم العذر" (٢)

وبالمقابل تتصل عن هذه المهمة المنافقون والمخادعون، مع أنهم يمتلكون مقومات الخروج لمحاربة الروم وبتقاعس هؤلاء عن نصره الإسلام والذين لا يعلم عددهم إلا الله وإنما قدروا ببضعة وثمانين رجلاً، من هؤلاء باستقرار رسول الله ﷺ في عاصمة دولته سارعوا إليه بتقديم أعذارهم وأيائهم؛ وذلك بغية أن يرضى عنهم، وبالرغم من حججهم الواهية أخذ رسول الله ﷺ ظاهر أقوالهم، وترك الباطن لخالقهم يحاسبهم كيف ما يشاء، فسأحهم على ما بدر منهم، واستغفر لهم، ومن المتخلفين عن هذه الغزوة والذين يستحقون الذكر ثلاثة رجال، وهم كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، مع أن هؤلاء من الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه إلا أن الإنسان المسلم ليس معصوماً من الأخطاء، وإيأانه قد يزداد، وقد يتناقص، ومن هنا بندم هؤلاء الشديد على ما اقترفوه من تقصير، وتوبتهم إلى بارئهم، أبدى فيهم خالقهم قوله: {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ

(١) التوبة آية ٩١

(٢) صحيح البخاري ج ٤ ص ٣١

وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ
التَّوَّابُ الرَّحِيمُ { (١)

مسجد الضرار

بعودة رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة واستقراره فيها وتحول سواد ساكنيها إلى معتنقي الإسلام، وبتفاني هؤلاء في نصرة الرسول ﷺ ونشر الإسلام لم تخل المدينة المنورة من كثير من الناس الذين اعتنقوا الإسلام ولم يستقر في قلوبهم، ووصم هؤلاء بالمنافقين إضافة إلى أناس اعتنقوا الإسلام في ظاهر الحال بينما قلوبهم مملوءة حقداً للإسلام ومن اعتنقه وهؤلاء ظلوا يتربصون برسول الله ﷺ وأصحابه الدوائر، ومن الأعمال الهادفة إلى ضرب الإسلام لمجتمع النفاق ما أقدموا عليه وذلك بخروج الرسول ﷺ في غزوة تبوك قام أولئك ببناء مسجد قرب مسجد قباء، بغية أن يكون أداة لتفريق جماعة المسلمين، وكلمتهم، وإلحاق الضرر بهم وبعودة رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أتى إليه أناس منهم وسألوه أن يأتي مسجدهم ليصلي فيه، وباركه. ولأن رسول الله ﷺ بشر لا يعلم الغيب ولا يدري بما يدور في الصدور استجاب لرغبتهم، وبهمه الذهاب إلى مسجدهم أوحى إليه خالقه بحقيقة حالهم بقوله: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضَرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلِيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ} (٢)

وبكشف نفاقهم وكيدهم للإسلام ومعتنقيه أمر رسول الله ﷺ مالك ابن الدخشم ومعن بن عدي بن عامر ووحشياً بالذهب إلى مسجد المنافقين وهدمه فأتوه وهدموه، وأما المنافقون

(١) التوبة آية ١١٨

(٢) التوبة آية ١٠٧-١٠٨

الذين بنوه فبفضحهم من قبل خالقهم وكشف باطنهم المتمثل بالكفر بما أتى به محمد ﷺ من إسلام، ومن ثم إلحاق الضرر بالمسلمين عبر إحداث شرخ في شملهم، وكلمتهم، والترصد لهم وبكل ما يسهم في إضعافهم ومن هذا الكشف لم يعلنوا توبتهم، إنما أخذتهم العزة بالإثم، وسارعوا بالحلف لرسول الله ﷺ وللمؤمنين بأن بغيتهم من بناء المسجد الحسنى. ومع ذلك تركهم الرسول ﷺ وليتولى أمورهم ويجازيهم خالقهم على سواد أعمالهم، إذا ما عادوا إليه، وهم عاصين مذنبين.

نقيف تعتنق الإسلام ١/١ هـ

إثر رجوع رسول الله ﷺ من الطائف في شهر ذي القعدة وقبل أن يصل إلى المدينة المنورة تبع أثره عروة بن مسعود الثقفي، وهذا الرجل لرجاحة عقله، وسموا أخلاقه، عناه كفار قريش بقولهم { وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ } هذا الرجل بمعاينته لتوسع دائرة الإسلام واعتناق قريش للإسلام حينذاك اعتنق الإسلام، وفضل أن ينطق بالشهادتين على يد رسول الله ﷺ، لذلك قبل وصول رسول الله ﷺ المدينة قابله عروة ثم أسلم على يديه، وبإسلامه خاطبه رسول الله ﷺ بقوله: "أرجع إلى قومي وأدعوهم إلى الإسلام" ولعلم النبي ﷺ بشدة تمسك قومه بأهتهم الوثنية قال له: "إنهم قاتلوك" فقال: يا رسول الله، إني أحب إليهم من أباكرهم، ثم فقل راجعاً إلى قومه متحمساً بدعوتهم لاعتناق الإسلام، وبالرغم من مكانته الرفيعة بين قومه إلا أنهم سرعان ما أردوه قتيلاً، وذلك بإصابته بإحدى نبالهم لا لجرم اقترفه إلا أن دعاهم للإسلام (١) وبوصول خبره لرسول الله ﷺ قال فيه: "إن مثله في قومه كمثل صاحب يس في قومه إذ دعاهم إلى الخير فقتلوه وبعد مقتله بشهر تشاور قومه فيما بينهم ورأوا أن لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب، لكونهم قد اعتنقوا

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٥٣٧

الإسلام، ورأوا أن من الأفضل لهم أن يرسلوا وفداً إلى رسول الله ﷺ وعلى خلفية رجوع رسول الله ﷺ، من تبوك إلى المدينة المنورة في شهر رمضان أرسلت ثقيف إلى رسول الله ﷺ فدهم برئاسة كنانة بن عبد ياليل وبوصول هؤلاء إلى المدينة المنورة وفي المسجد أحسن رسول الله ﷺ استقبالهم ثم بنى لهم قبة في المسجد (١) وذلك بغية أن يلاحظوا الناس أثناء تأدية صلواتهم، وبحيث يكونون قريين من رسول الله ﷺ، وبمكثهم في المسجد ظل رسول الله ﷺ يدعوهم لاعتناق الإسلام هذا ومن الحوار الذي دار بينهم وبين رسول الله ﷺ قول كنانة لرسول الله: "هل أنت مقاضينا حتى نرجع إلى قومنا؟"

قال: "نعم، إن أنتم أقررتم بالإسلام أقاضيكم، وإلا فلا قضية، ولا صلح بيني وبينكم" (٢) قال: أفرأيت الزنا، فإننا قوم نغترب، ولا بد لنا منه؟

قال رسول الله ﷺ: "هُوَ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: {وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا، إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} (٣)، قالوا: أفرأيت الربا فإنه أموالنا كلها؟

قال: "لكم رؤوس أموالكم إن الله تعالى يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ} (٤).

قالوا: أفرأيت الخمر، فإنه عصير أرضنا لا بد لنا منها؟

(١) دلائل النبوة للبيهقي ج ٥ ص ٣٨٤

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٧٠

(٣) الإسراء آية ٣٢

(٤) البقرة آية ٢٧٨

قال: "إنَّ اللهَ قدَ حرَّمَها، وقرأ: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (١)

ثم باستماع الوفد لتعاليم الإسلام اقتنعوا باعتناقه. وقبل أن يعودوا لقومهم ولعلمهم بتمسك قومهم بمعبودهم اللات طلبوا من رسول الله ﷺ أن يبقيا ثلاث سنين، ولرفض رسول الله ﷺ لطلبهم طالبوه بأن يبقيا لشهر بعد مقدمهم على قومهم، لكن رسول الله ﷺ أبى إلا هدمها. وباستجابتهم لرسول الله ﷺ طلبوا منه أن يعفيهم من هدمها، وبهذا الاتفاق عاد الوفد إلى ديارهم، وقبل وصولهم الديار رأوا أن يكتموا إسلامهم، وأن يبدو لهم أن من النقاش الذي دار بينهم وبين رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ طالبهم بهدم اللات والعزى، والكف عن شرب الخمر، والزنا، والربا، وباستماع القوم لهذه المطالب عظم الحال عليهم، وأبدوا تمسكهم بوثنيتهم، وهنا قال لهم الوفد: "أصلحوا السلاح، وتهيؤوا للقتال، وتعبؤوا له، ورُموا حصنكم" (٢) ثم ما مضى لهم إلا يومين أو ثلاث أيام ولعلمهم بعدم تغلبهم على القوات الإسلامية كلموا الوفد أن يرجع لرسول الله ﷺ ويخبره بموافقتهم على مطالبه وهؤلاء بلقائهم برسول الله ﷺ أخبروه بما توصلوا إليه مع قومهم، ومع عودة هؤلاء أرسل معهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة لهدم اللات (٣) بوصولهم ثقيف وشرعهم بهدم اللات ولكون ثقيف تجهل تعاليم الإسلام صعب الحال عليهم بهدم معبودهم، لكنهم استسلموا للأمر الواقع.

(١) المائة آية ٩٠

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٧١

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٦٧٢

وفد همدان ٩ هـ

اهتم رسول الله ﷺ بنشر الإسلام في أهالي همدان فمع اطلاع رجال من همدان على تعاليم الإسلام أعجبوا بها، ثم كان لهم أن اعتنقوا الإسلام ديناً، وهؤلاء بعد رجوع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك قدموا على رسول الله، وأشهروا إسلامهم، فأكرم رسول الله ﷺ وفادتهم ثم أمر عليهم مالك بن النمط -أي أمره على من أسلم من قومه- وكان رسول الله ﷺ قد بعث خالد بن الوليد إلى اليمن بغية أن يرغبهم في اعتناق الإسلام ديناً، وبالرغم من اجتهاد خالد في ترغيبهم باعتناق الإسلام وخلال ستة أشهر لم يستجيبوا له، لكن الكثير منهم وإن لم يعتنق الإسلام إلا أنهم كانوا معجبين بتعاليمه لذلك بعودة خالد بن الوليد، وتكليف علي بن أبي طالب بالتوجه إلى همدان ﷺ بغية ترغيبهم في اعتناق الإسلام، ما أن وصل إلى همدان وقراءته لهم لرسالة رسول الله ﷺ إلا وأسلموا جميعاً، وهنا سارع علي بن أبي طالب ببعث رسالة لرسول الله يبيّنه بإسلامهم، وبوصول الرسالة لرسول الله وقراءته لها إلا وخر ساجداً لله، ثم رفع رأسه

فقال: "السلام على همدان، السلام على همدان" (١).

وفد بني فزارة

برصد بني فزارة لتعاليم الإسلام، وتنامي دولة الإسلام، كان لهم الإعجاب بالإسلام، ومن ثم اعتناقه، وبعثناهم لهذا الدين الجديد رأوا أن يذهبوا إلى رسول الله ﷺ ويشهروا إسلامهم أمامه بوصولهم ومقابلتهم لرسول الله ﷺ وذلك خلال السنة التاسعة من هجرته المباركة أشهروا إسلامهم أمامه، وشكوا له ما حل ببلادهم من قحط، وانقطاع الأمطار فصعد رسول الله ﷺ المنبر، ورفع يديه وقال: "اللهم اسق بلادك وبهائمك، وانشر رحمتك،

(١) الأمام والملوك للطبري ج ٢ ص ١٩٧

وأخي بلدك الميت، اللهم اسقنا عَيْثاً مُغِيثاً، مَرِيئاً مَرِيْعاً، طَبَقاً واسعاً، عاجلاً غير آجل، نافعاً غير ضار، اللهم سقيا رحمة، لا سقيا عذاب، ولا هَدْماً ولا عَرَقَ ولا مَحَقَ، اللهم اسقنا الغيث، وانصرنا على الأعداء" (١).

وفد رسل ملوك حمير

قدم على رسول الله ﷺ وفد ملوك حمير، وهذا الوفد مكون من الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال، والنعمان قيل ذي رعين، ومعافر، وهمدان. وبيلوغ هؤلاء المدينة ومقابلتهم لرسول الله ﷺ رحب بهم، وأكرم وفادتهم.

وكان هؤلاء الرجال بمقابلتهم لرسول الله ﷺ قد بشروه باعتناق قومهم للإسلام

حج أبي بكر بالناس وعلي يقرأ براءة على المشركين ٩/١٢/١١ هـ

في هذا العام كلف رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق بأن يحج بالمسلمين، فخرج أبو بكر في شهر ذي القعدة من السنة التاسعة للهجرة بعدد كبير من المسلمين، ومعه الهدي، قاصداً مكة المكرمة بغية تأدية الحج، وينزل سورة براءة على رسول الله ﷺ استدعى علي بن أبي طالب وبتعليمه ﷺ لعلي بن أبي طالب لما نزل عليه ﷺ من تعاليم ربانية في هذه السورة أمره بأن يلحق بأبي بكر الصديق، وبمكة المكرمة يبلغ المشركين ما نزل بحقهم فخرج علي بن أبي طالب راكباً على ناقه رسول الله ﷺ العضباء، وعند منطقة ذي الحليفة أدرك أبو بكر الصديق فقال أبو بكر أستعملك رسول الله ﷺ على الحج. قال لا ولكن بعثني اقرأ براءة على الناس، وأنبذ إلى كل ذي عهد عهده (٢) وانطلق الجميع وبوصولهم مكة المكرمة شرع الجميع في تأدية

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٥ ص ١٠٣

(٢) المغازي للواقدي ج ١ ص ٤٣٥

مناسك الحج، وباشر أبا بكر الصديق في تعريف الناس بمناسك حجهم، كما أقدم علي بن أبي طالب في قراءته للناس ما نزل على الرسول ﷺ من سورة براءة (١) ونادى بالناس بأنه لن يدخل الجنة إلا مؤمن ولا يطوف بالكعبة المشرفة عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فعهدته إلى مدته، وبين لهم أن رسول الله ﷺ آجل أربعة أشهر لمن لم يكن له عهد، وأما المتعاقدون مع المسلمين والذين لم ينقضوا عهدهم، ولم يظاهروا عليهم أحداً فعهدهم إلى مدتهم وأكد لهم بأنه لن يحج بعد هذا العام مشرك.

وفد بهراء

قدم على رسول الله ﷺ ثلاثة عشر رجلاً من جنوب اليمن، وبوصولهم المدينة استضافهم المقداد بن عمرو، وخلالها تعرفوا على الكثير من أمور دين الإسلام، ثم كان لهم اللقاء برسول الله ﷺ وبمقابلته سُر رسول الله ﷺ بإسلامهم، وأكرم وفادتهم، ثم كان لأولئك الرجال أن عادوا لديارهم.

وفد ذي مرة

يتكون هذا الوفد من ثلاثة عشر رجلاً يترأسه الحارث بن عوف، وهؤلاء ببلوغهم المدينة المنورة وبمقابلتهم لرسول الله ﷺ سألهم عن حال بلادهم. فردوا على رسول الله ﷺ بأنها تعاني من قحط في الأمطار.

فقال رسول الله ﷺ: "اللهم اسقهم الغيث" (٢)

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ج ٤ ص ٥٦٧

(٢) الخصائص الكبرى للسيوطي ج ٢ ص ٤٣

ثم كان لهؤلاء الرجال بعد اعتناقهم للإسلام أن مكثوا في المدينة أياماً ثم بعدها عادوا إلى ديارهم، فوجدوها قد أمطرت وذلك باستجابة الله لدعاء رسوله ﷺ.

وفد سعد بن بكر

وصل سعد بن بكر المدينة المنورة وخلال مقابله لرسول الله ﷺ دار بينه وبين رسول الله ﷺ حواراً تمحور عن الإسلام، وواجباته، ومحرماته ثم كان له اعتناق الإسلام، وبإسلامه قفل راجعاً إلى دياره فقال رسول الله ﷺ فيه: " إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنة" (١). ثم إن سعد بوصوله دياره واجتماع الناس حوله خاطبهم بقوله: بئست اللات والعزى.

قالوا: مه يا ضمام اتق البرص اتق الجذام اتق الجنون.

قال: ويلكم إنها والله لا يضران ولا ينفعان، إن الله قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً، أستنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه. بسماح القوم له شرح الله صدورهم واعتنقوا الإسلام ديناً.

وفد مراد

قدم وفد مراد مع فروة بن مسيك المرادي المدينة، مفارقاً للملوك كندة وكان قبل بعثة رسول الله ﷺ بين مراد وهمدان معركة ظفرت فيها همدان، لذلك بمقابلتهم لرسول الله ﷺ واعتناقهم للإسلام ديناً

قال رسول الله: يا فروة هل سائك ما أصاب قومك يوم الردم؟

قال يا رسول الله: من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي يوم الردم، لا يسوءه ذلك.

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ٢٥٠

فقال رسول الله: أما إن ذلك لم يزد قومك

في الإسلام إلا خيراً" (١) ثم استعمله على مراد وزيد ومذحج كلها.

وفد زبيد

قدم على رسول الله ﷺ في المدينة رجال من زبيد، برئاسة عمرو بن معد يكرب الزبيدي، وبمقابلتهم لرسول الله ﷺ اعتنقوا الإسلام ديناً.

وكان رسول الله ﷺ، قد استعمل على زبيد ومراد فروة بن مسيك في هذه السنة، قبل قدوم عمرو، فلما عاد عمرو من عند رسول الله ﷺ، أقام في قومه بني زبيد وعليهم فروة.

وفد عبد القيس

قدم على رسول الله ﷺ بالمدينة وفد عبد القيس، وفيهم الجارود بن عمرو، وهذا كان يدين بال نصرانية، وبمقابلته وأصحابه لرسول الله ﷺ شرح رب العالمين صدورهم أن هداهم للإسلام.

وفد كندة

قدم على رسول الله ﷺ ستون راكباً برئاسة الأشعث بن قيس الكندي، وبوصولهم المدينة ومقابلتهم لرسول الله ﷺ كان لهم اعتناق الإسلام ديناً.

مودة أقاربه

ابتداءً من الأيام الأولى لتبليغ رسول الله ﷺ الإسلام

(١) الأمام والملوك للطبري ج ٢ ص ١٩٩

وإلى آخر حياته ﷺ كان برفقته وجواره العديد من أقاربه، وهؤلاء كان لهم صد مشر-كي قريش من إلحاق الضرر برسول الله ﷺ، كما كان لهم في سبيل نصرته ﷺ تحمل أعباء حصار قريش لهم لثلاث سنين، إضافة لإسهامهم في نشر الإسلام، والدفاع عنه، وعن رسول الله ﷺ في كل المعارك الحربية ولتفاني أقارب رسول الله ﷺ في الذود عن رسول الله ﷺ وتحمل مشاق الدعوة الإسلامية ارتقت درجاتهم عند خالقهم، ومما سبق نزل قول رب العالمين فيهم

{ قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى } (١)

وفد نصارى نجران

نجران من أراضي اليمن هي بلدة كبيرة تقع في جنوب مكة المكرمة، خلال البعثة النبوية كانت تشتمل على ثلاث وسبعين قرية، منهم مائة ألف مقاتل، هؤلاء وذويهم يدينون بالنصرانية. (٢)

وبمعينة عليّة قوم نصارى نجران لانتشار الإسلام، وتوسع دائرته، كان لهم أن رأوا بأن يرسلوا بوفد إلى رسول الله ﷺ بمقر إقامته في المدينة وبقيادة ثلاثة رجال : الأول العاقب، وهذا يسمى عبد المسيح، وكان مختصاً بالإمارة والحكم. الثاني السيد، وهذا يسمى الأيهم أو شرحبيل، وكان مختصاً بالشؤون السياسية. الثالث الأسقف، وهذا يسمى أبا حارثة بن علقمة، ومختصاً بالشؤون الدينية وبوصول هذا الوفد إلى المدينة رحب بهم رسول الله ﷺ، ثم دار بينهم وبين رسول الله ﷺ نقاش مطول، عن الديانة النصرانية والإسلام، وبتلاوته ﷺ عليهم آيات من القرآن الكريم وبذله كل ما في

(١) الشورى آية ٢٣

(٢) كنز العمال ج ١ ص ٣٧٦

وسعه في سبيل إقناعهم باعتراف الإسلام إلا أنهم ظلوا متمسكين بدينهم وكان هؤلاء وقومهم في حينها معتقدين بأن رب العالمين مكون من ثلاثة، ولعل رسول الله ﷺ حقيقة عيسى ابتداءً من أمه مريم كيف بأمرها تنذر ما في بطنها بأن يكون خادمًا لبيت الله المسجد الأقصى في الشام، وفي غالبية ظنها بأنها ستنجب ولدًا، ثم كانت إرادة الله بأن تقبل نذرها، وأنجبت مريم، وهذه أصبحت من صغرها في خدمة بيت الله، ثم بين لهم أن الله أراد لها أن تحمل بعيسى وبدون أن يمسه بشر، فحملت به، وأتت به قومه، وباتهامهم لها بعرضها تكلم طفلها وبرأها مما اتهمت، وأصبح عيسى نبي الله، كما بين لهم بأن رب العالمين ما هو إلا أحد، فرد، صمد، لا يلد، ولا يولد، لا ثالث لثلاثة كما يعتقدون. وإلى آخر تلك القصة {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} (١) وبسماعهم لما ورد في عيسى من كلام خالقهم، ومع ذلك خالقهم لم يشرح صدرهم للإسلام إذ ظلوا متمسكين بدينهم، {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ} (٢) بعنادهم ولكونهم أهل كتاب وقربيين من الدين

(١) النساء آية ١٧١

(٢) آل عمران آية ٥٩-٦١

السيرة لابن هشام ج ٥ ص ٢٦٠

الإسلامي دعاهم رسول الله ﷺ إلى المباهلة، وباحتمال قبولهم للمباهلة كان رسول الله ﷺ قد بيت النية بأن يأخذ من أسرته علي بن أبي طالب، وفاطمة، والحسن، والحسين وبمطالبتة ﷺ لنصارى نجران بالمباهلة وبأن يدعو وإياهم بإحلال غضب الله عليه من كان كاذباً منهم، وبترجيح الوفد لمصداقية رسول الله ﷺ امتنعوا من تنفيذ المباهلة، وذلك خوفاً من أن يحل بهم غضب الله، وتصالحوا مع رسول الله ﷺ ثم عادوا لديارهم.

وفد الأزد

وفد على رسول الله ﷺ بالمدينة رجال من الأزد، بمقابلتهم لرسول الله ﷺ واستماعهم له ﷺ كان لهم اعتناق الإسلام ديناً.

وفد سلامان

وفد إلى المدينة المنورة سبعة رجال على رأسهم حبيب السلاماني، وبمقابلتهم لرسول الله ﷺ اعتنقوا الإسلام ديناً، ثم كان لهم قبل مغادرة المدينة أن شكوا إلى رسول الله ﷺ جذب أراضيهم وقحطها، فدعا لهم رسول الله ﷺ ثم كان لهم العودة إلى منازلهم.

وفد بني عامر بن صعصعة

قدم على رسول الله ﷺ وفد بني عامر بن صعصعة، وعلى رأسهم عامر بن الطفيل، وأربد بن قيس، وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر الشاهد أن عامر بن الطفيل لم يأت رسول الله ﷺ في مدينته بغية اعتناق الإسلام، إنما بيت النية في قتله ﷺ غدراً، ولعلم رجال من قومه بنيتة خاطبوه بقولهم: إن الناس قد أسلموا فأسلم: قال: والله لقد كنت آليت على نفسي أن لا أنتهي حتى تتبع العرب عقبي، أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش! ثم قال لأربد: إذا قدمنا على الرجل فإني سأشغل عنك وجهه فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف من خلفه، فلما قدموا المدينة وقابلوا رسول الله ﷺ جعل عامر يكلم النبي بغية أن تحين الفرصة لأربد فيقتله، لكن أربد لم يفعل شيئاً، وقبل أن ينصرف عامر من عند رسول الله ﷺ

لم يكتف بتمسكه بدينه الوثني، بل خاطب رسول الله ﷺ بقوله: أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً. ثم انصرف من عند رسول الله وازاء تهديه وبعد انصرافه قال رسول الله: " اللهم اكفني عامر بن الطفيل فكان لابن الطفيل" (١) أن أتته الوفاة قبل تنفيذ تهديه. (٢)

عامي الوفود ١-٩ هـ

على خلفية بذل رسول الله ﷺ ومعتنقو الإسلام قصارى جهدهم في سبيل دعوة الناس إلى اعتناق دين رب العالمين كان للكثير من قبائل القرى المجاورة لمكة المكرمة والمدينة المنورة واليمن قبلهم لاعتناق الإسلام، ومن ثم القدوم على رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة لإشهار إسلامهم، ومن هنا سميت السنة التاسعة والعاشر من الهجرة النبوية بعامي الوفود، ولم تقتصر هاتان السنتان بوفادة القبائل على رسول الله ﷺ فحسب بل ظلت الوفود تصل إلى رسول الله ﷺ بعاصمة دولته ابتداءً من السنة السابعة والثامنة والتاسعة والعاشر وإلى وفاته ومن الوفود التي وفدت على رسول الله وفود من: مزينة، وأسد، وتيم، وعبس، وفزارة، و مرة، و ثعلبة، و محارب، و سعد بن بكر، و كلاب، و رؤاس بن كلاب.

و عقيل بن كعب، و جعدة، و قشير بن كعب، و بني البكاء، و كنانة، و أشجع، و باهلة، و سليم، و هلال بن عامر، و عامر بن صعصعة، و ثقيف. و جاءت وفود ربيعة من: عبد القيس، و بكر بن وائل، و تغلب، و حنيفة، و شيبان. و جاء من اليمن وفد من طيء، و تميم، و خولان، و جعفي، و صداء، و مراد، و زبيد، و كندة، و الصدف، و خشين، و سعد هذيم، و بلي، و بهراء، و غدرة؛ و سلامان، و جهينة، و كلب، و جرم، و الأزد، و غسان، و

(١) دلائل النبوة للبيهقي ج ٥ ص ٣١٩

(٢) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ج ٣ ص ٦١٢

الحارث بن كعب، و همدان، و سعد العشيرة، و عنس، و الدارين، و الرّهاويين (حي من مذحج)، و غامد، و النّخع، و بجيلة، و خثعم، و الأشعرين، و حضرموت، و أزد عمان، و غافق، و بارق، و دوس، و ثماله، و الحدان، و أسلم، و جذام، و مهرة، و حمير، و نجران، و جيشان.

حجة الوداع ١٠/١٢ هـ

حجة الوداع سميت بهذا الاسم لأن رسول الله ﷺ ودع الناس فيها، وذلك بقوله: "لعلي لا ألقاكم بعد عامكم هذا" (١) ولأن رسول الله ﷺ قصد مكة المكرمة بغية تأدية فريضة الحج وانتشار هذا الخبر لدى معتقلي الإسلام كثير منهم من رغب في تأدية الحج بصحبة رسول الله ﷺ، ومن هنا وقبل أن يغادر رسول الله ﷺ مدينته متجهًا صوب مكة المكرمة توافد الناس إلى المدينة وبخمس ليال بقين من شهر ذي القعدة من السنة العاشرة للهجرة النبوية خرج رسول الله ﷺ من المدينة المنورة قاصدًا مكة المكرمة وبوصوله ﷺ منطقة ذا الحليفة صلى صلاة العصر ركعتين، قصرًا ثم بات ليلته، وبالصبح قال رسول الله ﷺ لأصحابه: "أتاني الليلة أت من ربي فقال: صلّ في هذا الوادي المبارك، وقل: عمرة في حجة" (٢).

وقبل صلاته ﷺ الظهر اغتسل لإحرامه، ثم تطيب، ثم لبس إزاره ورداءه، ثم صلى الظهر ركعتين قصرًا، ثم أهل بالحج والعمرة في مُصَلَّاهُ، وقرن بينهما، ثم غادر المنطقة، وبركوبه ﷺ على دابته القصواء أهل أيضًا ثم كان له ﷺ مواصلة السفر وبقربه من مكة المكرمة ووصوله

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ٥ ص ٢٦٢

(٢) السيرة لابن كثير ج ٤ ص ٢٢٢ صحيح البخاري ج ٢ ص ١٦٧

بذي طُوًى بات ﷺ ليلته، ومع الصباح الباكر صلى صلاة الفجر، ثم دخل مكة المكرمة، ثم دخل المسجد الحرام، وطاف حول بيت الله الحرام، ثم سعى بين الصفا والمروة ولم يحلّ؛ وذلك لأنه كان قارناً قد ساق معه الهدى فنزل بأعلى مكة عند الحِجُون، وأقام هناك، ولم يعد إلى الطواف غير طواف الحج.

هذا ما كان منه أما ما كان من أصحابه فإنه أمر من لم يكن معه هدي أن يجعلوا إحرامهم عمرة، فيطوفوا بالبيت وبين الصفا والمروة، ثم يحلوا حلالاً تاماً، فترددوا، فقال ﷺ: "لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت، ولولا أن معي الهدى لأحللت" (١)، فحل من لم يكن معه هدي.

ومع اليوم الثامن من شهر ذي الحجة وهو يوم التَّروِيَةِ (٢) انطلق رسول الله ﷺ إلى منى، وهناك صلى بها الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، والفجر - ومع طلوع الشمس أجاز حتى أتى عرفة، وهناك كان أصحابه قد نصبوا له ﷺ قبة بَنَمِرَةَ، فنزل بها، ومع زوال الشمس ركب ﷺ دابته القَصْوَاءَ متجهاً صوب بطن الوادي، وهناك كان قد تجمع معتنقو الإسلام لتأدية فريضة الحج بصحبة رسول الله ﷺ وفي سبيل ذلك اجتمع في بطن هذا الوادي ما يقارب مائة وأربعة وعشرون ألفاً.

وبهذا الحشد الكبير قام رسول الله ﷺ فيهم خطيباً

بقوله: "أيها الناس اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، أيها الناس إن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في

(١) صحيح البخاري ج ٢ ص ١٧٢

(٢) مصنف عبد الرزاق ج ٤ ص ٢٨٣

بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعاً في بني سعد، فقتلته هذيل. وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون، قالوا نشهد أنك قد بلغت، وأديت، ونصحت فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس اللهم اشهد، اللهم اشهد ثلاث مرات". (١)

وكان الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله ﷺ - وهو بعرفة - ربيعة بن أمية بن خلف. ثم بفراغه ﷺ من الخطبة نزل عليه قول الله تعالى: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } (٢)

وبدخول صلاة الظهر أذن للصلاة بلال بن رباح، ثم أقام للصلاة وصلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر، ثم مكث إلى صلاة العصر فصلى ﷺ بالناس، ثم أتى المزدلفة، فصلى بها المغرب والعشاء بإذان واحد وإقامتين، ثم اضطجع إلى الفجر، وقام وصلى ﷺ الفجر، ثم

(١) صحيح ابن حبان ج ٩ ص ٢٥٧

(٢) المائدة آية ٣

ركب دابته القصواء وأتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة، فدعاه، وكبره، وهلله، ووحدته، فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً. (١)

فَدَفَعَ من المزدلفة إلى منى قبل أن تطلع الشمس، ثم أتى الجمرة الكبرى والتي تسمى بجمرة العقبة أو بالجمرة الأولى فرماها بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة منها، ثم انصرف إلى المنحر، فنحر ثلاثاً وستين بدنة بيده، ثم أعطي علياً فنحر ما غَبَرَ - وهي سبع وثلاثون بدنة، تمام المائة - وأشركه في هديه، ثم أمر من كل بدنة يؤخذ منها قطعة، فجعلت في قدر، فطبخت، فأكلا من لحمها، وشربا من مرقها. (٢)

ثم ركب رسول الله ﷺ فأفاض إلى البيت، فصلى بمكة الظهر، فأتى على بني عبد المطلب يَسْقُونَ على زمزم، فقال ﷺ: انزعوا بني عبد المطلب، فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم"، فناولوه ﷺ دلواً فشرب منه. وفي هذا اليوم العاشر من ذي الحجة والمسمى يوم النحر وهنا خطب رسول الله ﷺ في الناس قال: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مُصْر الذي بين جمادى وشعبان" (٣)

وقال: "أي شهر هذا؟"

قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت ﷺ حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: "أليس ذا الحجة؟"

(١) صحيح مسلم ج ٤ ص ٣٩

(٢) سنن الترمذي ج ٣ ص ١٧٨

(٣) صحيح البخاري ج ٤ ص ١٣٤، ومسلم.

قلنا: بلي؟

قال: "أي بلد هذا؟"

قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: "أليست البلدة؟"

قلنا: بلي. قال: "فأي يوم هذا؟"

قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ^(١)، قال: "أليس يوم النحر؟"

قلنا: بلي.

قال: "إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا."

"وستلقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض."

"ألا هل بلغت؟"

قالوا: نعم

قال: "اللهم اشهد، فليبلغ الشاهد الغائب، فَرَّبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَىٰ مِنْ سَامِعٍ."

وفي رواية أنه قال في تلك الخطبة: "ألا لا يجني جانٍ إلا على نفسه، ألا لا يجني جان على ولده، ولا مولود على والده، ألا إن الشيطان قد يئس أن يُعبد في بلدكم هذا أبداً، ولكن ستكون له طاعة فيما تحتقرون من أعمالكم، فسيرضى به" (١).

ثم كان له ﷺ قضاء أيام التشريق بمنى وذلك لتأدية مناسك الحج وتعليم الناس شريعة خالقهم (٢) وورد أن رسول الله ﷺ خطب في الناس أثناء مكوثه في منى، ثم كان لرسول الله ﷺ أن نفر من منى وذلك بمغادرته منى ونزوله بخيف بني كِنانة من الأبطح، وهناك أقام بقية يومه وليلته وصلى فيها الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء ثم اتجه إلى الكعبة المشرفة وطاف حولها طواف الوداع، وأمر بذلك الناس.

وبإكمالهِ ﷺ لمناسك الحج وتعليم الناس أمور دينهم في تلك البقعة المقدسة أمر الذين صحبوه في تأدية فريضة الحج أن يتجهزوا بغية مغادرة مكة المكرمة، وبامتثالهم لأمره كان لهم مع رسول الله ﷺ العودة إلى عاصمة الدولة الإسلامية المدينة المنورة.

بعثه جيش بقيادة أسامة إلى الشام ١١/١ هـ

بعد تأدية رسول الله ﷺ لفريضة الحج رأى بأن يبعث بالقوات الإسلامية إلى تخوم البلقاء (٣) من أرض فلسطين، ولأن أسامة بن زيد لا يعد من القبائل كونه وأبيه يعدوا من الموالي بحسب قوانين البشر القاصرة، ولأنه حينها لم يتجاوز السنة الثامنة عشر من عمره أي لصغر سنه لم يعجب بعض الصحابة قيادته للجيش، وطعنوا بولايته، بوصول خبرهم

(١) الأحكام الشرعية للإشبيلي ج ٤ ص ٥٢٠

(٢) سنن الترمذي ج ٤ ص ٤٦١

(٣) الأحكام الشرعية للإشبيلي ج ٤ ص ٤١٣

لرسول الله ﷺ قال فيهم: " إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وإيم الله إن كان لخليقا للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلي، وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده" (١)

جدير ذكره أن من بين مقاتلي هذا الجيش الكثير من كبار صحابته ﷺ كأبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وخلال إعداد هذا الجيش أصيب رسول الله ﷺ بالمرض، ولم يغادر الجيش المدينة بغيت الاطمئنان على صحة رسول الله ﷺ، لكن رسول الله ﷺ أتته المنية وانتقل إلى رحمته تعالى، وبموارات جسده الشريف الثرى وانتقال قيادة المسلمين إلى أبي بكر الصديق سرعان ما وجه الجيش بالتحرك صوب هدفه.

مغادرته للحياة الدنيا ١٢/٤/١١ هـ

أصيب رسول الله ﷺ بالمرض مع نهاية شهر صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة النبوية، فمع أواخر أيام هذا الشهر أصيب رسول الله ﷺ بصداع في الرأس، وهذا أفضى إلى ارتفاع حرارته وكان بداية مرضه ﷺ في بيت زوجته ميمونة، ولما ثقل عليه المرض استأذن زوجته أن ينتقل إلى بيت زوجته عائشة، وهناك حاولوا التخفيف من الحمى التي أصابت جسده، وذلك بصب الماء عليه، وبصب الماء عليه قال لهم: " حسبكم حسبكم" (٢)

ثم بشعوره بتحسن حاله خرج ﷺ إلى المسجد وهو عاصباً على رأسه، وبدخوله بيت الله حمد الله وأثنى عليه، ومما قال: " قاتل الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " —

(١) صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٩

(٢) مسند أبي يعلى ج ٨ ص ٥٦

وقال: " لا تتخذوا قبوري وثناً يعبد " (١). ولأن رسول الله ﷺ أشد الناس خشية من الله ويريد أن يلقي خالقه

وصفحته بيضاء لا تشوبها شائبه وهو كذلك لكنها رسالته لمعتنقي الإسلام في كل زمان ومكان من هنا خاطب من في المسجد بقوله: " أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وقد دنا مني حقوق من بين أظهركم، فمن شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد منه، ومن ضربت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد منه، ومن أخذت له مالا فهذا مالي فليأخذ منه، ولا يقولن أحدكم إني أتخوف الشحناء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا وإنما ليست من طبيعتي، ولا من خلقي، وإن أحبكم إلي من أخذ حقاً إن كان له، أو حللني فلقيت ربي وأنا طيب النفس " (٢)

ثم صلى صلاة الظهر، وبعده عاد لمخاطبة الناس يوصيهم ونفسه من التحلل من الأخطاء والذنوب، فقام رجلاً وأبدى لرسول الله ﷺ بأنه يسأله ثلاثة دراهم

فقال: " أعطه يا فضل " (٣)

ثم قال: " يا أيها الناس بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم، هل خلد نبي قبلي فيمن بعث إليه فأخلد فيكم، إلا أني لاحق بربي وإنكم لاحقون بي، فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً،

(١) مسند عبد الرزاق ج ٩ ص ٤٩٦

(٢) موطأ مالك ج ١ ص ١٧٢

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٧٤

وأوصي المهاجرين فيما بينهم فإن الله تعالى يقول: {والعصر إن الإنسان لفي خسر- إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر} (١)

وإن الأمور تجري بإذن الله، ولا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله، فإن الله عز وجل لا يعجل بعجلة أحد، ومن غالب الله غلبه، ومن خادع الله خدعه، فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض، وتقطعوا أرحامكم، وأوصيكم بالأنصار خيرا، فإنهم الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلكم أن تحسنوا إليهم. ألم يشاطروكم في الثمار. ألم يوسعوا لكم في الديار. ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة. ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئتهم. ألا ولا تستأثروا عليهم. ألا وإني فرط لكم وأنتم لاحقون بي. ألا فإن موعدكم الحوض. ألا فمن أحب أن يرده علي غدا فليكف يده ولسانه. وكان من خطابه لهم: "إن عبداً خيرته الله بين أن يؤتية من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده، فاختار ما عنده" (٢). ومع تحمل رسول الله ﷺ لآلامه إلا إنه ظل يصلي بالناس، وقبل وفاته بأربعة أيام لشدة ما عاناه من الألم لم يتمكن من الذهاب إلى المسجد والصلاة بالناس، وهنا أمر عائشة أن ترسل لأبي بكر أن يصلي بالناس، لكنها راجعت رسول الله ﷺ لثلاث مرات أو أربع وذلك بأن يكلف رجلاً آخر، وحين ذاك غضب رسول الله ﷺ من عائشة وقال لها: "إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس" (٣). وكان لرسول الله ﷺ أن أعتق من في يده، ومع آخر يوم من حياته أوصى معتنقي الإسلام بأن يترحموا فيما بينهم وأن يتواصوا بأعمال الخير، وأن يحافظوا على الصلاة وأن يحسنوا إلى ما ملكت أيماهم من أرقاء، كما حذر من اتخاذ قبور

(١) العصر آية ١-٣

(٢) سنن الترمذي ج ٥ ص ٦٠٨

(٣) صحيح البخاري ج ١ ص ١٦٩

الأنبيا مساجد، جدير ذكره ما رواه أنس بن مالك: بينما هم في صلاة الفجر من يوم الإثنين - وأبو بكر يصلي بهم - لم يفاجئهم إلا رسول الله ﷺ قد كشف ستر حجرة عائشة فنظر إليهم، وهم في صفوف الصلاة، ثم تبسم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبيه؛ ليصل الصف، وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة. فقال أنس: وهَمَّ المسلمون أن يفتنوا في صلاتهم، فرحاً برسول الله ﷺ، فأشار إليهم بيده رسول الله ﷺ أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخي الستر (١). وهذا اليوم يوم الإثنين وبينما هو في حجر زوجته عائشة وأزواجه بجواره وعظهن ثم ودعهن، كما قبل الحسن والحسين، وأما فاطمة فيجلوسها إلى جواره وتألّمها لتألّمه ومما أبدى لها بأن منزلتها عالية عند خالقها، كما بشرها بأنها سيدة نساء العالمين.

وقالت فاطمة لما تغشاه الكرب: وا كرب أبتاه

فقال: لا كرب على أبيك بعد اليوم" (٢)

ثم كان له في هذا اليوم مغادرته للحياة الدنيا.

وقبل صعود روحه إلى بارئها، وذلك عندما اشتدت ساعة الضحى، من يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول، من السنة الحادية عشرة من هجرته النبوية، وبإسناد زوجته عائشة لجسده الشريف ودخول عبد الرحمن بن أبي بكر لاحظ رسول الله ﷺ بيده سواك فرغب باستخدام السواك، بملاحظة عائشة لرغبة رسول ﷺ

قالت له: آخذه لك؟

فأشار ﷺ برأسه أن نعم.

(١) مسند البزار ج ١٢ ص ٣٥٨

(٢) مسند أبي يعلى ج ٦ ص ١٦١

فتناولته فاشتد عليه، وقلت: ألينه لك؟

فأشار برأسه أن نعم.

وما أن فرغ من السواك حتى رفع يده أو أصبعه، وشخص بصره نحو السقف، وتحركت شفثاه، فأصغت إليه عائشة وهو يقول: " مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين، اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى. اللهم، الرفيق الأعلى" (١)

كرر الكلمة الأخيرة ثلاثاً، ومالت يده ولحق بالرفيق الأعلى. إنا لله وإنا إليه راجعون.

موقف أقاربه وأصحابه من وفاته

بوفاة رسول الله ﷺ كانت الفاجعة لكل معتنقي الإسلام عامة ولأقربائه وأحبائه خاصة، وعلى رأس هؤلاء ابنته فاطمة، وابن عمه علي بن أبي طالب، وعمه العباس فبالرغم من إيمانهم بقضاء الله وقدره إلا أن حب رسول الله ﷺ كان قد تجذر في قلوبهم، فبوفاته ﷺ ومع شدة تألم ابنته فاطمة على فقدانه

قالت: " يا أبتاه أجا رباً دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل نعا" (٢) وأما عمر بن الخطاب بسماعه لوفاة رسول رب العالمين ﷺ فقد قال لمن كان أمامه: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفي، وإن رسول الله ﷺ ما مات ولكنه ذهب إلى ربه، كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد

(١) صحيح البخاري ج ٦ ص ١٨

(٢) المصدر السابق ج ٦ ص ١٨

أن قيل قد مات، ووالله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله ﷺ مات. (١)

وأما أبو بكر الصديق بوصول خبر صاحبه إليه وسماعه لكلام عمر بن الخطاب لم يرد عليه بكلمة إنما دخل على بيت عائشة فلاحظ جسد صاحبه مسجى ببردة، فما كان منه إلا كشف عن وجه رسول الله ﷺ فقبله، ثم قال: بأبي أنت وأمي، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبداً.

ثم رد البرد على رسول الله ﷺ وخرج وعمر يكلم الناس فقال: على رسلك يا عمر أنصت فأبى إلا أن يتكلم فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم ذكرهم بقول خالقه: {وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين} (٢) وبسماح عمر بن الخطاب وأولئك الرجال لكلام أبي بكر الصديق وتمعنهم في كلام خالقهم التي ذكرهم بها أبو بكر الصديق أدركوا حقيقة مصابهم، وآمنوا بقدر خالقهم عليهم وعلى رسولهم.

موارات جسده الشريف الثرى

كما مر بنا ظل رسول الله ﷺ يعاني من المرض لثلاثين يوماً، وقيل أربعون يوماً، وبعد ذلك تحقق فيه ﷺ قول خالقه {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي

(١) تاريخ الأمم والملوك، الطبري ج ٢ ص ٢٣٢

(٢) آل عمران آية ١٤٤

فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي} (١). وبوفاته ﷺ ولحاق روحه بخالقه ظل جسده الشريف بقية يوم الإثنين والثلاثاء في بيت عائشة، وهو على فراشه مغشي بثوب حَبْرَة، ويوم الثلاثاء قام بغسل رسول الله ﷺ كل من العباس وعلي، والفضل وقُثم ابني العباس، وشُقْران مولى رسول الله ﷺ، وأسامة بن زيد، وأوس بن خُوَلي، فكان العباس والفضل وقثم يقلبونه ﷺ، وأسامة وشُقْران يصبان الماء، وعلي يغسله، وأوس أسنده إلى صدره. (٢)

وتم غسل رسول الله ﷺ وهو بثيابه وقد غسل ثلاث غسلات بياء وسِدْر، وغسل من بئر يقال لها: العَرَس لسعد بن خَيْثَمَة بَقْبَاء وكان يشرب منها. ثم كفنوه في ثلاثة أثواب يمانية بيض سَحْوَلِيَّة من كُرْسُف، ليس فيها قميص ولا عمامة. أدرجوه فيها إدراجًا.

وباكتمال تجهيزه اختلفوا في موضع دفنه، فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض فرفع فراش رسول الله ﷺ الذي توفي عليه فحفر له تحته، ثم دخل الناس على رسول الله ﷺ يصلون عليه حيث أدخل عليه أو لا أهل عشيرته، ثم المهاجرون والأنصار، ثم الصبيان، ثم النساء، أو النساء ثم الصبيان. ثم دفن رسول الله ﷺ من وسط الليل ليلة الأربعاء.

أمر المسلمين من بعده

في قضية الملك أشارت كثير من آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية؛ لأبعاد من يلي أمور المسلمين، ولأن مشيئة رب العالمين منح العباد حرية اختيار طريقة إدارة شؤونهم وبما

(١) الفجر آية ٢٧-٣٠

(٢) الأُمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٨

يتناسب مع مصالحهم، ولم يُعلم للمسلمين في حياة المصطفى ﷺ أنه أوصى أو عين شخصاً بعينه، لتولى قيادة المسلمين، بعد وفاته، وإن ادعت بعض الفرق الإسلامية عكس ما أوردناه، فب وفاة رسول الله ﷺ اجتمعت شخصيات إسلامية من الأنصار في سقيفة " بني ساعده "

وانطلاقاً من موقعهم الريادي كونهم نصرروا الإسلام في أيامه الأولى ، من خلال إيمانهم بالرسول ﷺ ، وبذل مهجهم في سبيل حمايته ﷺ في حين كذبه صناديد قريش ، وباستقبال إخوانهم المستضعفين من المسلمين، الفارين بدينهم من الاضطهاد القرشي، وبذلمهم في نصرتهم وخدمة الإسلام الغالي والنفيس من خلال تلك المرتكزات؛ اعتقدوا أنهم أهل لقيادة المسلمين، بعد وفاة نبيهم، ولذلك بوفاته ﷺ تم اجتماعهم في السقيفة بزعامة " سعد بن عبادة، والحباب بن المنذر" (١) وبوصول أخبار نبأ السقيفة إلى أبي بكر، وعمر بن الخطاب، وأبي عبيدة بن الجراح ، سارعوا إلى حضور ذلك الاجتماع ، ولم يكن القصد منهم في الحضور حب " الإمارة " إنما كان الهدف توحيد الأمة الإسلامية، من الوقوع في دائرة الصراع السياسي، الذي يفضي إلى تفكك وحدة المسلمين، وإضعاف شوكتهم، وإثر وصولهم دخلوا مع تلك الشخصيات المدنية في نقاش مطول " حول من يستحق قيادة المسلمين " وكان الثلاثة يرون أن المسلمين الأوائل من الفرع القرشي، أولى بقيادة المسلمين ليس لتمييزهم عن مسلمي المدينة، أو غيرهم ، وإنما لكون القرشيين يُعدون أول من آمن بالرسالة، وأول من ضحى بحاله ، وماله، في سبيلها ومن خلال ذلك النقاش تمكن أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح من إقناع نظرائهم " المدنيين "

عبر الحوار الودي بأن تكون الخلافة في الفرع القرشي، متمثلة بشخصية أبي بكر الصديق ، وبايعه من كان في السقيفة، وفي المسجد بايع أبو بكر الصديق نخبة من المهاجرين والأنصار.

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٣ ص ٦

قتال الطائفة الباغية

دخول طائفتين من معتنقي الإسلام في خلاف، أفضى بهما إلى دخولهما في حرب دامية، ما الحل لهذه المشكلة؟ في دستور معتنقي الإسلام قرآن الله المنزل على نبيه محمد بن عبد الله ﷺ جاء الحل الشافي المنصف لهذه المشكلة، وذلك عبر مرحلتين المرحلة الأولى، إذا ما حدث بين طائفتين من المسلمين خلاف على مشكلة ما، وتطور الخلاف إلى عدم تطبيق قول خالقهم: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً} (١) ومن ثم دخولهما في مواجهات دامية تزهق الأرواح، على الجهة الخارجة عن دائرة المتنازعين من المسلمين أن تتحرك صوب قادة الطائفتين المتنازعتين، وذلك بغية إنهاء مواجهاتهما الداميتين، عبر صلح يرتضيانه، وفي حالة عدم التوصل للصلح، وتمادي إحدى الطائفتين في خصومتها ظلماً وقتلاً على نظيرتها على الجهة الخارجة من دائرة النزاع المصلحة أن تقوم بمقاتلة الطائفة الباغية، حتى تتوقف عن جورها، وبغيها، وفي هذه الحالة بانكسار هذه الطائفة بعد مواجهتها بقوة السلاح وقبولها في أن يحكم فيها حكم خالقهم، وهنا على الجهة المصلحة

أولاً: أن تكف عن قتال الطائفة الباغية.

ثانياً: أن تقوم بإصلاح الشأن بين الطائفتين المتقاتلتين، وذلك بالعدل والإنصاف.

هذا الحل ينطبق على طائفتين من معتنقي الإسلام، أو قبيلتين، أو حزبين، أو دولتين، أو ما شابه ذلك وفي أي زمان أو مكان ما أوردناه يتجسد في قول رب العالمين {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ

إلى أمر الله فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ { (١) } إِنَّمَا
المؤمنون إخوانة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون { (٢) } .

أزواجه

تزوج رسول الله ﷺ ثلاث عشر امرأة، إحدى عشر امرأة بنى بهن، واثنتان لم يبن بهن.
توفي منهن اثنتان خلال حياته، وهاتان خديجة بنت خويلد، وزينب المعروفة بأُم المساكين،
وتسع مات ﷺ عنهن وهؤلاء هن:

عائشة بنت أبي بكر الصديق

حفصة بنت عمر بن الخطاب

سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس

أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب

زينب بنت جحش بن رثاب

أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة

ميمونة بنت الحارث بن حزن

جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار

صفية بنت حيي بن أخطب

(١) الحجرات آية ٩

(٢) الحجرات آية ١٠

وأما الاثنتان اللتان تزوج بهن ولم يبين بهن فالأولى من بني كلاب، والثانية من كندة.

الأولى خديجة بنت خويلد

وهذه أول نسائه تزوج بها ﷺ عندما كان في مكة المكرمة، وحينها كان لا عهد له بالإسلام، وبتكليف رب العالمين له بنشر الإسلام كانت أول من آمنت برسالته، كما كان لها الشرف بمناصرتة، ومؤازرته إلى وفاتها في حياته. ولم يتزوج عليها بالرغم من أنه ﷺ أصغر منها بخمسة عشر سنة، ومن خديجة ولد لرسول الله ﷺ بنات وبنين البنات هن زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة. وأما الذكور فلم يعش منهم أحد.

الثانية سودة بنت زمعة

بعد وفاة خديجة بنت خويلد تزوج رسول الله ﷺ بسودة، وذلك في السنة العاشرة من بعثته، وكانت قبله للسكران بن عمرو، وبوفاة هذا ظلت ثيباً إلى أن تزوج بها رسول الله ﷺ، وظلت بالمدينة المنورة إلى أن لحقت برها سنة ٥٤ هـ.

الثالثة عائشة بنت أبي بكر الصديق

تزوج بها ﷺ بعد إحدى عشرة سنة من بعثته، وكانت بكرًا، ولم يتزوج بكرا غيرها، وظلت في المدينة المنورة إلى أن لحقت بخالقها سنة ٥٨ هـ.

الرابعة حفصة بنت عمر بن الخطاب

تزوج بها رسول الله ﷺ سنة ٣ هـ وكانت قبله لخنيس بن حذافة السهمي، وهذه ظلت بالمدينة المنورة إلى أن لحقت برها سنة ٤٥ هـ.

الخامسة زينب بنت خزيمة الملقبة بأُم المساكين

ولقبت بأُم المساكين لرحمتها وعطفها عليهم، وهذه تزوج بها رسول الله ﷺ سنة ٤ هـ، وكانت قبله زوجة لعبد الله بن جحش، وهذه سرعان ما لحقت بخالقها وذلك بعد ثلاثة أشهر من زواجها.

السادسة أم سلمة هند بنت أبي أمية

تزوج بها رسول الله ﷺ سنة ٤ هـ، وكانت قبله لأبي سلمة، وظلت بالمدينة المنورة إلا أن لحقت برها سنة ٥٩ هـ.

السابعة زينب بنت جحش ابنة عمه رسول الله ﷺ

تزوج بها رسول الله ﷺ سنة ٥ هـ، وكانت قبله زوجة لزيد بن حارثة، وظلت بالمدينة النبوية إلى أن لحقت بخالقها سنة ٢٠ هـ.

الثامنة جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق

بهزيمة قومها لدى جيش رسول الله ﷺ ووقوعها أسيرة لدى ثابت بن قيس، تزوج بها رسول الله ﷺ سنة ٦ هـ، وذلك بعد أن حررها من رق العبودية.

هذه الزواجة كانت سببا لعتق المسلمين لأسرى بني المصطلق إكرامًا لرسول الله ﷺ، وظلت بالمدينة المنورة إلى أن لحقت بخالقها سنة ٥٥ هـ.

التاسعة أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان

تزوج بها رسول الله ﷺ سنة ٧ هـ، وظلت بالمدينة المنورة إلى أن لحقت برها سنة ٤٤ هـ.

العاشرة صفية ابنة سيد بني النضير حيي بن أخطب

تزوج بها رسول الله ﷺ إثر معركة بني النضير سنة ٧ هـ، توفيت سنة ٥٠ هـ.

الحادية عشر ميمونة بنت الحارث

تزوج بها رسول الله ﷺ ٧/١١ هـ وتوفيت بسرف سنة ٦٣ هـ، وقيل ٣٨ هـ هوّلاء النسوة التي تزوج بهن رسول الله وبنى بهن.

وأما السراري فقد تسرى رسول الله ﷺ باثنتين

الأولى مارية القبطية

وهذه أهداها له المقوقس، وكان لمارية أن رزقها الله من رسول الله ﷺ بابنه إبراهيم لكنه لم يعمر فقد توفي وهو صغير، وذلك خلال حياة والده.

الثانية ریحانة بنت زيد

وهذه قيل بأن رسول الله اصطفاها لنفسه ﷺ، وقيل تزوجها بعد أن حررها من رق العبودية.

تعدد زوجاته

بحسب الدين الإسلامي الذي كلف بنشره رسول رب العالمين محمد بن عبد الله ﷺ أجاز لمتسبيه تعدد الزوجات.

وذلك لأسباب ليست مجال بحثنا، ثم إنه حصر التعدد لكافة المسلمين بالأربع، كما أباح رب العالمين لرسول الله ﷺ تعدد الزوجات لأكثر من أربع، وكان ذلك التعدد لأسباب وقبل أن نتطرق إلى بعض تلك الأسباب، لا بد من التذكير بأن رسول الله ﷺ تزوج بخديجة بنت خويلد وهي في سن الأربعين، بينما رسول الله ﷺ في سن الخامسة والعشرين، أي في ريعان شبابه، ومع ذلك الفارق ظلت خديجة الزوجة الوحيدة لرسول الله ﷺ، وحتى أتها الوفاة وبوفاته كان لرسول الله ﷺ تعدد الزوجات ولأسباب منها

إبطال تشريعات الجاهلية

ففي العصر الجاهلي وبحسب تشريعاتهم آنذاك اعتادوا على تحريم زواج الأب بزوجة ابنه بحسب التبني، وذلك بعد وفاة زوجها، أو طلاقها، وبهذا التشريع القاصر كانت للأوامر الربانية إبطاله، وذلك بتكليف رسول رب العالمين بتزوج زينب بنت جحش، بعد أن طلقها زوجها المعروف آنذاك بابن رسول الله، حسب التبني، زيد وذلك بعد أن وصل الخلاف بين زيد وزوجته إلى الذروة {فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا} (١) وفي هذا الصدد جاءت الآيات القرآنية تحث أي مسلم يتبنى شخصاً أن لا يلحق اسمه باسمه بل يلحق اسمه باسم أبيه {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} (٢)

جلب مصلحة للبشر

بعد هزيمة بني المصطلق ووقوع رجالهم ونسائهم أسارى بيد المسلمين، حرر رسول الله ﷺ جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق من الأسر، ورق العبودية، ثم تزوجها ﷺ وبهذه المصاهرة استحق أصحابه أن تظل نساء ورجال بني المصطلق في قبضتهم، وقد أصبحوا أصهاراً لرسول الله ﷺ فما كان لهم إلا أن قاموا بتحرير ما بقبضتهم من أسارى وينطبق هذا الحال بتزوج رسول الله ﷺ بصفية ابنت سيد بني النضير حيي بن أخطب.

(١) الأحزاب آية ٣٧

(٢) الأحزاب آية ٤٢

كما أن رب العالمين لم يترك باب تعدد الزوجات لرسوله ﷺ مفتوحاً إنها أغلقه بقوله تعالى
 { لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ } (١).

الغزوات والسرايا

باستقرار رسول الله ﷺ وأصحابه والمسلمين بالمدينة المنورة أصبح رسول الله في فسحة
 من حاله فمع الأيام الأولى من استقراره بالمدينة المنورة كان له ﷺ ولأصحابه المسارعة
 بالعمل الدعوي، والأعمال الاستراتيجية التي تفضي إلى توسع أعداد معتنقي الإسلام ومن
 ثم توسع دائرة الدولة الإسلامية وذلك عبر الإجراءات التالية
 بعثات أو غزوات بغية استعادة الحقوق.

بعثات دعوية بقصد نشر الإسلام.

بعثات ردع استراتيجي وقائي للمتربصين بمعتنقي الإسلام الدوائر.

غزوات أو بعثات بقصد صد العدوان، أو التأديب.

أولا غزوات تهدف إلى استعادة الحقوق

من منطلق الظلم والجور الذي حل برسول الله ﷺ وأصحابه خاصة الضعفاء من قبل
 كبار رجال قريش أثناء تواجدهم في مكة المكرمة، وذلك عبر السب، والشتم، والتعذيب،
 والمصادرة للممتلكات مما سبق باستقرار رسول الله ﷺ وأصحابه من معتنقي الإسلام في
 المدينة المنورة ذاك الظلم الذي مارسه كبار رجال قريش فيهم أعطى الحق لمعتنقي الإسلام في
 مهاجمة قوافل قريش، ومن ثم السيطرة عليها.

ثانياً بعثات دعوية بغية نشر الإسلام

باستقرار رسول الله ﷺ وأصحابه في عاصمة دولتهم الناشئة، كان لهم التحرر من سادة قريش، ومن جورهم الهادف إلى قبر الدين الإسلامي في موقع ولادته، أي: مكة المكرمة بذاك التحرر كان لرسول الله ﷺ وأصحابه العمل الدءوب في نشر الإسلام خارج محيط المدينة المنورة وليتعدى شبه الجزيرة العربية وذلك عبر تسيير رسول الله ﷺ للبعثات أو السرايا الرامية للتعريف بالدين الإسلامي، ومن تلك البعثات بعثة بئر معونة، فمع إرسال رسول الله ﷺ لسبعين رجلاً من معتنقي الإسلام إلى أراضي نجد برفقة أبا براء عامر بن مالك الملقب بمُلاعب الأسنّة بغية تعريفهم بالديانة الإسلامية، وبوصول أولئك الرجال إلى بئر معونة وكما أسلفنا كان لبني سليم من عَصِيَّة، ورِعْل، وذَكَوان قتل أولئك الرجال والذين لا ذنب لهم إلا التعريف بديانة الإسلام

ثالثاً بعثات ردع استراتيجي وقائي للمتريصين بمعتنقي الإسلام الدوائر

بتعود الناس من قاطني مكة المكرمة أو القبائل المحيطة بها وبالمدينة المنورة لعبادة الأصنام أصبح تخليهم عن آلهتهم الوثنية واعتناق الإسلام فيها صعوبة كبيرة، لذلك بتوسع دائرة نفوذ الإسلام من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، واستمرار رسول الله ﷺ وأصحابه في العمل الدعوي خارج المدينة المنورة كان لهذا التوجه عدم التقبل من القرى المحيطة بمكة المكرمة، والمدينة المنورة ولم تكتف تلك القرى عند ذلك الحد، بل ظلت تراقب رسول الله ﷺ ومعتنقي الإسلام عن كثب لعلها تحصل على نقاط الضعف فيهم ومن ثم تسارع في القضاء على دولة الإسلام، كما قامت القرى المحيطة بمكة المكرمة والمدينة المنورة بالتواصل مع اليهود وقريش في التشاور في إضعاف الإسلام ومعتنقيه، وتحزيب الأحزاب بغية القضاء على معتنقي الإسلام عسكرياً تلك التوجهات وتنفيذها من قبلهم.

جعلت من رسول الله ﷺ يسير الغزوات الواحدة تلو الأخرى، وإلى مختلف المناطق والقرى المتربصة بالإسلام الدوائر، وبوصول تلك الغزوات أو السرايا للمتربصين بدولة الإسلام الدوائر، كانت لهم بمثابة الردع الوقائي الاستراتيجي، بمعنى بوصول تلك الموجات من معتنقي الإسلام إلى بلدانهم جعلت الكثير منهم يحجموا عن مهاجمة رسول الله ﷺ ومعتنقي الإسلام في عقر دارهم بالمدينة المنورة.

رابعًا غزوات أو بعثات بقصد صد العدوان أو التاديب

بفرار رسول ﷺ وأصحابه من ظلم قريش إلى المدينة المنورة لم تتركهم قريش في حالهم، بل حرص سادة قريش على القضاء عليهم، وذلك عبر إعداد الجيوش والانطلاق بها إلى مقرهم في المدينة المنورة، وهنا كان لرسول الله ﷺ وأصحابه مشروعية الدفاع عن أنفسهم، وذلك إما عبر صد هجومهم، أو تسيير السرايا والبعثات صوب مصالحتهم بغية مهاجمتها والسيطرة عليها، هذا ما يخص قريش أما ما يخص المتربصين بدولة الإسلام الدوائر وذلك من مختلف الأعراب والقبائل المحيطة أو النائية بمكة المكرمة أو المدينة المنورة هؤلاء برصدهم لواقع معتنقي الإسلام، ومع أي هزيمة تحل بهم، كان لبعضهم المسارعة في التخطيط لمهاجمتهم، أو الاعتداء عليهم، أو على ممتلكاتهم، ومن هنا كان لرسول الله ﷺ تسييره للغزوات أو للسرايا الرامية أولاً للدعوة للإسلام، ثانيًا لصد عدوانهم.

أبرز السرايا

الغزوة	سبب الغزوة	القائد	النتيجة
سرية سيف البحر ١/٩ هـ	مهاجمة قافلة قريش، وذلك لظلمهم ونهبهم لممتلكات ضعفاء معتنقي الإسلام.	بعث رسول الله ﷺ حمزة بن عبد المطلب في ثلاثين رجلاً من المهاجرين.	بوصول السرية إلى سيف البحر من جهة العيص والتقاءهم بقافلة قريش أصلح بين الطرفين مجدي بن عمرو، ومن ثم عادت السرية إلى المدينة.
سرية رابع بداية ١/١٠ هـ	مهاجمة قافلة قريش، وذلك لظلمهم، ونهبهم لممتلكات ضعفاء معتنقي الإسلام.	بعث رسول الله ﷺ عبيدة بن الحارث بن المطلب في ستين رجلاً من المهاجرين بغية مهاجمة قافلة قريش.	بالتقاء الطرفين عند منطقة بطن رابع تراشق الطرفان ولم يحدث قتلى.
سرية الخرار ١/١١ هـ	مهاجمة قافلة قريش وذلك لظلمهم ونهبهم ممتلكات	سعد بن أبي وقاص في عشرين رجلاً	بوصول القافلة منطقة الخرار كانت قافلة قريش قد غادرت.

		ضعفاء معتنقي الإسلام	
بوصول رسول الله ﷺ منطقة ودان كانت القافلة قد غادرت وهنا كان لرسول الله عقد معاهدة حلف مع سيد بنى ضمرة عمرو بن نخشى الضمري	خرج رسول الله ﷺ في سبعين رجلاً من المهاجرين	مهاجمة قافلة قريش وذلك لظلمهم ونهبهم لممتلكات ضعفاء معتنقي الإسلام	غزوة الأبواء أو ودان ٢ / ٢ هـ
ببلوغه منطقة بواط من ناحية رضوى كانت القافلة قد غادرت	خرج فيها رسول الله في مائتين من أصحابه	مهاجمة قافلة قريش وذلك لظلم ونهبهم لممتلكات ضعفاء معتنقي الإسلام	غزوة بواط ٢ / ٣ هـ
بوصوله وادياً يقال له: سفوان من ناحية بدر كان الفهري وأصحابه قد غادروا	خرج رسول الله ﷺ في سبعين رجلاً من أصحابه لمطارتهم	صد عدوان كرز بن جابر الفهري لقيامه مع بعض المشركين بمهاجمة مراعي المدينة ونهب بعض ماشيتها	غزوة سفوان ٢ / ٣ هـ
بوصوله ذا العشيرة كانت القافلة قد غادرت	خرج رسوله ﷺ برجال من	مهاجمة قافلة قريش وذلك لظلم ونهبهم	غزوة ذي العشيرة ٢ / ١٢ هـ

	المهاجرين للنيل من قافلة قريش	لممتلكات ضعفاء معتنقي الإسلام	
بعد معركة شرسة انتصر- فيها جيش الإسلام على جيش قريش	رسول الله ﷺ	قريش ترسل جيشها إلى المدينة بغية القضاء على الإسلام فكان على معتنقي الإسلام الدفاع عن أنفسهم	غزوة بدر ٢/٩ هـ
بنو سليم وغطفان فروا من أمام القوات الإسلامية	رسول الله ﷺ	صد تآمر بني سليم وغطفان على معتنقي الإسلام	غزوة بني سليم ٢/١٠ هـ
بعد حصارهم من قبل جيش الإسلام واستسلامهم أجلوا إلى أذرعات بالشام	رسول الله ﷺ وحامل لواء المسلمين حمزة بن عبد المطلب	يهود بني قينقاع نقضوا الميثاق الذي بينهم وبين معتنقي الإسلام	غزوة بني قينقاع ٢/١٠ هـ
بوصول أبي سفيان لأطراف المدينة المنورة قام مع رجاله بقطع وحرق النخيل كما قتلوا رجلاً ثم عادوا إلى مكة	لم يعلم رسول الله ﷺ ومعتنقي الإسلام بخروجهم	بعد هزيمة جيش قريش وليحفظ مكانتهم قام أبو سفيان بأخذ مائتي راكب وانطلق بهم	غزوة السويق ٢/١٢ هـ

		إلى المدينة	
غزوة ذي أمر ١ / ٣ هـ	وصلت الأخبار إلى رسول الله ﷺ أن بني ثعلبة ومحارب قد تجمعوا بغية مهاجمة المسلمين في المدينة المنورة	خرج رسول الله بأربع مائة وخمسين مجاهد	بوصول جيش الإسلام إلى منطقة ذي أمر لم يجد مقاتلين فمكث بجيشه هناك فترة ثم عاد إلى مكة
غزوة بُحْران ٤ / ٣ هـ	حملة استطلاعية من قبل دولة الإسلام	خرج رسول الله بثلاث مائة مجاهد من أصحابه	وصل رسول الله ﷺ مع أصحابه إلى منطقة بحران من أرض الشام ومكث فيها أيام ثم عاد إلى المدينة
سرية زيد بن حارثة ٦ / ٣ هـ	مهاجمة قافلة قريش وذلك لظلمهم ونهبهم ممتلكات ضعفاء معتنقي الإسلام	زيد بن حارثة برفقة مائة راكب	السيطرة على قافلة قريش وذلك في منطقة قَرْدَة من أرض نجد
غزوة أحد ١٠ / ٣ هـ	جهزت قريش جيش بغية الانتقام وذلك على خلفية	قائد جيش الإسلام رسول الله ﷺ	بوصول جيش قريش إلى أحد واصطدامه مع جيش الإسلام كانت النتيجة هزيمة جيش الإسلام

		هزيمة جيشها ببدر	
غزوة حمراء الأسد ٣/١ هـ	بعد هزيمة جيش الإسلام في أحد أراد رسول الله ﷺ رفع معنويات معتنقي الإسلام فخرج برجاله بغية الردع الإستراتيجي	قائد جيش الإسلام رسول الله ﷺ	بوصول رسول الله ﷺ وقواته إلى منطقة حمراء الأسد ووصول خبرهم لقوات قريش قام بتخديلمهم معبد بن أبي معبد الخزاعي فكان لقريش عدم المواجهة
سرية أبي سلمة ٤/١ هـ	وصول الأخبار إلى رسول الله ﷺ أن طلحة وسلمة ابني خويلد يحثان قومها بني أسد على مهاجمة معتنقي الإسلام	بعث رسول الله حملة مكونة من مائة وخمسين مقاتل وقيادة أبي سلمة	باغت أبو سلمة بني أسد في ديارهم مما أدى بهم إلى الفرار
سرية المنذر بن عمرو الساعدي ٤/٢ هـ	قدم على رسول الله ﷺ أناس من رعل وذكوان وعصية وبني لحيان يطلبون من رسول الله ﷺ	بعث لهم رسول الله سبعين رجلاً من القراء بقيادة المنذر بن عمرو الساعدي	بوصول الجميع بئر معونة غدروا بأصحاب رسول الله ﷺ وذلك بقتلهم

		أناس لتعليم قومهم الإسلام	
بعد حصارهم لفترة من الزمن وباتفاقهم مع رسول الله ﷺ رحلوا إلى الشام	خرج إليهم رسول الله ﷺ وحمل اللواء علي ابن أبي طالب	مؤامراتهم على قتل رسول الله ﷺ	غزوة بني النضير ٤ / ٣ هـ
بوصول رسول الله ﷺ إلى تلك الجهات لم يلق مقاتلين	خرج إليهم رسول الله	وصلت الأخبار إلى رسول الله ﷺ أن جموعاً من بني محارب وبني غطفان بيتوا النية لمهاجمة المسلمين بالمدينة المنورة	غزوة نجد ٤ / ٥ هـ
ببلوغ رسول الله ﷺ دومة الجندل كانت المجاميع قد تفرقت فمكث هناك بضعة أيام ثم عاد إلى مدينته	فخرج إليهم رسول الله ﷺ بجيش تعداده ألف مجاهد	وصلت الأخبار إلى رسول الله ﷺ بأن القبائل المحيطة بدومة الجندل تقطع الطريق وتنهب وتسرق وتتحفز لقتال	غزوة دومة الجندل ٥ / ٣ هـ

	المسلمين		
غزوة الأحزاب ٥/١٠ هـ	أفضى تآمر اليهود على تحشيد جيش مكون من قريش وكنانة وغطفان بغية القضاء على الإسلام	بوصول تلك المجاميع إلى المدينة المنورة عسكر جيش الإسلام في مدينته بقيادة نبيه وذلك بغية مقاومة الغزاة	فرق رب العالمين جموعهم بعد محاصرتهم للمسلمين فعادوا خائبين
غزوة بني قريظة ٥/١٠ هـ	تآمرهم على رسول ﷺ الله ومعتقني الإسلام	خرج إليهم رسول الله ﷺ بقواته	بعد حصارهم استسلموا لقوات جيش الإسلام
سرية محمد بن مسلمة ٦/١ هـ	استطلاعية	قائد السرية محمد ابن مسلمة برفقة ثلاثين رجلاً	تحركت إلى القرطاء بناحية صريرة بالبكرات من أرض نجد
غزوة بني لحيان ٦/٥ هـ	بنو لحيان كان لهم قتل عشرة من أصحاب رسول الله بالرجيع	خرج إليهم رسول الله ﷺ في مائتين من أصحابه	بوصول جيش الإسلام إلى بني لحيان كان لهم الفرار فمكث الرسول هناك بضعة أيام ثم عاد إلى مدينته
سرية عكاشة بن	استطلاعية	عكاشة بن محصن	إلى بني أسد

			مُحَصَّن ٦/٤ هـ
سرية محمد بن مَسْلَمَة ٦/٤ هـ	استطلاعية	خرج محمد بن مسلمة في عشرة رجال	بوصولهم إلى ذي القصة في ديار بني ثعلبة نصب بنو ثعلبة كميناً لرجال السرية مما أفضى إلى مقتلهم عدا محمد ابن مسلمة فقد تمكن من الفرار بعد أن جرح
سرية أبي عبيدة بن الجراح ٦/٤ هـ	انتقاماً لقتلى سرية محمد بن مسلمة	بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح برفقة أربعين رجلاً	بوصولهم إلى بني ثعلبة وشن الهجوم عليهم فر بنو ثعلبة إلى الجبال تاركين أنعامهم غنيمة للمسلمين
سرية زيد بن حارثة ٦/٤ هـ	استطلاعية	بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى الجُموم في مَرِّ الظَّهْرَانِ	وصلت إلى الجموم وعادت سالمة
سرية زيد ٦/٥ هـ	السيطرة على عير قريش	بعث رسول الله ﷺ زيदा برفقة مائة وسبعين رجلاً	بوصول السرية العيص سيطرت على القافلة القرشية والتي كانت تحت قيادة أبي العاص صهر رسول الله و بفرار هذا واستجارته بزيب كان له ما طلب وهو إعادة كل أموال القافلة لأبي العاص كما رد عليه رسول الله زوجته زيب وذلك

بعد إسلامه			
بوصول السرية إلى الطَّرَفِ أو الطَّرِقِ مكثت أياماً ثم عادت	خرج زيد برفقة خمسة عشر رجلاً	استطلاعية	سرية زيد ٦/٥ هـ
بوصوله وادي القرى هجم عليهم سكان الوادي فقتلوا منهم تسعة بينما نجا ثلاثة منهم زيد	خرج زيد في اثني عشر - رجلاً إلى وادي القرى	استطلاعية	سرية زيد ٦/٧ هـ
لم يصيبوا القافلة	بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في ثلاثمائة راكب	السيطرة على عير قريش	سرية الحَبَط ٨/٧ هـ
ببلوغ جيش الإسلام المُريسيع دارت معركة كان النصر فيها لجيش الإسلام	خرج رسول الله ﷺ بقواته لمواجهة بني المصطلق	وصلت الأخبار لرسول الله ﷺ أن رئيس بني المصطلق الحارث بن أبي ضَرَّار وفئت من العرب يتجهزون لغزو معتنقي الإسلام	غزوة بني المصطلق أو غزوة المريسيع ٥/٨ هـ
بوصول عبد الرحمن بن عوف ديار بني كلب بدومة الجندل ودعوتهم لاعتناق	بعث رسول الله ﷺ عبد الرحمن	نشر الإسلام	سرية عبد الرحمن ابن عوف ٦/٨ هـ

الإسلام كان لهم الاستجابة	ابن عوف برفقة عدد من المسلمين		
سرية علي بن أبي طالب ٦ / ٨ هـ	قيام سعد بن بكر بدعم اليهود بغية النيل من معتنقي الإسلام	بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب برفقة مائتي مقاتل	بوصول علي إلى بني سعد بن بكر بفدك وشن الهجوم عليهم فضلوا الفرار مخلفين ممتلكاتهم للقوات الإسلامية
سرية زيد بن حارثة إلى وادي القرى	تأديبية وذلك لحياكة المؤامرة على قتل رسول الله ﷺ	بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق أو زيد بن حارثة إلى وادي القرى برفقة مقاتلين	بوصول القوات الإسلامية إلى وادي القرى شنوا هجومهم على خصومهم فقتلوا منهم مجموعة
سرية كُرْز بن جابر الفهري ٦ / ١٠ هـ	تأديبية لقتل راعي المسلمين ونهب الإبل	بعث رسول الله ﷺ كرز بن جابر في عشرين رجلاً	بوصول السرية إلى العُرَيْنِيِّين هاجموا رهط عُكَلٍ وَعُرَيْنَةَ وانتقموا منهم
غزوة الغابة أو غزوة ذي قَرْد	تأديبية لقيام فصيل من بني فزارة بنهب نعم رسول الله ﷺ وقتل راعيه	خرج رسول الله ﷺ بقواته وعقد اللواء للمقداد بن عمرو	دارت بينهم جولة، قتل فيها محرز بن نضلة.
غزوة خيبر ٧ / ١ هـ	تأمر يهود خيبر على	خرج رسول الله ﷺ	بعد حصار ومواجهات دامية حصل

<p>الصلح بين رسول الله ﷺ ويهود خيبر مقابل الشطر من أموالهم</p>	<p>بعيشه لقتال يهود خيبر</p>	<p>معتنقي الإسلام وقيامهم بتحزيب الأحزاب ضد المسلمين، وأثاروا بنبي قريظة على الغدر والخيانة</p>	
<p>بوصول السرية إلى نجد لم تقابل أحدا إنما بعثت رسالة للأعراب المحيطة بالمدينة أنه أصبح من الصعوبة مهاجمة المسلمين</p>	<p>بعث رسول الله ﷺ أبان بن سعيد برفقة بعض الصحابة إلى نجد</p>	<p>ردع استراتيجي وقائي</p>	<p>سرية أبان بن سعيد ٧/٢ هـ</p>
<p>بلغ رسول الله ﷺ إلى منطقة نخل ثم عاد إلى المدينة بلا قتال</p>	<p>خرج رسول الله ﷺ في بضع مئات</p>	<p>ردع استراتيجي وقائي للقبائل المحيطة بالمدينة ومنهم بنو أنمار أو بنو ثعلبة وبنو مُحَارِبٍ من غطفان</p>	<p>غزوة ذات الرِّقَاع ٧/٣ هـ</p>
<p>بوصول السرية إلى قديد هاجمهم ليلا وقتلوا منهم من قتلوا ثم عادوا ومعهم نعم قديد</p>	<p>بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الليثي برفقة مقاتلي من</p>	<p>تأديبية لبني المُلُوح القاطنين بقديد وذلك لقتلهم أصحاب بشير بن</p>	<p>سرية غالب بن عبد الله الليثي ٧/٣ هـ</p>

	سُوَيْد	معتنقي الإسلام	
سرية زيد بن حارثة إلى حسمى ٦/٦ هـ	اعتداء أناس من جذام على دحية بن خليفة الكلبي	بعث زيد بن حارثة في خمسمائة رجل	بوصول السرية إلى ديار حسمى قاموا فيهم ضرباً وقتلاً
سرية عمر بن الخطاب ٧/٨ هـ	ردع استراتيجي وقائي تجاه هوازن	بعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب برفقة ثلاثين مقاتل	ببلوغ السرية إلى نواحي هوازن لم تلق قتال وعادت إلى المدينة
سرية بشير بن سعد الأنصاري ٧/٨ هـ		بعث رسول الله ﷺ بشير بن سعد الأنصاري برفقة ثلاثين مجاهداً إلى بني مرة	بوصول السرية إلى بني مرة أمطروهم بنو مرة بالنبال ليلاً فقتل أعضاء السرية عدا بشير
سرية غالب بن عبد الله الليثي ٧/٩ هـ	تأديبية	بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الليثي برفقة مائة وثلاثين رجلاً	ببلوغ السرية إلى هدفها وقتالها للمعتدين عادت إلى المدينة سالمة منتصرة
سرية عبد الله بن	تأديبية	بعث رسول الله ﷺ	بوصول السرية إلى أسير زارم اليهودي

رواحة ١٠ / ٧ هـ		عبد الله بن رواحة برفقة ثلاثين مجاهدا	حققت هدفها
سرية بشير بن سعد الأنصاري ١٠ / ٧ هـ	تأديبية وذلك لتجمعهم بغية الإغارة على أطراف المدينة المنورة	بعث رسول الله بشيرا برفقة ثلاثمائة من المسلمين إلى أناس من غطفان وقيل لفزارة وعُدرة	بوصول السرية إلى هدفها فر المعتدون وعادت بأسيرين ونعم كثيرة
سرية أبي حدرد الأسلمي	استطلاعية وذلك أن رجلاً من جُشم ابن معاوية أقبل في عدد كبير إلى الغابة، يريد أن يجمع قيساً على محاربة المسلمين	بعث رسول الله أبا حدرد مع رجلين	حققت السرية هدفها
سرية ابن أبي العوجاء ١٢ / ٧ هـ	دعوية	بعث رسول الله ابن أبي العوجاء برفقة خمسين رجلاً إلى	بوصول السرية دب القتال بين الطرفين ثم عادت السرية إلى المدينة

	بني سليم		
سرية غالب بن عبد الله ٨/٢ هـ	تأديبية للثأر من أصحاب بشير بن سعد بفدك	بعث رسول الله ﷺ غالباً برفقة مائتي رجلاً	بوصول السرية إلى فدك شنوا عليهم الهجوم وقتلوا منهم رجالاً
سرية ذات أطلح ٨/٣ هـ	تأديب بني قضاة وذلك على خلفية تجمعهم بغية مهاجمة المسلمين	بعث رسول الله ﷺ كعب الأنصاري برفقة خمسة عشر رجلاً	بوصل السرية إلى بني قضاة رشقوا رجال السرية بالنبال حتى قضوا عليهم
سرية ذات عرق ٨/٣ هـ	ردع وقائي	بعث رسول الله ﷺ شُجاع بن وهب الأسيدي في خمسة وعشرين رجلاً لبني هوازن	وصلت السرية إلى هوازن وعادت بلا قتال
غزوة مؤتة ٨/٥ هـ	تأديبية وذلك لقيام عامل البلقاء شُرْحَيْيل بن عمرو الغساني بقتل رسول الله ﷺ حارث بن	بعث رسول الله ﷺ جيشاً مكون من ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة زيد ابن حارثة، وإن قتل زيد فجعفر،	بوصول الجيش إلى هدفه ومقابلته بقوات تفوقه عشرات المرات هزم جيش الإسلام واستشهد الثلاثة القادة

	وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة	عمير الأزدي	
بوصول جيش الإسلام إلى قضاة فروا إلى الجبال	بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص برفقة ثلاث مائة مقاتل وبمسيرتهم وصلت الأخبار بأن قضاة قد تجمعوا بغية الإغارة على المدينة فبعث إليه رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في مائتين رجلاً	ردع وقائي تجاه القبائل القاطنة في مشارف الشام	سريّة ذات السّلاسل ٨ / ٦ هـ
وصول السرية إلى هدفها وبعد مهاجمتها لبني غطفان عادت إلى المدينة	بعث رسول الله ﷺ أبا قتادة في خمسة عشر رجلاً	تأديبية لبني غطفان وذلك لتحشدهم بغية مهاجمة المسلمين	سرية أبي قتادة ٨ / ٨ هـ

غزوة فتح مكة ٨/٩ هـ	نقض قريش لصلح الحديبية	خرج رسول الله ﷺ بجيش تعداده عشرة آلاف مجاهد	بوصول الجيش مكة فتحها رسول الله ﷺ وبلا قتال
سرية خالد بن الوليد ٨/٩ هـ	هدم صنم العزى بنخلة	بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد برفقة ثلاثين فارساً	هدم العزى
سرية عمرو بن العاص ٨/٩ هـ	هدم صنم هذيل برهاط المسمى سواع	بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص	هدم سواع
سرية سعد بن زيد بن الأشهلي ٨/٩ هـ	هدم صنم مائة بالمثل عند قديد وهذه للأوس والخزرج وغسان	بعث سعد بن زيد بن الأشهلي برفقة عشرين فارساً	هدم مائة
سرية خالد بن الوليد ٨/٩ هـ	اللدعوة للإسلام	بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد برفقة ثلاثمائة وخمسين رجلاً	بوصول خالد إلى بني جذيمة ودعوتهم للإسلام دب القتال بينهم.

<p>بعد معركة دامية وانكسار جيش الإسلام في بداية المعركة ثم بفضل خالقهم انتصر جيش الإسلام</p>	<p>خرج إليهم رسول الله ﷺ بجيش تعداده اثنا عشر ألفاً من المسلمين</p>	<p>صد تجمع قبائل هوازن وثقيف، ونَصْرٌ—وَجُشَمٌ وسعد بن بكر وناس من بني هلال</p>	<p>غزوة حنين ٨/١٠ هـ غزوة الطائف</p>
<p>بوصول السرية إلى بني تميم تمكنت من أسر بعض رجالها وعادت بهم إلى المدينة</p>	<p>بعث رسول الله ﷺ عيينة بن حصن الفزاري برفقة خمسين فارساً</p>	<p>تأديبية</p>	<p>سرية عيينة بن حصن الفزاري ٩/١ هـ</p>
<p>بوصول السرية واقتتلهم قتل قطبة وعاد الباقر بالنصر والغنائم إلى المدينة</p>	<p>بعث رسول الله ﷺ قطبة بن عامر برفقة عشرين رجلاً إلى حي من خثعم</p>	<p>تأديبية</p>	<p>سرية قُطْبَة بن عامر ٩/٢ هـ</p>
<p>بوصول السرية إلى بني إلى بني كلاب وبدعوتهم للإسلام نشب القتال بين الطرفين وعادت السرية منتصرة</p>	<p>بعث رسول الله ﷺ الضحاک ابن سفيان برفقة رجال من معتقي الإسلام</p>	<p>المدعوة إلى الإسلام</p>	<p>سرية الضحاک ابن سفيان الكلابي ٩/٣ هـ</p>

<p>بقرب رجال السرية من ساحل جدة ووصول أخبارهم للقراصنة فروا من الساحل</p>	<p>بعث رسول الله ﷺ علقمة برفقة ثلاثمائة مجاهد</p>	<p>صد عدوان قراصنة من الحبشة كانوا قد تجمعوا قرب ساحل جدة بغية القرصنة على أهالي مكة</p>	<p>سرية علقمة بن مُجَزَّرِ المَدَلِجِي ٩ / ٤ هـ</p>
<p>بوصول السرية طيئ نشب القتال بين الطرفين ليفضي بهزيمة طيئ وهدم صنمهم</p>	<p>بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب برفقة مائة وخمسين رجلاً</p>	<p>هدم صنم طيئ المسمى بالقلس</p>	<p>سرية علي بن أبي طالب ٩ / ٣ هـ</p>
<p>بوصول جيش الإسلام تبوك لم يلق مقاتلين فعاد سالماً إلى المدينة المنورة</p>	<p>خرج رسول الله ﷺ بجيش تعداده ثلاثون ألف مجاهد</p>	<p>صد لعدوان الرومان</p>	<p>غزوة تبوك ٩ / ٧ هـ</p>

مواجهات ربانية في قضية القتال (الجهاد)

الدين الإسلامي دين رحمة للعالمين، أي رحمة لكل البشر، وما ذلك إلا لأنه الدين الذي ارتضاه رب العالمين لكافة عبادته، ويرتكز في تبليغه للناس من خلال التعريف بمضمونه، عبر كافة الطرق السلمية، ولأنه دين رب العالمين وجه معتنقيه بأن يتعايشوا مع كافة منتمي الأديان.

جزاء قاتل النفس البشرية

{من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغيرِ نفسٍ أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً} (١)

{ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يُسرف في القتل إنه كان منصوراً} (٢)

{وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون} (٣)

حرمة قتل المؤمن

{وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ} (٤)

(١) المائة آية ٣٢

(٢) الاسراء آية ٣٣

(٣) المائة آية ٤٥

(٤) النساء آية ٩٢

جزاء القاتل عمدا عند خالفه

{وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَظِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ

عَذَابًا عَظِيمًا} (١)

{وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ
بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِهَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

الظَّالِمُونَ} (٢)

جزاء قاتل النفس المؤمنة بالخطأ

{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ
مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ
كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ

شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} (٣)

مواطن إباحة قتل النفس

{وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا

يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا} (٤)

(١) النساء آية ٩٧

(٢) المائدة آية ٥٤

(٣) النساء آية ٩٢

(٤) الإسراء آية ٣٣

الدفاع عن النفس

{أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} (١)

تحريض الرسول للجهاد

{فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا} (٢)

قتال المفاتلين وعدم الاعتداء

{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} (٣)

إباحة مقاتلة المعتدين من ذوي الجوار

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} (٤)

(١) الحج آية ٤

(٢) النساء آية ٨٥

(٣) البقرة آية ١٩٠

(٤) التوبة آية ١٢٣

مقاتلة المعتدين من أهل الكتاب

{أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِأَخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدُّوْكُمْ أَوْلَ مَرَّةٍ أَخَشَوْهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (١)

حرمة قتال الملتنزم بالمواثيق

{إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْفَوْا إِلَيْكُمْ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا} (٢)

إباحة قتال من نكث بالمواثيق

{وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَلِئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ} (٣)

{أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِأَخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدُّوْكُمْ أَوْلَ مَرَّةٍ أَخَشَوْهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (٤)

القتال بغية إنماء الفتنة

{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انتهوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ} (٥)

(١) التوبة ١٣

(٢) النساء آية ٩٠

(٣) التوبة آية ١٢

(٤) التوبة آية ١٣

(٥) البقرة آية ١٩٣

القتال في الأشهر الحرم ويجوار بيت الله الحرام

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ
وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ
حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَمَا كَانَ مِنكُمْ عَلَيْهِ عَاقِبَةٌ لِّمَا كَفَرُوا
وَكَانُوا فِي الْحَرَامِ وَآلِ الْاٰخِرَةِ وَآلِ الْاٰوَّلَةِ أَصْحَابِ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (١) وبالقتال فيه
للضرورة إلا أن رب العالمين وجه معتني الإسلام بقوله {وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ} (٢) {فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ
الْحُرْمَ فَاقتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِن
تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (٣)

حرمة قتال منتمي الأديان

{لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ
وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (٤)

التعامل مع المنافقين في قضية الجهاد

{فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذِنُوا لَلْخُرُوجِ فَقُلْ لَّن نَّخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن

(١) البقرة آية ٢١٧

(٢) البقرة آية ١٩١

(٣) التوبة آية ٥

(٤) الممتحنة آية ٨

تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوْلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ} (١)

رفض المنافقين الجهاد

{وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ} (٢)

مكانة المجاهد في سبيل الله

{وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ} (٣)

الترغيب للجهاد في سبيل الله

{إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (٤) {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُيَانٌ مَرْصُوصٌ} (٥) {فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} (٦)

(١) التوبة آية ٨٣

(٢) آل عمران ١٦٧

(٣) البقرة آية ١٥٣

(٤) التوبة ١١١

(٥) الصفة آية ٤

(٦) النساء آية ٧٥

كسر الخوف من الموت

قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ { (١)

الموقف من اقتتال طائفتين من المسلمين

{ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ ت فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } { (٢)

الخاتمة

السيرة النبوية بالرغم من تدوينها من قبل جهاذة علماء الأمة الإسلامية واعتقاد الكثير من المفكرين والعلماء أن علماء الإسلام قد أعطوها حقها؛ بجمع وحصر - كل المعلومات الخاصة بها إلا أن الحقيقة الساطعة كسطوع الشمس أن سيرة الرسول ﷺ ما زالت وستظل محطة للمفكرين وللعلماء عبر زماننا هذا وعبر مختلف الزمان والمكان، وستظل محطة للأنظار في بحثها، وتدوينها، وسواءً من مصادر كتب المؤرخين أو من مختلف مؤلفات علماء ومفكري الأمة الإسلامية،

ومن مصدر القرآن الكريم

ولعل هذا المصدر ما زال وسيظل مصدرا خصبا وشاملا لكل ما يتعلق برسول الله ﷺ، ابتداءً من ولادته وإلى وفاته ﷺ، ومن منطلق رغبتني في أن أحظى برضا خالقي وبحب

(١) آل عمران ١٥٦

(٢) الحجرات آية ٩

رسولي ﷺ اجهدت نفسي في البحث عن سيرته في أمهات الكتب وعبر آيات القرآن الكريم، ومن خلالها بذلت جهداً كبيراً في إخضاع الكثير من المعلومات للتمحيص العلمي، عبر مطابقتها لآيات من المصحف الشريف وأخيراً خصت هذا الجهد المتواضع والذي بين أيديكم.

وياكمالي له أسأل العلي العظيم أن يرزقني الإخلاص وبكل أقوالي، وأعمالي، وأن يتجاوز عن أخطائي، ويرزقني العلم، والفقه، والحكمة، وفصل الخطاب. وأن يقدر لي ولكل مطلع عليه الفردوس الأعلى بالجنة، بصحبة رسولنا ﷺ مع من أراد لهم خالقهم من المصطفين الأخيار.

الفهرس

فهرسة المصادر

الجامع الصحيح

محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري.

الناشر: دار الشعب-القاهرة

الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ - ١٩٨٧

حسب ترقيم فتح الباري

صحيح مسلم

أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري

الناشر: دار الجيل بيروت + دار آفاق الجديدة - بيروت

العجاب في بيان الأسباب

شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي

الناشر: دار ابن الجوزي-الدمام

الطبعة الأولى، ١٩٩٧

مسند أبي داود الطيالسي

تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي

بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر

الناشر: هجر للطباعة والنشر

الطبعة: الأولى

سنة الطبع: ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

شرح مشكل الآثار

أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري
المعروف بالطحاوي

تحقيق: شعيب الأرناؤوط

الناشر: مؤسسة الرسالة

الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م

مسند إسحاق بن راهويه

إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي

الناشر: مكتبة الإيمان - المدينة المنورة

الطبعة الأولى، ١٤١٢ - ١٩٩١

مسند البزار المطبوع باسم البحر الزخار

أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار

الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة

الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨ م، وانتهت ٢٠٠٩ م)

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال

علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان

المحقق: بكري حياي - صفوة السقا

الناشر: مؤسسة الرسالة

الطبعة: الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م

لأحكام الشرعية الكبرى

أبو محمد عبد الحق الإشبيلي

المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة

الناشر: مكتبة الرشد-السعودية / الرياض

الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

الدعاء للطبراني

سليمان بن أحمد الطبراني أبو القاسم

المحقق: مصطفى عبد القادر عطا

الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت

الطبعة: الأولى، ١٤١٣

سنن النسائي الكبرى

أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي

الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت

الطبعة الأولى، ١٤١١-١٩٩١

تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن

الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام

محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله

الناشر: دار التراث العربي-القاهرة، ١٣٩٨

تحقيق: د. أحمد حجازي السقا

معرفة السنن والآثار

أحمد بن الحسين البيهقي

المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي

دار النشر: جامعة الدراسات الإسلامية + دار والوعي + دار قتيبة

الطبعة: الأولى

سنة الطبع: ١٤١٢هـ، ١٩٩١م

معجم الصحابة

أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي

المحقق: محمد الأمين بن محمد الجكني

الناشر: مكتبة دار البيان-الكويت

شذرات الذهب في أخبار من ذهب

عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي

تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرنؤوط

الناشر: دار بن كثير

سنة النشر: ١٤٠٦هـ

مسند أبي يعلى

أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي

الناشر: دار المأمون للتراث-دمشق

الطبعة الأولى، ١٤٠٤-١٩٨٤

مصنف عبد الرزاق

أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني

الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت

الطبعة الثانية، ١٤٠٣

دلائل النبوة

الإمام البيهقي

الناشر: دار الكتب العلمية - ودار الريان للتراث

الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م

موطا الإمام مالك

مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي

الناشر: دار إحياء التراث العربي - مصر

-رواية يحيى الليثي

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني

شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

سنة الطبع: ١٤١٥ هـ

البداية والنهاية

أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي

الناشر: دار إحياء التراث العربي

الطبعة: طبعة جديدة محققة / الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

صفة الصفوة

عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج

الناشر: دار المعرفة-بيروت

الطبعة الثانية، ١٣٩٩ - ١٩٧٩

الثقات

محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي

الناشر: دار الفكر

الطبعة الأولى، ١٣٩٥ - ١٩٧٥

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام

شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.

دار النشر: دار الكتاب العربي.

مكان النشر: لبنان/ بيروت.

سنة النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

الطبعة: الأولى.

صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان

محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي

الناشر: مؤسسة الرسالة-بيروت

الطبعة الثانية ١٤١٤-١٩٩٣

الإصابة في تمييز الصحابة

أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي

الناشر: دار الجليل-بيروت

الطبعة الأولى، ١٤١٢

أعلام النبوة

أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي

الناشر: دار الكتاب العربي-بيروت

الطبعة الأولى ١٩٨٧

المستدرك على الصحيحين

محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري

الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت

الطبعة الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠

الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي

تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش

الناشر: دار الكتب المصرية-القاهرة

الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤ م



السيرة النبوية

الامام أبى الفداء إسماعيل بن كثير ٧٠١-٧٤٧ هـ

تحقيق: مصطفى عبد الواحد ١٣٩٦ هـ-١٩٧١ م

الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان

تاريخ الأمم والملوك

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

الطبعة الأولى، ١٤٠٧

السيرة النبوية

عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد

المحقق: طه عبد الرؤوف سعد

الناشر: دار الجيل - بيروت

الطبعة: الأولى، ١٤١١

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح

احمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحرانی

الناشر: دار العاصمة - الرياض

الطبعة الأولى، ١٤١٤



فتح الباني شرح صحيح البخاري

أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي

الناشر: دار المعرفة-بيروت، ١٣٧٩

مختصر معارج القبول للعقدة

هشام بن عبد القادر آل عقدة

الناشر: دار طيبة الحَضْرَاء ١٤٢١ هـ

مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح

أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين

الرحماني المباركفوري

الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والافتاء-الجامعة السلفية-بنارس الهند

الطبعة: الثالثة-١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م

مسند الإمام أحمد بن حنبل

أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني

الناشر: مؤسسة قرطبة-القاهرة

سنن أبي داود

أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني

الناشر: دار الكتاب العربي-بيروت

الخصائص الكبرى

أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي

دار النشر: دار الكتب العلمية-بيروت-١٤٠٥ هـ-١٩٨٥ م.

مختصر السيرة

محمد بن عبد الوهاب

الناشر مطبعة الرياض

دلائل النبوة للأصبهاني

الناشر دار طيبة الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٩

المعرفة والتاريخ ليعقوب الفسوي

الناشر دار الكتب العلمية بيروت

الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله

سليمان بن موسى الكلاعي دار النشر عالم الكتب

بيروت ١٤١٧ الطبعة الأولى

حفهرس المواضيع

٣	الإهداء
٤	رسول الرحمة
٤	وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
٤	ماهية رسالته
٥	مُكَذِّبَاتُهَا
٧	العرب منبع الإسلام:
٨	أ- العرب البائدة:
٨	ب- العرب العاربة:
١٠	ج- العرب المستعربة
١٠	أوضاع العرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في العصر الجاهلي
١٠	الحالة السياسية لبلاد العرب
١٢	الحالة الاقتصادية لبلاد العرب
١٤	الحالة الاجتماعية لبلاد العرب
١٦	الحالة الدينية للمجتمع العربي في العصر الجاهلي
١٦	مدخل للمعتقدات الدينية
١٦	ديانات البشر إبان عصر ما قبل التاريخ
١٨	الوثنية
١٩	اليهودية
٢٠	النصرانية
٢١	الحنيفية:
٢٢	الموطن الأول للإسلام
٢٢	مكة المكرمة
٢٤	استيطان مكة وبناء البيت العتيق
٢٥	ابن النبيحين

- ٢٧ نسبه وولادته
- ٢٨ طفولته المبكرة
- ٣٠ الرسول برعاية عمه أبي طالب
- ٣١ شهود الرسول حرب الفجار وحلف الفضول
- ٣٣ ممارسته للعمل
- ٣٣ تزوجه بخديجة
- ٣٤ مشاركته في إعادة بناء الكعبة
- ٣٥ تعبه في غار حراء
- ٣٨ ابتداء تلقيه الوحي
- ٤٠ الخالق يواسي رسوله
- ٤٠ الرسول أول مسلم من هذه الأمة
- ٤١ تكليف الرسول بنشر الإسلام
- ٤٥ دعوته للإسلام جهراً
- ٤٨ الإسلام وقضية استعباد العباد
- ٤٩ الإسلام وقضية الأيتام والمساكين
- ٤٩ استمرار دعوته للإسلام بعد الجهر
- ٥١ الرسول وطريقة حفظه للقرآن الكريم
- ٥١ دين محمد يعيد للمرأة مكانتها
- ٥٢ قادة قريش يصرفون الحجاج عن اعتناق الإسلام
- ٥٤ اتهام فئات من المشركين للنبي بتعلمه القرآن من أعجمي
- ٥٥ موقف قريش من تصعيده للدعوة
- ٥٧ الرسول يخاطب عقول فئات من المشركين ببطلان ألهتهم

- ٥٨ انكار رجال من مشركي مكة للبعث بعد الموت
- ٥٩ من صور الإيذاء التي تلقاها في مكة
- ٦١ من صور إيذاء معتنقي الإسلام
- ٦٤ الرسول يحاور شخصيات مكذبة برسالته
- ٦٤ دحض تعدد الآلهة
- ٦٤ وفد قريش إلى أبي طالب
- ٦٦ قريش تعاود التفاوض مع أبي طالب
- ٦٧ المشركون يطلبون من الرسول قرآن غير القرآن
- ٦٧ دار الأرقم يخدم الإسلام
- ٦٨ تصاعد إيذاء الرسول وأتباعه
- ٦٩ أسئلة قريش التعجيزية
- ٧١ الهجرة الأولى إلى الحبشة
- ٧٢ المشركون يببدون أن القرآن تعلمه الرسول من رجل يقال له الرحمن
- ٧٢ الرسول يقرأ على بعض سادة مكة سورة النجم
- ٧٣ تصور الملائكة
- ٧٣ الهجرة الثانية إلى الحبشة
- ٧٥ إسلام حمزة
- ٧٧ إسلام عمر بن الخطاب
- ٧٩ ممثل قريش يفاوض رسول الله
- ٨٠ رؤساء قريش تفاوض الرسول
- ٨١ الحصار على بني هاشم
- ٨٥ من مسار تقييم الخالق لرسوله

- ٨٦ الخالق يصف رسوله بأنه ذو خلق عظيم
- ٨٦ دعوته أهل الطائف للإسلام
- ٨٨ الرسول والأرواح الخفية
- ٨٩ من الآيات الدالة على صحة الإسلام
- ٩٠ عرضه الإسلام على القبائل
- ٩٢ من مهنتي الإسلام من خارج مكة
- ٩٢ سويد بن الصامت
- ٩٣ أبو ذر الغفاري
- ٩٤ ضماد الأزدي
- ٩٤ مشركو مكة يطلبون إثبات رسالته عبر الملائكة
- ٩٥ عرضه الإسلام على أهل يثرب
- ٩٦ الإسراء والمعراج وفريضة الصلاة
- ٩٨ بيعة العقبة الأولى
- ٩٩ اعتناق أسيد بن حضير وسعد بن معاذ للإسلام
- ١٠١ بيعة العقبة الثانية
- ١٠٤ البعث بعد الموت
- ١٠٧ هجرته إلى يثرب
- ١١٠ الرسول يصل قباء
- ١١٠ اعتنق سلمان الفارسي الإسلام
- ١١١ الأنصار تستقبل رسول الله ﷺ
- ١١٢ الدعوة للإسلام من المدينة المنورة
- ١١٢ سكان يثرب
- ١١٥ القرآن وحلوله لاختلافات علماء خيام اليهود في توراتهم

- ١١٥ شخصيات يهودية سيادية تعتنق الإسلام
- ١١٧ الرسول يؤسس لدولة الإسلام
- ١١٧ الأساس الأول ببناء المسجد
- ١١٨ الأساس الثاني للمواخاة بين معتنقي الإسلام
- ١١٨ من صور المواخاة
- ١١٩ الأساس الثالث وضع وثيقة تعايش بين معتنقي الإسلام وجيرانهم من اليهود
- ١٢٠ حال المهاجرين بالمدينة
- ١٢١ ولادة النفاق
- ١٢١ اتخاذ القبلة
- ١٢٢ يهود يثرب تتآمر على الإسلام
- ١٢٦ غزوة بدر الكبرى
- ١٢٧ النصيحة بعودة جيش قريش
- ١٢٨ الرسول يستشير أصحابه
- ١٢٩ الرسول يبحث عن معلومات لجيش قريش
- ١٣١ مقر قيادة الجيش
- ١٣١ اصطدام الجيشان
- ١٣٦ أسرى الحرب وهداؤهم
- ١٣٨ مؤامرة لاغتيال الرسول
- ١٤٠ تزوجه بحفصة
- ١٤١ فرض الصوم
- ١٤١ فرض الزكاة
- ١٤٢ غزوة بني قينقاع

- ١٤٤ تزوج علي بن أبي طالب بفاطمة
- ١٤٤ الرسول يواصل الدعوة إلى الإسلام من المدينة
- ١٤٥ حوار المسلمين لأهل الكتاب
- ١٤٦ غزوة أحد
- ١٤٦ استعداد قريش للحرب
- ١٤٧ استشارته لأصحابه
- ١٤٨ إعداده لجيش الإسلام
- ١٥١ اصطدام الجيشان
- ١٥٢ هزيمة جيش الإسلام
- ١٥٦ موقفه من جرم أعدائه وأصحابه
- ١٥٧ تزوجه بزينب بنت خزيمة
- ١٥٧ تزوج عثمان بن عفان بأمر كلثوم
- ١٥٧ التفرير بالرسول وقتل الدعاة
- ١٥٨ إبادة جماعة من دعاة الإسلام
- ١٥٩ غزوة بني النضير
- ١٦٢ تحرير الخمر
- ١٦٣ محاولة خورث بن الحارث الغطفاني قتل رسول الله
- ١٦٤ تفضله على جابر بن عبد الله
- ١٦٥ تزوجه بأمر سلمة
- ١٦٥ غزوة بني المصطلق وتحرير رقهم
- ١٦٦ الرسول يغفر لابن سلول
- ١٦٨ الاقتراء على أم المؤمنين عائشة وفوائدها
- ١٧٢ غزوة الأحزاب - الخندق
- ١٧٢ استشارته لأصحابه



- ١٧٤ فرض جيش الأحزاب الحصار
- ١٧٥ نقض بني قريظة للعهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ
- ١٧٦ بوادر النصر على جيش الإسلام
- ١٧٨ غزوة بني قريظة
- ١٧٩ تبرة اليهودي من السرقة
- ١٨١ تزوجه بزینب بنت جحش وأبعد هذه الزیجة
- ١٨٣ اعتناق ثمامة للإسلام
- ١٨٤ خصوصيات بيوت رسول الله ﷺ
- ١٨٥ صلح الحديبية
- ١٨٥ موقف قريش من عمرة الرسول ﷺ
- ١٩٥ مراسلته للملوك والأمراء
- ١٩٦ رسالته إلى النجاشي ملك الحبشة
- ١٩٧ رسالته إلى أمقوقس ملك مصر
- ١٩٨ رسالته إلى ملك الفرس
- ١٩٩ رسالته إلى ملك الروم هرقل
- ١٩٩ رسالته إلى حاكم البحرين
- ٢٠٠ رسالته إلى صاحب اليمامة
- ٢٠٠ غزوة خيبر
- ٢٠٤ من الوفود القادمة إلى رسول الله
- ٢٠٥ وفد دوس
- ٢٠٥ مصالحة يهود فدك لرسول الله
- ٢٠٥ حرمة قتل الناطق بالشهادة أثناء القتال
- ٢٠٦ عمرة القضاء
- ٢٠٨ تزوج الرسول بأم حبيبة بنت أبي سفيان
- ٢٠٨ تزوج الرسول بعميمونة بنت الحارث

- ٢٠٨ الرحمن يؤدب نسوة رسوله
- ٢٠٩ اعتناق خالد بن الوليد وعمرو بن العاص للإسلام
- ٢١١ غزوة مؤتة
- ٢١٢ تشاور الجيش الإسلامي
- ٢١٢ تصادم الجيشين
- ٢١٤ وفادة رسول فزوة بن عمرو الجذامي لرسول الله ﷺ
- ٢١٤ التادب في حضرة رسول الله
- ٢١٥ فتح مكة
- ٢١٥ سبب الغزوة
- ٢١٦ معالجة قريش لنقضها الصلح
- ٢١٧ جيش الإسلام يتجه صوب مكة
- ٢٢٢ جيش الإسلام يدخل مكة
- ٢٢٦ الرسول يبإيأج أهل مكة على اعتناق الإسلام
- ٢٢٨ تعامله مع مشركي مكة خلال الفتح
- ٢٢٩ محاولة فضالة بن عمير قتل رسول الله ﷺ
- ٢٢٩ هدم الأصنام
- ٢٣٠ عنابة الرحمن بخولة بنت ثعلبة
- ٢٣٢ وفد صدأء
- ٢٣٣ غزوة حنين
- ٢٣٧ تقسيمه لغنائم المعركة
- ٢٣٩ عودة وفد هوازن
- ٢٣٩ الرسول يرجع بقواته إلى مكة المكرمة
- ٢٤٠ وفد عذرة
- ٢٤٠ وفد بلى
- ٢٤٢ وصول وفد بني أسد
- ٢٤٣ وفد شجيب
- ٢٤٤ وفد طيئ



- ٢٤٤ وفد بني تميم
- ٢٤٤ وفد عبد القيس
- ٢٤٥ وفد بني حنيفة
- ٢٤٦ من مواقف المناهقين
- ٢٤٧ اعتناق عدي بن حاتم الطائي للإسلام
- ٢٤٨ غزوة تبوك
- ٢٤٨ اعدادة لجيش الإسلام
- ٢٥٠ الرسول يتجه بقواته صوب تبوك
- ٢٥٢ تعامله مع المخلفين
- ٢٥٤ مسجد الضرار
- ٢٥٥ ثقيف تعتنق الإسلام
- ٢٥٨ وفد همدان
- ٢٥٨ وفد بني فزارة
- ٢٥٩ وفد رسل ملوك حمير
- ٢٥٩ حج أبي بكر بالناس وعلي يقرأ براءة على المشركين
- ٢٦٠ وفد بهراء
- ٢٦٠ وفد ذي مرة
- ٢٦١ وفد سعد بن بكر
- ٢٦١ وفد مراد
- ٢٦٢ وفد زبيد
- ٢٦٢ وفد عبد القيس
- ٢٦٢ وفد كندة
- ٢٦٢ مودة أقاربه
- ٢٦٣ وفد نصارى نجران
- ٢٦٥ وفد الأزدي
- ٢٦٥ وفد سلامان
- ٢٦٥ وفد بني عامر بن صعصعة
- ٢٦٦ عامي الوفود
- ٢٦٧ حجة الوداع

- ٢٧٢ بعثه جيش بقيادة أسامة إلى الشام
- ٢٧٣ مفادته للحياة الدنيا
- ٢٧٧ موقف أقاربه وأصحابه من وفاته
- ٢٧٨ موارات جسده الشريف الثرى
- ٢٧٩ أمر المسلمين من بعده
- ٢٨١ قتال الطائفة الباغية
- ٢٨٢ أزواجه
- ٢٨٥ تعدد زوجاته
- ٢٨٦ إبطال تشريعات الجاهلية
- ٢٨٦ جلب مصلحة للبشر
- ٢٨٧ الغزوات والسرايا
- ٢٨٧ غزوات تهدف إلى استعادة الحقوق
- ٢٨٨ بعثات دعوية بغية نشر الإسلام
- ٢٨٨ بعثات ردع استراتيجي وقائي للمتريصين بمعتنقي الإسلام الدوائر
- ٢٨٩ غزوات أو بعثات بقصد صد العدوان أو التأديب
- ٢٩٠ أبرز السرايا
- ٣٠٨ مواجهات ربانية في قضية القتال (الجهاد)
- ٣١٤ الخاتمة
- ٣١٦ الفهرس
- ٣١٦ فهرسة المصادر
- ٣٢٦ فهرس المواضع